

أسرار العقل
في حركته الخفية

THE SECRETS OF MIND
IN ITS HIDDEN ACTION



الدكتور أحمد توفيق حجازي


mohamed khatab

أسرار العقل



أسرار العقل في حركته الخفية

د. أحمد توفيق حجازي

الطبعة الأولى
2015



أسرار العقل في حركته الخفية

تأليف: أحمد توفيق حجازي

الطبعة الأولى 2015م 1436هـ



دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع

www.darkonoz.com

عمان – وسط البلد – شارع الملك حسين

مقابل البنك الإسلامي – طلوع سرفيس جبل الحسين (9)

هاتف 877 4655 فاكس 875 4655 6 00962

خلوي 494 5525 79 00962

E-mail: info@darkonoz.com dar_konoz@yahoo.com

تصميم الغلاف والإشراف الفني: محمد أيوب mohayyoub@gmail.com

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: 2014/6/2523

ردمك: ISBN: 978 9957 74 375 8

الفهرس

حكم وأقوال مأثورة

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]
- "إن قدرة المرء على الوعي فقط تجعل منه إنسان" "كارل يونغ".
- إن كل إنسان في الواقع يلوّن الدنيا بلون ما في نفسه ويعيش الأمور حسب المقاييس التي نشأ عليها.
- ليست الأحداث التي تجري في حياتنا هي التي تشكلنا، بل قناعاتنا حول ما تعنيه هذه الأحداث هي التي تفعل ذلك.
- "أفكارك تجلب إليك قوى من الخارج من نفس النوع الذي تخزنه في نفسك". "راسكين".
- "إن العقل قادر على أن يصنع من الجحيم نعيماً، ويصنع من النعيم جحيماً".
- "لتكون أكثر نجاحاً تعلم كيف تميّز ما بين الأمور غير الهامة حقاً وبين تلك الهامة حقاً، ستحظى بحياة أسهل عندما تتوقف عن اللحاق بركب القطيع.
- إن أعظم خدمة يرضى عنها الله، هي عمل خير للناس" "بنجامين فرانكلين"
- إن الجوع المعنوي أو المرض الروحي ممكن أن يكون مميتاً للإنسان تماماً كجوع الجسد.
- "احفظ قلبك بكل جدٍ لأنه من خلاله تكون أمور حياتك". "سليمان الحكيم".
- عندما يملأ عقل الإنسان السلام والحب والتناسق فإن الصحة والبركة والفرح يسري في طريقه.
- إن الحصول على حالة باطنة من الوعي يبرز حالة ظاهرية مماثلة ومشابهة.
- "إذا أردت أن تفنيني، ضعني ضمن نظام، إنني لست رمزاً حسابياً، إنني أنا". "كيركارد"
- "استمتع باليوم" واستخلص منه أكثر ما تستطيع لأن هذا هو اليوم الذي صنعه الرب لتبتهج وتفرح فيه.

- "كل شيء يتغير إلا قانون التغير، إنكم لا تهبطون نهراً بعينه مرتين" "الفيلسوف هرقليط".
- "لست أشعر ببرودة الهمة، لأن كل محاولة خاطئة أتخلى عنها هي خطوة أخرى تقودني نحو الأمام". "توماس أديسون".
- "إن كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون".
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]
- "العقل البشري قوة من قوى النفس لا يستهان بها" "ابن سينا"
- "إن كياننا كله هو نتيجة لما نفكر فيه" "بوذا"

مقدمة

عندما تبدأ في استعمال وتحريك القوة الهائلة لعقلك الباطن، ستتمكن من تشكيل نمط تفكيرك وحياتك، وستتجدد شخصيتك وصحتك حسبما ترى نفسك في عقلك الباطن.

لماذا يوجد إنسان سعيد وثري وآخر حزين وفقير؟ ولماذا هناك إنسان قلق وخائف وكئيب وآخر يتمتع بالثقة والسعادة؟ ولماذا يحقق إنسان نجاحاً باهرا بينما يعيش إنسان آخر فشلاً ذريعاً؟ ولماذا يوجد إنسان مبدع في عمله ومهنته بينما يوجد إنسان آخر يكذح طوال حياته دون أن يحقق شيئاً؟ ولماذا يشفى إنسان من مرض مزمن ولا يشفى منه إنسان آخر؟

من دون شك توجد إجابة عن تلك الأسئلة وذلك من خلال المساعدة التي يقدمها لك عقلك الواعي الظاهر وعقلك الباطن في حركته الخفية الساحرة.

تستطيع القوة التي يمتلكها عقلك الباطن الخفي أن تفعل المعجزات من خلال حركتها الخفية فتشفيك من المرض وتمدك بالحيوية وتعلمك الاستفادة من قوتك الداخلية الرائعة.

قانون الحياة

إن الاستجابة لما تؤمن وتعتقد به وتتمناه وترغبه تتحقق عندما يستجيب عقلك الباطن للصورة الذهنية أو الفكر في عقلك الواعي. فقانون الحياة هو قانون الاعتقاد ويمكن تبسيط الاعتقاد كفكرة في عقل الإنسان. وحيث أن الإنسان يفكر ويشعر ويؤمن أو يعتقد فإن ذلك يرتبط بحالة عقله وجسمه وبيئته. وإن أية وسيلة أو منهاج أو برمجة مؤسسة على فهم ما تعقله، وسبب قيامك به، سوف يساعدك أن تجعل عقلك الباطن يجسّد لك جميع الأشياء الإيجابية الطيبة في الحياة.

وإن كل ما عليك أن تفعله هو أن تتوجه وتلتحم عاطفياً وذهنياً بالخير الذي تتمنى وتريد تجسيده وتحقيقه. وتبعاً لذلك، سوف تستجيب القوى المبدعة لعقلك الباطن وحركته الخفية الساحرة.

السر الأعظم

"من عرف نفسه عرف عرف ربه" "لقمان الحكيم"

ما هو سبب وعلاج مشاكل الإنسان على الأرض؟

هذا هو السؤال الأهم الذي راود الإنسان منذ العصور الماضية إلى عصرنا الحاضر.

يمكن تشبيه الإنسانية بمجموعة من المهاجرين تبحث عن موقع لبناء مساكن جديدة مريحة. يركبون قطاراً يمكنه أخذهم من الأرض الصحراء كلما صعدوا إلى موقع أعلى، كانت سعة إطلاعهم ورؤيتهم وتمتعهم بمنظر الحقول والبقاع الممتدة أعظم.

هنالك مواقف للقطار على مدى طريق الصعود للجبل. وبإمكان السائح إنهاء رحلته ومغادرة القطار في أي نقطة يريدها. إنه حر في ترك الفريق السياحي، أو أن يستمر صعوداً إلى قمة الجبل.

بعض أفراد المجموعة السياحية يغادرون القطار في أول موقف، فيجدون أنفسهم في بقعة مقفرة موحشة. ويقيمون بحالة خفية من اليأس.

آخرون يتابعون إلى موقف آخر أو موقفين، ويغادروا القطار، موقعهم نوعا ما أفضل، لكن، إقامتهم هي بنوع من عدم الراحة الغامضة.

آخرين قليلين وهم الصابرين المثابرين، يتابعون الصعود. ويجدون اكتشافاً مثيراً مدهشاً: مع أن الرحلة بالتأكيد لها تحدياتها، فكلما صعدوا الجبل أكثر كلما سهلت الرحلة. فالصبر والمثابرة يقدمان مكافئات أكيدة. لذا فإنهم يصعدون بشغف. ويصلون إلى قمة الجبل للعيش بسعادة وهناء. كما يجدون أن قمة الجبل ليست فقط ما أعلن عنه المرشد، بل إنها حقيقة، إنها موجودة، إنها لهم الآن.

ليس من ضرورة ليأس الإنسان

يلخص إدوارد آرلنغتون روبنسون اليأس المتورط به الإنسان في شعره الكلاسيكي، "ريتشرد كوري": كل واحد في البلدة معجب بأخلاق ريتشرد كوري الأميرية. حسدوا وضعه الحياتي الرفيع ظاهرياً. وبدا أنه الشخص الناضج النموذجي. لكن كل ذلك مجرد تمثيل مسرحي. لم يعرف أحداًالأمر كريتشرد كوري نفسه. ففي يأسه من حالته، هرب أخيراً من المسرح، بالطريقة الوحيدة عرفها هي بتدمير نفسه. الحقيقة أن الناس السعداء هم أكثر ندرة مما يعتقدون. الناس يلبسون أقنعة مختلفة: أقنعة ضاحكة، اقنعة بمظهر الحكماء، أقنعة مدهشة، أقنعة نجاح مادي. جميعها بمحاولة هائجة لإقناع أنفسهم والآخرين أن التمثيل حقيقي. لكن حالاً أو بعد مدة، يجب أن تتوقف المسرحية بنهايتها، تاركة الممثل لوحده خائفاً واقفاً على منصة مسرحه الصغير".

ماذا يريد كل إنسان؟ إنه فقط يريد أن يكون حراً، من ماذا؟ من ألم قلبه ومعاناته، من رغباته الإجبارية، من خوفه مما يستطيع الآخرون عمله له، ومن ذنوب محمولة من سخافات ماضية.

الإنسان يريد حرية النفس. لكنه لا يعرف ما هي. وأين يجدها. وهو يبقى يبحث بقلق، وتقريباً يبحث دائماً في الأماكن الخطأ. في يأس من إيجاد الإبرة الصحيحة في كومة القش، وبأمل يواسي نفسه، "حسناً"، غداً سيكون مختلفا". لكنه لن يكون مختلفاً، وهو يعرف ذلك. يعرف أنه سوف يبحث راجعاً واجداً نفسه في ذات اليأس القديم. التغير الوحيد سيكون في قليل من الأمكنة المحيطة. لكنه لا يزال نفس البيت المسكون القديم.

في المثال المجازي السجناء في الكهف لسقراط، كما أورده بلاتو، شارحاً حالة الإنسان: عدد من الرجال حبسوا في كهف مظلم. وأضرمت نار حولهم، مظهرة خيالات مخيفة. وقد افترضوا خطأً أن الخيالات والأشباح هي حقيقية، فتمسكوا بمكانهم بحالة من الرعب والخوف.

لكن أحد السجناء تعب من هذا الوضع. وبشجاعة، قرّر أن يخاطر بمحاولة الهروب مندفعاً خلال الظلام، وخرج إلى نور الشمس، إلى العالم الحقيقي. واجداً نفسه إنساناً حراً.

وعندما رجع إلى الآخرين قائلاً لهم باكتشافه المدهش، شارحاً أن معاناتهم ناتجة من أوهامهم، وتوهمهم أن عالماً جديداً ليس موجوداً خارج الكهف. لكنهم لم يصدقوا قوله. بل قالوا أنهم يعرفون ما هي الحقيقة، واحتقروه ورفضوه قائلين أنه واهم مهووس في ضلال وبقوا في يأسهم الخفي ومعاناتهم.

يوجد طريق للخروج

الإنسان جوّال خائف. تلك حقيقة ظاهرة يمكن ملاحظتها. لكن يوجد حقيقة ثانية من النادر أن يلاحظها الإنسان. تلك هي الطريق الوحيدة التي بواسطتها أمكن لأي كائن بشري التخلص من آلام الإنفصال، العزلة والوحدة.

إختطف أمير عند ولادته من قصر والده. تربى بالفقر والحرمان في قرية تعيسة. لكنه تمرّد على الفقر في حياته بحرص ووضع خططاً ليصبح ملكا على البلاد. ومن خلال سلسلة من الأساليب والخطط والمعارك، سيطر على العرش. لكنه كان قلقاً وعدائي. وباستيلائه على المملكة بالقوة عاش بخوف وخشية من طموح رجال آخرين. لقد كانت حالة تعيسة من يوم بعد يوم.

بعد مدة عرف حقيقة شخصيته، أنه بحق الولادة ملك. ورأى عبث محاولة الحفاظ على العرش بالقوة لما هو من حقه بالوراثة. الأن، بهذا الوعي، ليس هناك خوف، أو تهديد، بل حالة من السؤدد والاطمئنان والسكينة.

كتب الدوس هكسلي:

لأننا لا نعرف من نحن، لأننا لا نعلم أن مملكة السماء في داخلنا، نتصرف عموماً بحماقة، غالباً بغباء، وأحياناً بطرق إجرامية هي سمة إنسانية. إننا نُنقذ، إننا نتحرر

ونستنير، بإدراك الخير الغير مُدرك في داخلنا، بالرجوع إلى أرضنا الطبيعية، ونبقى في المكان الذي كنا دائماً فيه دون أن ندري.

كل إنسان ملك بالمعرفة الواعية لحقيقة ذاته. فهو يحتاج لمحاولة أن يكون أي شيء آخر، إنه يحتاج فقط إلى إدراك من هو بالحقيقة ملك بحق الولادة.

كيف نستطيع ممارسة هذه الفكرة؟

كيف تشعر إذا لم يكن لديك خوف؟

كيف تسلك تجاه الناس الآخرين إذا أدركت عدم قدرتهم على ضررك؟

كيف تشعر تجاه سوء الحظ إذا رأيت أنه ليس باستطاعته أن يزعجك؟

كيف تفكر نحو نفسك إذا عرفت أنك كنت على حق؟

إن إجابتك على هذه الأسئلة. هي حالات من الوعي الملكي. بالعيش بتلك الإجابات، تعيش عيشاً ملوكياً.

إنها طريقة مدهشة. شخص مستقل بعمله جالس حول البيت، حصلت له فكرة مدهشة، "إني هنا، جالساً أعمل أي شيء ممتع، لا شيء آمل الحصول عليه، لا أحد أتحدث معه —وأنا لست أعاني من الإكتئاب.

لو يعرف ما كان سيحدث له قبل سنة أو سنتين في حالة شبيهة بحالته الحالية– لكان ارتجف من الخوف والفزع، ومن المثيرات الخارجية. لكنه قد تغير. لم يعد تحت رحمة الأمزجة وتقلباتها إنه يرى من خلال الخداع والوهم للانطباعات السلبية، إنه في حالة من الهدوء والسكينة. هذا كل ما في الأمر.

أعظم سر على الأرض

ما هو أعظم سر على الكرة الأرضية؟

إنه بالاتصال بقوة أعلى، يستطيع الإنسان الحياة حياة جديدة كاملة. هنا في هذه الحياة الدنيا وهناك فيما بعد.

هذا هو أعظم سر على الأرض.

الطريق الباطني الخفي الروحاني المستنير "الإنيسوترك" يؤدي غالباً إلى تلك الحياة السامية.

كيف يقضي الشخص العادي يومه؟ يمكن تشبيهه برقاص الساعة. يحدث شيء سعيد في حياته الظاهرة، ربما زيادة في الراتب، أو مكافأة، فيشعر بالراحة. لكن في اللحظة التالية، بغرابة، تصبح الزيادة في الراتب والمكافأة بدون معنى، لذا فهو ينقلب إلى حالة من الكئابة وانقباض النفس. ويقضي يومه متأرجحاً متعباً من حالة إلى حالة مناقضة لها –بين الثقة بالنفس والخوف، بين السرور والحزن، الهدوء والعصبية، السلام والغضب، اتخاذ القرار والتردد وعدم اتخاذ أي قرار. من غير فائدة قطعياً لرجل أن يحاول تغيير أو إصلاح طبيعته القديمة. فلا يمكنه تحسينها بأي طريقة مهماكانت. هنا يخطئ كل واحد خطأه الكبير. إذ يعتقد أنه يستطيع تغيير ذاته الكاذبة، وهذا غير ممكن. الذات الكاذبة تعطي وعوداً لذاتها، والتي لا تستطيع أن تحفظها، مثل الصقر لا يمكنه تغيير ذاته إلى حمامة. ما فائدة عمل عهود بطولية للإصلاح، إذا كان الكاسر للقانون القديم يسعى لحفظ ذلك القانون كما كتب رالف والدو إمرسون. من الطبيعة الثابتة للذات الكاذبة أن تكون سلبية، كما أن من طبيعة النار أن تكون حارة.

التغلب على الحاجز للسعادة

الطبيعة الكاذبة لا يمكن، وليست بحاجة للتغيير، لكن يمكن إذابتها واستبدالها بالذات الحقيقية. حاول أن ترى الفرق في جهد غير ممكن لتغيير الذات الكاذبة وبين استبداله بذاتك الأساسية. فالصقر لا يمكن تغييره إلى حمامة، لكن يمكن استبداله بحمامة.

تـذكر، الـذات الكاذبـة هـي وهـم وكـذب، ليـسـت موجـودة،لكن، بالاعتقـاد بهـا، والعمل والتصرف كأنها موجودة حقيقيـة تبـدو وهمـاً موجـودة. في الحقيقـة يوجـد ذات واحدة، قوة واحدة.

الذات الحقيقية كمـا يقـول الإنجيـل، هـي مملكـة الـسماء في البـاطن (الـداخل). إنهـا ذاتك العليا، الألوهية في الإنسان. الآن، حيث أن كل إنسان يمتلك هذه الـذات الحقيقيـة، إنها النفخة الإلهية في الإنسـان ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩) (إنهـا النفخة الإلـهيـة في الإنـسـان...، مـا هـي إمكاناتنـا حين نطلـق سـراحها مـن خـلال وعينـا ومعرفتنا (awareness) لوجودها؟ إنه كل شيء خيّر وبهيج ومُرضي. قبـول هـذا كحقيقـة الآن، حتى إن لم تكن تشعر أنه كذلك. إنس شعورك واقبل الحقيقة. يقـول وولـف وتيمـان في أغنيته لذاتي:

إني موجود كما أنا –هذا يكفي

إذا لم يكن آخر في العالم عارفاً أني أجلس قانعاً

إن عملنا هو أن نـذيب الـذات التخيليـة (الوهميـة) من مركزنـا (جوهرنـا) الحقيقـي للوجود. ذلك هو الطريق الحقيقي، الوحيد للصحة الإنسانية. إنه الشفاء الأكيد. إنه مثل إزالة غطاء مشوه عن تمثال، مما يمكننا أن نرى شكله الحقيقي.

يبدو أن الحاضر الوحيد الأكبر للحصول على ماذكرنا هو افتراض الرجل السري أنه يعرف سابقاً الأجوبة لمشاكله.

إن قوة هائلة تعمل للرجل الذي يصادفه تحدي مشكلة باعترافه الأمين، "إني لا أعرف الحل". فهو بإعطاء وإدارة عجزه وعدم حيلته إلى القوة الباطنـة، يمكنهـا أن تكـشف الحـل والإجابة. إنه كإعطاء المواد الأساسية إلى صانع سجاد ماهر، نعرف أنه يـستطيع أخـذ مـا نقدمه وحياكة شيء أكثر جمالاً واتقاناً ما يمكننا نحن عمله.

تمامـاً مثـل شـخص تحـت سـيطرة سـاحر مـسرحي لا يعـرف أنــه في حالـة تنـويم مغناطيسي، كذلك لا يوجد رجل واحد يرى أنه يعيش حياتـه طبيعياً دون أن يـدرك أنـه

منوم تنويماً مغناطيسياً . بالطبع كيف يمكنه أن يعرف؟ بينما هو تحت تنويم مغناطيسي ، فليس لديه أي أساس للمقارنة بين تنويمه المغناطيسي واليقظة. لأن الرجل المنوَّم يعرف فقط التنويم المغناطيسي ، وهو سوف يحتقر أي إمكانية أخرى. هناك إمكانية لكسر هذه التعويذة التي يعاني منها الأغلبية الساحقة للجنس البشري .

إيجادك لذاتك الحقيقية يغير كل شيء

الإنسان لديه إحساس كاذب بذاته ، يعتقد أنه ذاته الكاذبة ، بينما هو ليس كهذا التفكير والاعتقاد . إنه هو ذاته الحقيقية ، لكنه لا يعرفها . إن جميع ما يقاسية الإنسان يمكن إرجاعه كلياً إلى محاولته العبثية ليبرهن إحساسه الكاذب بإثبات ذاته الكاذبة . مثلاً من خلال حافز إجباري لأن يُعجب الآخرون به ، ويصفقون له . الذات الأنانية تتوق وتطلب التهليل والتصفيق لإظهار الاستحسان ، لكن الإنسان ليس ذاته الأنانية (الأنا) Ego-self .

الشر الوحيد هو الجهل ، عدم المعرفة ، الفشل في رؤية ذاتنا الحقيقية الأصلية . بالدرجة التي نتعلم كيف نعيش بموجب ذاتنا الحقيقية ، فإن آلامنا وغباءنا يزول بعيداً ، ليُستبدل بالسلام والحكمة .

يقول أحدهم :"هذا عالم شرير . لا أعرف كيف يمكن للمرء أن يعيش حياة رائعة فيه" .

"إذا زرعت بصلة خزامى الـ(لافندر) في رقعة غنية بالأعشاب ، فإنها ستنمو إلى نبتة خزامى" .

السؤال الصحيح هو : كيف نستطيع أن نحرّر ذواتنا من القوى الكاذبة للطبيعة القديمة؟

نقل المؤلف أوسبنسكي عن الصوفي الحديث جورج غورداف : الحرية ، التحرير ، يجب أن يكون غاية الرجل ليصبح حراً ، ليكون محرراً من العبودية : هذا

ما يجب للرجل أن يكافح من أجله حتى عندما يصبح واعياً قليلاً بموقعه. لا يوجد شيء آخر له، لا يستطيع أن يقطع عبوديته خارجياً بينما لا يزال عبداً داخلياً (باطنيا). لذا كي يصبح طليقاً حراً، على الرجل أن يكسب حريته الداخلية أولاً.

أول سبب لعبودية الإنسان الداخلية هو جهله، وفوق كل ذلك جهله بذاته. بدون معرفة الذات، بدون فهم عمل وظائف آلته الجسدية، لا يستطيع أن يكون الرجل حراً، لا يستطيع أن يحكم ذاته وسيبقى دائماً عبداً، ولعبة للقوى التي تعمل عليه لهذا فإن كل التعاليم القديمة أول طلب لها في طريق التحرير كان: "إعرف نفسك (ذاتك)".

الجذور الروحانية الإنسانية

قوية، وحكيمة هي الروح، وجميلة البذور الإلهية هي كامنة فينا: نحن آلهة، قديسين، أبطال، إذا أردنا

"ماثيو آرنولد"

إن كل واحد منا يحمل في داخلة وأعماقه الأسباب والبذور التي تقرر مصيره. أحياناً هذه الأسباب ليست كثيراً روحانية كما هي سيكولوجية "التحفيز"، وعندما تلتوي هذه الحوافز من خلال الخوف، الكره، الحسد، المرارة، أو الغيظ يمكن لحياتنا أن تساق في أوضاع مفجعة، مشؤومة ونحسة. لكن مهما كانت الحوافز أو الدوافع السيكولوجية مدفونة عميقاً في العقل الباطن، فإنه يمكن التغلب عليها بالفهم والإدراك الروحي.

هذا الفهم يمكن الوصول إليه بالفهم العقلي الذهني، بالألم والمعاناة، أو ببساطة بالتواضع وغالباً الثلاثة جميعاً، لكن حين هذا الوصول يبدو الأمر كأنه ميلاد جديد للنفس (الروح الإنسانية).

إن تخيلك وتصورك لذاتك لم يوجد بالحقيقة أبداً، لأنه شيء يتغير مع الفصول ويتبدل مع التيار والمد والجزر. إن كونك الجوهري بالحقيقة هو شيء ثابت دائم، لا يتغير، أساسه مزروع في اللانهاية. لأن النفس القديمة (الذات الكاذبة الوهمية السفلى) تذهب أو تزول وحينئذ تدرك وتلتصق إلى النفس الجديدة (الذات الحقيقية السامية) وهذا هو أساس النمو الروحي. فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]

إن من ينظر للعالم من خلال الذات أو النفس الكاذبة السفلية (الأنا ego) يرى كل الأشياء موجودة خارج ذاته. إنه يشعر بالإنفصال، وأنه معزول، ويظهر العالم له كسلسلة من الأشياء الغير متصلة ويرى الأشياء جميعها تمتلك مخاطر موجهة عليه.

ويشعر أنه صغير، غير محبوب. كما يظهر العالم له قاسي وغير عادل. لكن عندما يستقيظ ويعرف نفسه الروحانية الحقيقية، تذوب جميع المخاوف القديمة والكره والمرارة. ومن ثم يرى قربه ونسبه بجميع الأشياء، ويفهم ويدرك الحقيقة الروحية الذاتية. وينمو إلى وحدة مع المخلوقات جميعها مما لا يبقي أي أثر لذاتيته الشخصية الكاذبة السفلى الوهمية وجراحاتها. وبتركه لنفسه السفلى الكاذبة فإنه يحصل على نفس عظيمة واسعة، نفس تضم كل الأشياء.

ميلاد روحاني

من خلال ميلادنا الروحاني نتغلب على جميع الأشياء. من خلال نموّنا إلى الصورة الروحية للخالق بفهمنا وإدراكنا للنفخة الروحية التي ذكرها تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩) تحقق غاية الحياة. ومن أجل تلك الغاية ارتبطت بالمادة، وبهذه النهاية ستكون يوماً ما حرّة.

أنظر إلى عيون أحبائك وستعرف حالا الحضور الحي للروح. إنها لا تحتاج للوزن، والقياس، والعد، إنها هناك وستعرفها. لا يستطيع الحساب والمنطق تمييزها، ولا يستطيع البرهنة عليها. فالروح تعرف الروح. لأنها نفس الشيء في كل منا.

هناك دائما أسباب. والإنسان يستطيع أن يخطو إلى ناحية النور فيتلقى النعمة والخير أو يرجع إلى الظلمة فيصيبه الحرمان. الأمور تنبني على توجّهات ونوايا قلبية والتوجهات القلبية حرة بيد أصحابها وملك لهم.

ولهذا فإن الصوفي حين سلوكه السامي يبدأ أولاً بتطهير باطنه (وهو ما يسمونه بإعداد المحل)، ويكون ذلك بالعبادة والطاعة والتخلي عن كل خلق ذميم والتخلّق بكل خلق كريم، وبذلك يجعل نفسه أهلاً لتلقي النعمة الإلهية.

سؤال يتبادر إلى الذهن ... إذا كان الله هو الفاعل لكل شيء، فماذا يبقى للإنسان من فعل ولماذا يحاسب وفيم يسأل...؟ وما هذه الكثرة من القوى الفاعلة حولنا؟.

يقول تعالى لنا في القرآن أن الظواهر الطبيعية والقوى المادية تعمل بالتسيير والتسخير والأمر الإلهي والكلمة الإلهية... فكلها جنود مجندة من رياح وأعاصير وزلازل وبراكين وميكروبات وفيروسات.

ولكن الله يجعل لفعل هذه المؤثرات أسباباً وقوانين ليخفي مشيئته فيظهرها، وكأنها تفعل من نفسها... والملائكة شأنها شأن هذه الجند تفعل بالأمر الإلهي.

الكل مظهر لمشيئة الله ... والكل طوع أمره وهذا هو الحال مع كثرة الظواهر الطبيعية ومع القوى المادية ومع الملائكة والملأ الأعلى.. أما مع الإنس والجن والشياطين فنحن مع نفوس مخيّرة وتطيع وتعصي عن اختيار، وتخالف الأمر الإلهي إلى هوى نفوسها، ولهذا جعلها الله محل مؤاخذة ومحاسبة وثواب وعقاب.

الإنسان في القرآن مأمور بالعمل ومكلف ومسئول ومراقب ومحاسب على أعماله.

- ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥]
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]
- ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨]
- ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]
- ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:١٩٥]
- ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩]

يشرح القرآن الازدواج في إسناد الأعمال للرب والعبد وكيف أن عمل الرب لا ينفي عمل العبد، ولا ينفي مسئوليته. فيقول إن الله أقام الإنسان في الأرض خليفة ونفخ فيه من روحه وسخر له الطبيعة وطوّع له القوانين ومكنه من العمل.

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣]

إن الأمر يجري وفق سنن عليا قررها الله في الأزل، والإنسان يعمل بتفويض وتوكيل وله حرية الطاعة والمعصية، وله أن يحسن أو يسيء التصرف في هذا الاستخلاف، وهو مسئول في نطاق هذا التكليف.

حواس روحية

فقل لي من القى إليك علومه	وقد ركدت منك الحواس بغفوة
وما كنت تدري قبل يومك ما جرى	بأمسك، أو ما سوف يجري بغُدوة

ابن الفارض

إن حواس الإنسان الروحية هي نتيجة النفخة التي ذكرها الله تعالى في القرآن في قصة خلقه آدم، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٨-٢٩]

وما حدث في أمر التسوية والتصوير والنفخ في صورة آدم يعود فيتكرر في داخل الرحم في الحياة الجنينية لكل منا، فيكون لكل إنسان تسوية وتصور ثم نفخة ربانية وذلك حينما تتهيأ الأنسجة ويستعد الجنين لتلق هذه النفخة يقول تعالى ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]

... ثم جعل نسله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والبصر والفؤاد . فالسمع والبصر والفؤاد هي من ثمار هذه النفخة الروحية، وإنه تعالى بهذه المواهب ينقل الإنسان من نشأة إلى نشأة ومن مستوى إلى مستوى آخر. وحواس الروح كامنة في الإنسان بالقوة، وعلى الإنسان أن يخرجها إلى الوجود بالفعل كي يستضيء بها، ولا يفعل ذلك إلا الإنسان المؤمن العارف المتصل بربه، أما المحجوب فهو لا يعرف سوى حواس جسده الظاهرة، فقد عطل حواس روحه ونسيها، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩]

الحواس الروحية كثيراً ما نستند إليها، ودائماً ما نمارسها، ولكن دون أن نتدبرها أو نفكر بها، فالإنسان بمجرد أن يأخذه النوم، تنطلق روحه انطلاقاً مؤقتاً دون أن يقيدها الجسم بالقيد المادي الذي يحد من حريتها ويشل من حركتها، وما النوم إلا مظهر انطلاق الروح من الجسم، ولو لم تنطلق الروح لما نام الجسد، وإنه بمجرد نوم الإنسان يبدأ في الحلم، وكل إنسان يحلم رغماً أنه لا يدرك أنه قد حلم.

إن مدة الحلم تبلغ خمس مدة النوم. فلو نام الإنسان ثماني ساعات فإنه يحلم مدى ساعة وست وثلاثين دقيقة، ولكنه حلم متقطع إذ يبلغ عدد مرات الحلم في المتوسط خمس مرات في الليلة الواحدة، والإنسان عند نومه يغلق عينيه تماماً، وبذلك فإن جهاز البصر يتعطل تعطلاً كاملاً أثناء النوم، وبالرغم من ذلك فإن الإنسان يرى في أحلامه رؤية تامة، يميز فيها الأشخاص تماماً ويتضح له المكان وضوحاً شاملاً، يرى كل التفاصل وكل الزوايا رؤية شاملة وكاملة، ولا شك أن هذه الرؤية في المنام إنما تتم بحاسة البصر الروحية، فجهاز الرؤية الجسدية مغلق ومعطل تماماً أثناء الرؤية المنامية، وبذلك فإن للروح حاستها البصرية، ولكنها تختلف عن حاسة البصر المادية، فالرؤية في حالة الجسد لا تتم إلا في الضوء وبمجرد أن يشمل الظلام المكان يتوقف جهاز الرؤية في الجسم، بعكس جهاز الرؤية في الروح، فإنه يعمل ليلاً ونهاراً بمجرد أن ينام الإنسان ولا دخل للضوء أو الظلام في الرؤية الروحية.

الرؤية في حالة الجسد محدودة، إذ يرى الإنسان بعينه لمسافة معينة، تختلف باختلاف قوة العين ودرجة إبصارها، وعمر الإنسان، وعدم وجود عوائق أمام العين تحجب الرؤية. بينما في حالة الرؤية المنامية، أي في حالة الإبصار بالروح يرى الإنسان الأماكن البعيدة والتي بينها وبينه مسافات طويلة، وكذلك ترى الروح ما لا يمكن للجسد أن يراه، لاختلاف طبية جهاز البصر في كل شخص عن الآخر، فترى الروح الأوراح رؤية تامة، فالإنسان في نومه يرى صاحبه أو قريبه الذي مات وانتقل إلى البرزخ، بينما يستحيل عليه ذلك في حالة الرؤية بالعين الجسدية، وهناك بعض الأشخاص يمكنهم رؤية الأرواح وهم أيقاظ... ويقول علم ما وراء الطبيعة أنهم وهبوا خاصية الجلاء البصري، وهو رؤية ما لا يراه الإنسان العادي في حالته الجسدية من سكان عالم الحياة الأخرى.

وكذلك الأمر بالنسبة للسمع، فبالرغم من أن الأذن تعكس العين لا تغلق ولا تتعطل عند النوم، ولا تتأثر بالضوء أو الظلام في عملها، فهي تعمل ليلاً ونهاراً إلا أنه بالنوم لا يسمع الإنسان ما يحدث حوله،وما يقال بقربه إذ تتعطل أجهزة الوعي والصوت ومعرفته، بينما نسمع في النوم عند الأحلام الأحاديث والأصوات من كل مكان وأيا كانت درجتها وأيا كان مصدرها، أحاديث من أحياء أو من موتى، وكثيراً ما يسمع الإنسان زميله النائم وهو يتحدث إما بألفاظ واضحة أو همهمة أو عبارات مدغومة، إنه يتحدث في منامه مع غيره. ويقرر علم ما وراء الطبيعة أن هناك بعض الأشخاص لهم القدرة على استخدام حاسة السمع الروحية فيسمعون أحاديث الروح وهم في حالتهم الطبيعية، وهؤلاء عندهم خاصية الجلاء السمعي.

وقد يقع للإنسان العادي في حياته مرة أو أكثر أن يستخدم حاسة البصر أو السمع الروحية دون أن يدري ... ويظل في دهشة من أمره لا يستطيع أن يفسر ما وقع أو سبب ما حدث، فهذه الأم التي تسمع صراخ رضيعها وهي في الخارج وتسرع في العودة لتجده فعلاً يصرخ تماماً ما سمعته. وهذا الابن يرى صورة والده يلوح له بيده مودعاً وبينهما سفر الأيام والليالي. فإذا به يفاجأ بعد مدة بخبر وفاة أبيه في نفس اللحظة التي رآه فيها يودعه، وهذا الذي قد سمع صوت صديقه، ويستوثق تماماً من صحة ما سمع رغم ما بينهما من مسافة، وغالباً ما يتم ذلك لحاجة هامة، لقضاء أمر عاجل أو تحذير من أمر وشيك الوقوع. آلاف من الحالات تفيض بها الأقسام الدراسية والأبحاث لعلم الباراسيكولوجيأو الأبحاث الروحانية الذي يدرس الآن في معظم جامعات العالم، ويسمى الإدراك لما وراء الحس.

لعل أروع مثل وأصدق برهان على استخدام الإنسان لحواسه الروحية السمعية والبصرية ما حدث للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما توقف في خطبة الجمعة فوق المنبر ليقول: "يا سارية... الجبل"، فلقد رأى بروحه أن الأعداء قاربوا على الالتفاف بجنود المسلمين، وأنه لا منجاه لهم إلا بالتحصن بالجبل. إن ما بين الخليفة عمر وجيوش المسلمين سفر الأيام والليالي، ويأتي سارية بعد ذلك ليقول وكأني سمعتك يا أمير

المؤمنين في صلاة الجمعة تناديني وتقول :"الجبل" ، فالتزمت بما قلت ، ونجانا الله من الأعداء ، لقد سمع سارية بحاسته الروحية ، ورأى عمر بحاسته البصرية الروحية .

وأحيانا يمارس الإنسان بروحة حاسة عجيبة منه غريبه عليه لا يعرف مصدرها ولا كيف هي ، وهي حاسة التنبؤ بأحداث هامة ستقع . كمن يحس اقتراب خبر خطير ، قد يعلم جملته دون تفصيله ، وقد لا يعلم إلا أن أمراً ما على وشك الوقوع وأن خبره لا يرى أخيراً أم شراً . كتلك السيدة التي كانت تزور صديقاتها ، وبينما هي في وسط العشاء معهن ، نهضت مسرعة ، طالبة التوجه إلى منزلها فوراً ، متعللة بأي سبب ، إلا أنها في الحقيقة قد أحست بما يدفعها دفعا للقيام لتذهب إلى بيتها فإن أمراً ما وقع ، ولم تجد شيئاً في بيتها غير عادي ، فاندهشت ولكن إلى لحظات فقط جاء من ينقل إليها خبر موت زوجها فقد كان في سيارته على سفر فانقلبت به السيارة وتوفي .

أو كمن يدرك بهذه الحاسة حقيقة مجهولة ... كمن فقد شيئاً ، وبعد برهة طالت أو قصرت يحس أن هذا الشيء في مكان لا يخطر له على بال ،فما أن يتجه إليه بهذا الإحساس حتى يجده . كحالة السيدة التي فقدت خاتمها في منزلها ، وبحثت عنه في كل مكان يمكن أن تعثر عليه فيه ، ولكن دون جدوى ، وبعد ساعات نهضت من جلستها واتجهت فوراً بإحساس خفي يدفعها إلى الثلاجة ، لتخرج مكعبات الثلج من الحوض ، فتجد الخاتم في إحداها . فقد سقط منها أثناء غسلها للحوض وامتلأ بالماء ، وأصبح الماء ثلجاً .

وحالات مشابهة تعد الآلاف تفيض بها ملفات البحث ومراجع الدرس في الجامعات والمعاهد التي تدرس حاسة الاستشفاف أو ما يسمى الإدراك لما وراء الحس .

أما حاسة التخاطر التي وضعت موضع التجارب العملية بالجامعات منذ أوائل العقد الرابع من القرن العشرين والتي يقول عنها العلم في تعريفها إنها الشعور بنفس الخواطر عن بعد وذلك بانتقال الانطباعات من ذهن إلى آخر على نحو مستقل عن المواصلات الحسية المعروفة كما يقول الدكتور فريدريك مايرز أحد مؤسسي جمعية الأبحاث النفسية في إنجلترا .

وقد أجريت آلاف التجارب لنقل الخواطر بين أفراد على أبعاد مختلفة تبدأ من بضعة أمتار إلى آلاف الأمتار. وقد أجريت على أشخاص لم ير أحدهما الآخر إطلاقاً، واتسعت التجارب وامتدت مسافة البعد بين أشخاص التجارب إلى مسافات كبيرة جداً، فقد أجريت تجارب بين أشخاص في الفضاء في المركبات والأقمار الصناعية وبين آخرين على الأرض وكان مما تناقلته الأنباء العلمية ونشر في الصحف: نجاح تجربة تبادل الخواطر بين الفضاء والأرض ونصه: "صرح المهندس أولدن جونسون السويدي المولد بأنه من الممكن جداً إرسال واستقبال الأفكار عبر مسافات شاسعة في الفضاء، وبأنه يعتقد أن التجارب التي أجريت بينه وبين رائد الفضاء الأمريكي إدغا متشل أحد رواد أبولو ١٤ كانت ناجحة وكان رائد الفضاء متشل قد حمل معه أثناء رحلة أبوللو خمس بطاقات اختبار خاصة. وفي أوقات محدودة كان يلتقط إحدى هذه البطاقات ويركّز تفكيره فيها لمدة ١٥ ثانية في نفس الوقت الذي يكون فيه جونسون قد سبقه في التركيز محاولاً رؤية هذه البطاقات.

وقد تم إجراء ٦ تجارب في هذا النوع كان يتم فيها تكرار هذا الإجراء ٢٥مرة. وقال جونسون أنه في كثير من الأحيان كان يرى البطاقة بوضوح ويتأكد مائة في المائة من ذلك. وتسمى هذه التجارب بتجارب الإدراك الحسي الزائد أو الإضافي. والغريب في الأمر أن جونسون لم يقابل ميتشل في حياته، وكان الاتصال بينهما قبل الرحلة مقصور على الاتصال التليفوني. كما صرح جونسون بأنه استطاع أن يحس بانفعالات رائدي الفضاء ميتشل وألان شبرد عندما كانا يتجولان على سطح القمر.. واستطرد جونسون قائلاً إنه يشعر بأن هذه الوسيلة يمكن استخدامها في الاتصال مع الكائنات الذكية فوق الكواكب الأخرى".

طريقة عمل العقل

كيف يعمل عقلك الظاهر (الحاضر) وعقلك الباطن (اللاشعور) سوياً:

العقل يشبه الكمبيوتر في عملها. إذا اعتبرنا أن العقل الظاهر (الحاضر) هو مُعد برامج الكمبيوتر، وأن العقل الباطن (اللاشعور) هو عقل الكمبيوتر فإن مُعد البرامج يجمع المعلومات من الخارج، ويغذي بها عقل الكمبيوتر، فمثلاً لو أن معد البرامج يغذي الكمبيوتر بالرسائل التالية في برامجه: أنا عصبي المزاج، أنا أشعر بالضيق، أنا خجول، أنا لا أستطيع الامتناع عن التدخين، أنا لا أستطيع مزاولة الرياضة، فإذا أدخل هذا البرنامج إلى الكمبيوتر —فإن الذي سيظهر على شاشة الكمبيوتر هو بالضبط "أنا عصبي المزاج، أنا أشعر بالضيق، أنا خجول، أنا لا أستطيع الامتناع عن التدخين. الخ". فوظيفة عقلك الظاهر (الحاضر، العقل الواعي) هو تجميع المعلومات، وإرسالها إلى العقل الباطن ليغذيها بها. والعقل الباطن لا يعقل الأشياء، فهو ببساطة يخزن المعلومات ثم يقوم بتكرارها فيما بعد كما هي لا أكثر ولا أقل، فلو بُرمجت رسالة لمدة طويلة ولمرات عديدة– فإنها سترسخ وتستقر في مستوى عميق من العقل الباطن، ولا يمكن تغييرها، ولكن يمكن استبدالها ببرمجة أخرى سليمة مطلوبة.

إذا طُلب منك ألا تفكر في قطة بيضاء، أو في حصان أسود، فأنت لا يمكنك أن تقوم بذلك. فأنت غالباً قمت بالتفكير في قطة بيضاء معينة، أو حصان أسود معين. وعند تحليل ما حدث تجد أن العقل الباطن قام بإلغاء كلمة "لا" واحتفظ بعبارة "فكر في قطة بيضاء" و"فكر في حصان أسود".

إن العقل الباطن يحتفظ فقط بالرسائل الإيجابية التي تدل على الوقت الحاضر، فإذا قلت لنفسك: "أنا سأكون بخير" فإن رسالتك لن تكون لها التأثير القوي، يجب أن تكون رسالتك دائماً في الحاضر وليس فيما بعد بالمستقبل. من الأمثلة على الرسائل الإيجابية: "أنا إنسان ممتاز، أنا أحب عملي، أنا سعيد، أنا قوي، أنا هادئ الأعصاب".

القواعد الخمسة لبرمجة عقلك الباطن

❖ يجب أن تكون رسالتك واضحة ومحددة.

❖ يجب أن تدل رسالتك على الوقت الحاضر.

❖ يجب أن تكون رسالتك إيجابية.

❖ يجب أن يصاحب رسالتك العاطفة والإحساس القوي بمضمونها لكي يقبلها العقل الباطن ويبرمجها.

❖ يجب أن تكون رسالتك عدة مرات إلى أن يتم برمجتها.

خطة حتى يكون تحدثك مع ذاتك قوياً وإيجابياً:

١- اكتب على ورقة خمس رسائل ذاتية سلبية كان لها تأثيراً عليك مثل:

"أنا عصبي المزاج".

"أنا أشعر بالضيق".

"أنا خجول".

"أنا لا أستطيع الامتناع عن التدخين".

الآن مزّق أو احرق هذه الورقة التي كتبت عليها هذه الرسالة السلبية وألق بها بعيداً.

٢- اكتب خمسة رسائل ذاتية إيجابية تعطيك القوة والحماسة، وابدأ دائماً بكلمة "أنا":

"أنا إنسان ممتاز"

"أنا أحب عملي"

"أنا سعيد"

"أنا قوي، ونشيط، وأتمتع بطاقة عالية وصحة متألقة"

"أنا هادئ الأعصاب".

٣- اكتب رسالتك الإيجابية في مفكرة واحتفظ بها معك دائماً:

٤- الآن خذ نفساً عميقاً، واقرأ الرسائل الإيجابية التي كتبتها الواحدة بعد الأخرى حتى تستوعبها بصورة جيدة.

٥- ابدأ مرة أخرى بأول رسالة دونتها ي مفكرتك، خذ نفساً عميقاً، وأبعد أي توتر في داخلك، اقرأ الرسالة الأولى عشر مرات بعاطفة وإحساس قوي، أغمض عينيك وتخيل نفسك بشكلك الجديد، ثم افتح عينيك.

ابتداء من الآن احذر ما تقوله لنفسك، وماذا تقوله للآخرين، واحذر أيضاً ما يقوله الآخرون لك. وإذا لاحظت أية رسالة سلبية قم بإلغائها بأن تقول "ألغ" أو "إنس" وقم باستبدالها برسالة أخرى إيجابية.

قال المؤلف جيم رون في كتابه "السعادة الدائمة": "التكرار أساس المهارات"، فيتعين عليك أن تثق بما تقوله، وأن تكرر لنفسك الرسائل الإيجابية، فأنت سيد عقلك، لذا فأنت تتحكم بحياتك، ويمكنك تحويل حياتك إلى تجربة من السعادة والنجاح والصحة المتألقة.

نفخة إلهية مكنونة في النفس الإنسانية

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]

"إن الشيء الذي يبحث عنه الإنسان الفاضل هو موجود في نفسه أما الشيء الذي يبحث عنه الإنسان العادي فهو موجود في الآخرين" كونفوشيوس.

يقول ابن عربي مشيراً إلى النفس الإنسانية الـ"أنا":

أنا لغز ربي ورمزه

أنا الصدفة التي تخفي اللؤلؤ (يعني الهيكل الطيني الذي يخفي داخله الأنوار الإلهية).

أنا القمر تتجلى فيه الشمس (كنوز الله تتجلى في الإنسان)

أنا الظل الذي يلقيه السراج في عالم الامتداد والإمكان (والسراج هو الله) مشيراً بذلك إلى الآية القرآنية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان:٤٥-٤٦]

فظل الله في الأرض خليفته وهو الإنسان ودليل الإنسان في الأرض هو ربه أو شمسه والله قد ألقى بالإنسان في عالم الامتداد والإمكان ثم هو يقبضه إليه قبضاً يسيراً بالموت وهذا القبض يسير لأنه إلى حياة برزخية وإلى بعث وليس إلى فناء.

يقول الإمام أبو العزايم عن نفسه قاصداً الإنسان عامة:

أنا كنز ربي ورمزه

أنا مظهر الجمال طلعته

ذاتي مظهر لكشف اللثام

وهيكل ذاتي اللوح سُطّر بالسر.

ويجيب على قوله من أنا:

إن قلت مصباح نور من جلالته ... فالقول لا يُدركن إلا لأمثالي

أو قلت صورته العليا بالنو ... ر نور التجلي غيب متعالي

أو قلت قبضته العليا من أزل ... لاحت تشير إلى نور البها العالي

فالقول لا يكشفن قدري ومنزلتي ... إلا بسابقة الحسنى لذي الحال

سرٌّ؟ نعم لاح في طين وفي حمإ ... لم يتضح فيه تفصيلي بإجمالي

ويقول عن نفسه:

فظاهري الرمز المشير لباطني ... إذا فُكَّ لاح النور من فيض إمداد

آه إن كشف الحجاب ... واحتست روحي الشراب

يظهر الغيب المصون ... فأدى العجب العجاب

آه إن مكسو الرموز ... يظهرن لب اللباب

وأرى أني صورة ... حُمِّلت بالانتساب

ويقول عن النفس الإنسانية:

مجمع الأضداد كنز غامض ... لم تر أسراره كل العيون

لم أبح بالغيب في لأنني ... إن أشرت إليه أرمى بالجنون

النفس مجمع الأضداد لأنها تجمع بين حضيض سفل العناصر (مستوى سفلي وهمي كاذب) وأعلى عليين الأنوار الإلهية (مستوى علوي سامي حقيقي) فهي (الثلج والنار قد جمعا برحمته) والإنسان في حالة البعد عن الله تراب وطين وشهوات وغرائز، وفي حالة القرب والجمع على الله نور على نور يرى ببصر الله ويسمع بسمعه، وهو في الحالتين لا يفارق العبودية.

لوح آيات التجلي هيكلي ... جامع الضدين حتمي أولي

الإنسان مجمع البحرين يلتقيان ولا يمتزجان بينهما برزخ لا يبغيان المادة وبحر الروح بحر العبودية وبحر نور الألوهية، بحر المفارق والمجانس، ولا امتزاج ولا اتحاد ولا حلول.

الروح مجانسة للملكوت والملأ الأعلى في صفاتها ونورانيتها، والجسد مفارق للملكوت والملأ الأعلى بكثافته وغلظته ومجانس للشياطين بناريته ولكنه بالرياضة والمجاهدة يصفو ويجانس الروح.

بالمرض عُرفت الصحة وبالسواد عُرف البياض وبالسفل عُرف العلو فكان الجسد بهذا المعنى وسيلة إدراك ومعرفة ومعراج صعود إلى العلو وهذا شرفه.

فرسمي معراج لحضرة قربه ونفخته شمس تضيء وجودي

وفي حالة تدني النفس إلى أوحال الجسد المادية واشتغالها بإشباع شهوات الجسد فإنها تثقل وتعتم وتجانس الجسد في كثافته وظلاميته وغلظته وهذا هو معنى ظلم الإنسان لنفسه.

وأما الحركة صعوداً وهبوطاً فهي حركة النفس، أما الروح فهي دوماً في الإطلاق. الروح في الجسد مثل الشمس في ماء البئر تظهر فيه دون أن تتحيّز، كذلك النور الإلهي.

الروح دوماً مجذوبة إلى الله، إلى أصلها، وهي بالتالي تجذب النفس إلى العلو، بينما الجسد متدن وفي حالة قصور ذاتي يشد النفس إلى السفل إلى ماديته.

الإنسان عند الصوفية مجمع حقائق (كل ما تراه في الكون مفرقاً تجده في الإنسان مجمعاً فهوالكتاب الجامع للكون صفحاته، ففيه مادة الكون وعناصره، وفيه طين الأرض، وفيه سماوات داخلية لا نهائية وفيه أنوار الشموس وناريتها في غرائزه وإشراقاته وإلهاماته، وفيه الحقائق الغيبية كلها فقلبه عرش الرحمن ونفسه اللوح وعقله القلم ومنصته التجليات التي تتجلى فيها الأسماء والصفات الإلهية، وهو الرق المنشور الذي سطر الله فيه قدره، ومن داخله البحر المسحور وبحر النور المتفجر الفياض بالجود الإلهي. وجسمه المشكاة، وبصيرته الزجاجة وقلبه المصباح

وعبوديته لله هي هي مدده الذي يستمد كالزيت النور الإلهي الذي يضيء دون أن تمسسه نار كما جاء في إشارات صورة النور:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥]

الإنسان عند الصوفية صورة الكل في الكل، بسبب النفخة التي نفخها الله من روحه في صورته الطينية، وروحه جامعة لجميع الحقائق وكلية في صفتها ولهذا عقد الله للإنسان الخلافة وأسجد له الملائكة.

نظرية الصوفية أن الإنسان يجمع في نفسه كل الحقائق تجعل للإنسان سيادة هائلة على الكون والظواهر والأمور الغيبية، وترفع درجته إلى ما يلي الله وتجعل كل ما خلق الله يأتي بعده.

وهذا حال الإنسان إذا عرف نفسه وأدرك رتبته ووعى حقيقته وتصرف على مقتضى هذا التشريف الرفيع الذي شرف به خالقه.

في كتاب المخاطبات للنّفري يقول الله سبحانه:

سرّك يرى بدون عين ويسمع بدون أذن

سرّك يعيش في الأبد وجسدك يعيش في المواقيت

سرّك لا تحيط به الألباب ولا تتعلق به الأسباب.. أنت مني ... أنت تليني ..وكل شيء في الوجو يأتي بعدك ..لا شيء يقدر عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك، فأنت أقوى من الأرض والسماء وأقوى من الجن والنار أقوى من الحرف والأسماء، أقوى من كل ما بدا.. في دنيا وآخره. إذا تحققت بسرّك تحققت بي ... أنا الذي منه كل شيء.

القرآن الكريم يصف الملائكة المقربين: "العالين" ويصف المؤمنين بأنهم "الأعلون" وبذلك يرفع الإنسان المؤمن فوق الملائكة المقربين.. ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ

﴿أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٥] ويخاطب سبحانه إبليس قائلاً: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]

والأعلون هم الملائكة المقربين الذين لم يؤمروا بالسجود وفي ذلك يقول الإمام أبو العزايم: وفي "أنتم الأعلون" سر مكانتي ... تجاوزت "العالين" في تلك القرب هذه حقيقتك أيها الإنسان وهذه مكانتك.

ولكنك إذا غفلت عن هذه المكانة وتدنيت وانحدرت وأسلمت نفسك إلى طينتك وغرائزك البهيمية ومادتك العمياء لتقودك، فإنك تنزل بها إلى درك الهلاك.

والشيطان بحسده وغيرته يحاول دائماً أن يُضلك عن ميراثك الروحي ويحبس انتباهك في طينته الكثيفة وغرائزه حتى يوردك مهلكه ويُشركك مصيره.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]

إنه صراع وابتلاء تمتحن فيه الأنفس ليعرف الخبيث من الطيب، فالخبيث فإلى جهنم وأما الطيبون فيدعون إلى مكانتهم ومستواهم وتفتح لهم مستويات السماوات وتسخر لهم كنوزها في نعيم خالد.

مستويات النفس الإنسانية

مستوى سفلي وهمي ومستوى علوي سامي حقيقي

يعيش الإنسان بنفس ذات مستويان متناقضين: نفسه (ذاته) الحقيقية (The Self) ونفسه (ذاته) الكاذبة (False Self).

في البدء من الصعب أن تدرك هذا التمييز، لكنها خطوة أولى رائعة نحو الكمال! الذات (النفس) الكاذبة تتكون من كل شيء سلبي داخل الفرد. طبيعتها أن تكون حسودة، عاجزة، يائسة، غاضبة، عصبية، قلقة، إنتقادية، غير مستقرة، وكل شيء آخر ذو عداوة للسعادة. الديانات تسمي الذات الكاذبة الشيطان أو الإثم أو الخطيئة؛ الفلسفة ترى أنها الطبيعة السفلى؛ علم النفس الحديث يسميها الذات –الأنا (ego-self) التي تعيش في الوهم.

لكن مهما كان الاسم، فإنه سبب الضغط الداخلي، الذي يتفجر خارجياً في الحروب، الإجرام، وغيره من المآسي الاجتماعية.

الرجل المسيطر عليه من ذاته الكاذبة لا يعيش يومه، بل إنه مسوق فيه. إنه مطارد من رغبات إجبارية، متألم بغضب أوتوماتيكياً، خائف من خيالات وأوهام غير حقيقية. لأنه يثبت شخصيته بهذا الرعب، إذ أنه يعين ويدرك ذاته ظلماً بذاته الكاذبة، فيأسه لا نهاية. إنه مُمسك بعدو غير ظاهر. السبب والجذر الأساسي لمشكلتك هو أنك لا تستطيع أن تخرج عن ذاتك.

من غير فائدة لرجل أن يحاول تغيير أو إصلاح طبيعته القديمة. إذ لا يمكنه تحسينها بأي طريقة مهما كانت. هنا يخطئ كل واحد خطأه الكبير. إذ يعتقد أنه يستطيع تغيير ذاته الكاذبة، وهذا غير ممكن. الذات الكاذبة تعطي وعوداً لذاتها، والتي لا تستطيع أن تحفظها، مثل الصقر لا يمكنه تغيير ذاته إلى حمامة. ما فائدة عمل عهود بطولية للإصلاح

إذا كان الكاسر للقانون القديم يسعى لحفظ ذلك القانون، كما كتب رالف والدو إمرسون. من الطبيعة الثابتة للذات الكاذبة أن تكون سلبية، كما أن طبيعة النار أن تكون حارة.

التغلب على الحاجز للسعادة

الطبيعة الكاذبة لا يمكن "ليس بحاجة للتغيير، لكن يمكن إذابتها واستبدالها بالذات الحقيقية. حاول أن ترى الفرق في جهد غير ممكن التغيير للذات الكاذبة وبين استبداله بذاتك الأساسية الحقيقية. فالصقر لا يمكن تغييره إلى حمامة، لكن يمكن استبداله بحمامة. تذكر، الذات الكاذبة هي وهم وكذب، ليست موجود، لكن، بالاعتقاد بها، نعمل ونتصرف كأنها موجودة حقيقة. في الحقيقة يوجد ذات واحدة، قوة واحدة.

الذات الحقيقية كما يقول الإنجيل، هي مملكة السماء في الباطن (الداخل). إنها ذاتك العليا، الألوهية في الإنسان. الآن، حيث أن كل إنسان يمتلك هذه الذات الحقيقية، ما هي إمكاناتنا حين نطلق سراحها من خلال وعينا ومعرفتنا (awareness) لوجودها؟ إنه كل شيء خيّر وبهيج ومُرضي. يمكنك قبول هذا كحقيقة الآن، حتى إن لم تكن تشعر أنه كذلك. إنسى شعورك واقبل الحقيقة.

يقول وولف وتمان في أغنيته لذاتي:

إذا لم يكن آخر في العالم عارفاً، إني أجلس قانعاً.

إن عملنا هو أن نذيب الذات التخيلية (الوهمية) من مركزنا (جوهرنا) الحقيقي للوجود. ذلك هو الطريق الحقيقي، الوحيد للصحة الإنسانية. إنه الشفاء الأكيد. إنه مثل إزالة غطاء مشوه عن تمثال، مما يمكنا أن نرى شكله الحقيقي.

يبدو أن الحاجز (المانع) الوحيد الأكبر للحصول على ما ذكرنا هو افتراض الرجل السري أنه يعرف سابقاً الأجوبة لمشاكله.

إن قوة هائلة تعمل للرجل الذي يصادفه تحدي مشكلة باعترافه الأمين، "إني لا أعرف الحل". فهو بإعطاء وإدارة عجزه وعدم حيلته إلى القوة الباطنة، يمكنها أن تكشف الحل

والإجابة. إنه كإعطاء المواد الأساسية إلى صانع سجاد ماهر، نعرف أنه يستطيع أخذ ما نقدمه وحياكة شيء أكثر جمالاً واتقاناً ما يمكننا نحن عمله.

تماماً مثل شخص تحت سيطرة ساحر مسرحي لا يعرف أنه في حالة تنويم مغناطيسي، كذلك لا يوجد رجل واحد يرى أنه يعيش حياته طبيعياً دون أن يدرك أنه منوم تنويماً مغناطيسياً. بالطبع كيف يمكنه أن يعرف؟ بينما هو تحت تنويم مغناطيسي، فليس لديه أي أساس للمقارنة بين تنويمه المغناطيسي واليقظة. لأن الرجل المنوَّم يعرف فقط التنويم المغناطيسي، وهو سوف يتحتقر أي إمكانية أخرى. هناك إمكانية لكسر هذه التعويذة التي يعاني منها الأغلبية الساحقة للجنس البشري.

إيجادك لذاتك الحقيقية يغير كل شيء

الإنسان لديه إحساس كاذب بذاته، يعتقد أنه ذاته الكاذبة، بينما هو ليس كهذا التفكير والاعتقاد. إنه هو ذاته الحقيقية، لكنه لا يعرفها. إن جميع ما يقاسية الإنسان يمكن إرجاعه كلياً إلى محاولته العبثية ليبرهن إحساسه الكاذب بإثبات ذاته الكاذبة. مثلاً من خلال حافز إجباري لأن يُعجب الآخرون به، ويصفقون له. الذات الأنانية تتوق وتطلب التهليل والتصفيق لإظهار الاستحسانن لكن الإنسان ليس ذاته الأنانية (الأنا) Ego-self.

الشر الوحيد هو الجهل، عدم المعرفة، الفشل في رؤية ذاتنا الحقيقية الأصلية. بالدرجة التي نتعلم كيف نعيش بموجب ذاتنا الحقيقية، فإن آلامنا وغباءنا يزول بعيداً، ليُستبدل بالسلام والحكمة.

يقول أحدهم: "هذا عالم شرير. لا أعرف كيف يمكن للمرء أن يعيش حياة رائعة فيه".

"إذا زرعت بصلة خزامى الـ(لافندر) في رقعة غنية بالأعشاب، فإنها ستنمو إلى نبتة خزامى".

السؤال الصحيح هو : كيف نستطيع أن نحرّر ذواتنا من القوى الكاذبة للطبيعة القديمة؟

نقل المؤلف أوسبنسكي عن الصوفي الحديث جورج غورداف : الحرية ، التحرير ، يجب أن يكون غاية الرجل ليصبح حراً ، ليكون محرراً من العبودية ؛ هذا ما يجب للرجل أن يكافح من أجله حتى عندما يصبح واعياً قليلاً بموقعه . لا يوجد شيء آخر له ، لا يستطيع أن يقطع عبوديته خارجياً بينما لا يزال عبداً داخلياً (باطنيا) . لذا كي يصبح طليقاً حراً ، على الرجل أن يكسب حريته الداخلية أولاً .

أول سبب لعبودية الإنسان الداخلية هو جهله ، وفوق كل ذلك جهله بذاته . بدون معرفة الذات ، بدون فهم عمل وظائف آلته الجسدية ، لا يستطيع أن يكون الرجل حراً ، لا يستطيع أن يحكم ذاته وسيبقى دائماً عبداً ، ولعبة للقوى التي تعمل عليه لهذا فإن كل التعاليم القديمة أول طلب لها في طريق التحرير كان :"إعرف نفسك" .

الله معنا

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]

قانون الحياة

هذا الحديث دار في مكتب منزل الدكتور البرت عميد قد قسم الفلسفة في جامعة تكساس الأمريكية. حيث زاره صديقه القديم السيد وليم، الذي حدث له سلسلة من الانتكاسات والفشل في أعماله وتجارته.

لقد كان وليم في حالة ضغط نفسي وكآبة. فقد دعى د .ألبرت صديقه وليم لهذا اللقاء، إذ كان عارفاً بأوضاعه الجديدة المتدهورة وحالته النفسية والاجتماعية، لبى وليم الدعوة بتردد ومضض.

كان المكتب بارداً وهادئ. أخذ كل من الرجلين مقعداً مريحاً فيما كانا يدخنان بتفكير عميق. الهدوء والسكون بينهما لم يكن مضغوطاً. فقد عرف كل منهما الآخر مدة طويلة.

أخيراً قال وليم "كنت أفكر أفكاراً سلبية جداً ومشوشة. إني متعب جداً، والضغط النفسي علي شديد، لم يعد شيء لدي إلا الفشل والانقباض النفسي والكآبة.

قال د . ألبرت: "لنفرض أن الضغط النفسي يمكن إرخاءه بيسر؟ لنفرض أنه يمكنك أن تريح وتستريح؟ لنفرض أنك تستطيع أن تجد الحياة جذابة وممتعة مرة ثانية؟" .

"أشك أن لدي الإمكانيات للقيام بهذا المجهود . إني كثير التعب والإرهاق. أتصور أني قد استسلمت لهذه الحالة السلبية" .

قال د . ألبرت: "طيب، ألم يخطر لك يا وليم، إنه ربما يوجد أسباب طبيعية تماما للمصاعب التي ألمّت وأحاطت بك؟ لنفرض أنك تجد أنه يوجد قانون للعيش والحياة تماماً عادلاً وصحيحاً وصادقاً وأنك تنتهكه وتنقضه وتخالفه من سنين عديدة؟ ألا

يؤدي ذلك إلى الحالة التي تمرّ بها حالياً؟ وإن التجارب مع هذا القانون وتطبيقه سيؤدي إلى إزالة وتحويل حالتك السلبية وورطتك وتكهناتك الحالية إلى ضوء مختلف تماماً؟.

إذا تم تعريفك بهذا القانون وتحديده وبيانه لك، ورأيت أنك لست بحاجة إلى أن تقاسي من الانكسار والفشل والإنهاك مرة ثانية، كيف يكون شعورك بالعيش والحياة؟".

"بالطبع، سيكون ذلك مختلفاً، الحيرة والارتباك والاضطراب قد قهرني، أكثر من أي شيء. الإدراك والمعرفة، المعرفة حقاً، ستجعل الأمور مختلفة". "هذا هو القانون يا وليم: سلّم أمرك وذاتك لله". سأل وليم، "أسلّم أمري وذاتي". "تماماً سلّم نفسك لله. أشعر بنفسك بين يدي الله، أشعر أن يد الله ونفحته القدسية تغمرك، كما هو في الواقع. فالنفخة الروحية الإلهية مكنونة في النفس الإنسانية. الإنسان ليس جسداً فحسب، ولكنه جسد تماذجه النفس وأيضاً روح هي من روح الله أصلها.

فكر في نفسك أنك لست وليم فقط بل يمازجك نفحة من روح الله. سلّم نفسك، أعطي حياتك، كل فكرك وعملك وحركتك لله. ستزول جميع الآلام، وكل الفشل والقهر، وكل الحزن والإنقباض النفسي والقلق والأفكار السلبية الهدامة". "هذا يعني شيئاً عمله صعب". "مهما كان الأمر، قم بهذا العمل، لمدة أربعين سنة كنت تدير حياتك بنفسك، الآن، حاول أن تحوّل حياتك وتضعها بيد الله. كُفّ عن فرض إرادتك ورغباتك على سير وتخطيط قانون الكون والحياة. استكشف التغيير الهائل الذي سيحصل بحياتك حينما تنقلها وتحوّلها إلى الخالق".

وافق وليم على المحاولة، بعد أسبوع كان قد استعاد ثقته بنفسه وروحه السامية. وقبل إنقضاء العام كان قد أعاد تدبير أعماله وتجارته ونموها ونجاحها وتحسنت حياته وصحته النفسية والجسدية.

الله معنا

كتب "كميل فلامريون" في كتابه "الله في الطبيعة" :"إذا انتقلنا من ساحة

المحسوسات إلى الروحانيات، فإن الله يتجلى لنا كروح دائم موجود في حقيقة كل شيء".

"ليس هو سلطان يحكم من فوق السماوات، بل حي قيوم مستتر مهيمن على كافة الموجودات!". "ليس مقيماً في جنة مكتظة بالصلحاء والملائكة! بل إن الفضاء اللانهائي مملوء به". هو موجود مستقر في كل نقطة من الفضاء وفي كل لحظة من الزمان وهو قيوم لا نهائي منزه عن الزمان والمكان والتسلسل والتعاقب.

إن النظام العام الحاكم في الطبيعة وآثار الحكمة المشهودة ي كل شيء المنتشرة كنور الفجر، لا سيما الوحدة التي تتجلى في قانون التطور الدائم تدل على أن القدرة الإلهية المطلقة هي الحوافظ المنتشرة للكون، هي النظام الحقيقي، هي المصدر الأصلي لكافة القوانين الطبيعية وأشكالها ومظاهرها. ويقول الدكتور "راين": إنه ثبت من أبحاثه في المعامل والمختبرات، أن في الجسم البشري روحاً أو جسماً آخر غير منظور.

ليس كمثله شيء

إن الله ليس كمثله شيء، فإذا قيل إن الله يسمع، فليس ذاك بأذن كآذاننا. أو يرى، فليس ذلك بعين كأعيننا. وإذا قيل يده فوق أيدينا، فليس الوصف لجارحة كأعضائنا.

ولقد وردت في القرآن الكريم كلمات عن الوجه، واليدين، والأعين، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء، والقرب من العباد ... الخ. حاول كثيرون بيان دلالاتها واستكشاف حقيقتها، فلم يفلحوا ولم يرجعوا إلا بالحيرة. يقول الحق -في كلامه عن ذاته- ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران:٧

اللغات من وضع البشر على مرّ الزمان:

إن الألفاظ الموضوعة استحدثها الناس لمفاهيم مادية أو معنوية مارسوها وألفوها، ومن هنا فالمجيء بهذه الكلمات للدلالة على أمور مغيبة ليس إلا بياناً للمحسوسات أو المعقولات المألوفة في عالمنا —وصفاً حقيقياً لعالم ما وراء المادة على ضوء هذه الملاحظة نفهم حديث أي لغة عن الله تعالى وعن صفاته العليا. إن الأمر لا يعدو تقريب للحقائق المطلقة لوعينا المحدود.

ولغات البشر إنما هي قوالب صالحة لما يدور في حياتهم من تفاهم، ولكنها دون ما ينبغي لذات الله من تجلية وإدراك.

ولقد اتفق السلف والخلف على ذلك ولكن اختلفت مناهجهم في التنزيه والتمجيد لله جلّ شأنه.

فمنهم من وقف عند ظاهر النص، ولكنه قال: ليس هذا الظاهر على ما تألف في فهمنا المادي للأمور. ومنهم من قال: إن هذا الظاهر ليس مراداً والمقصود كذا .. والهدف واحد تقريباً.

جاء في القرآن الكريم مثلاً ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:٣٩] قال الأولون: أن له عينا ليست كأعيننا. وقال الآخرون: إنما هي الرعاية والحفظ. الفريقين يوافق الآخر على تنزيه ونفي شبهه بالحوادث، ولكن أسلوب التزيه عند هذا غيره عند ذاك.

إن من ارتضى قبول الآيات والأحاديث التي تضمنت أوصافاً لله جل شأنه دون تأويل ينبغي له أن لا يتخذ ذلك ذريعة للتصادم ومحاولة من قصدوا إلى تنزيه الله عن طريق التأويل، وصرف الآثار الواردة إلى المجاز. فإن الذين أولو فعلوا لك خشية أن يئول أمر الألوهية إلى مثل ما عليه أهل الكتاب وغيرهم من تجسيم وأحوال مضحكة.

إن التوراة تحكي: أن صراعاً نشب بين الرب ويعقوب، لم يفت منه الرب إلا بصعوبة، وبعدما قدم ليعقوب لقبه المعروف "إسرائيل"! وكلام الإنجيل عن الله يخيل إليك أنه رب من ولد ووالدة!

إن جنوح المؤولين إلى المجاز، له ما يبرره ويعتذر به عنهم. لكن من الملاحظ أن هذا التنزيه والتأويل والانصراف الدائم إلى المجاز قد أثر على أصل إيمان جمهور العامة، وجعل فكرتهم غامضة عن الله، لا ليست يد، ولا عين، ولا وجه، ولا يوصف بفرح وضحك ... الخ. مما وصف به نفسه. هناك فرق بين أن يحكم العقل باستحالة شيء، وبين أن يعلن عجزه عن فهم شيء. فالعقل يحكم بأن اجتماع النقيضين مستحيل.

فالضوء -مثلاً- لا يكون موجوداً وغير موجود في وقت واحد. ولكن العقل الذي يحكم باستحالة هذا، يعجز عن فهم حقيقة الضوء. ما هي؟ وما كنهها؟ وما انتقالها بهذه السرعة الهائلة؟ وهذا العجز الظاهر لا يمس حقيقة الضوء، ولا يمس وجودها. فعدم علمك بشيء، ليس علما بعدم ذلك الشيء.

والذات الإلهية ليست ذاتاً مبهمة. كما أنها ليست محدودة مجسدة. هي "ذات" لا كالذوات التي يراها الحس أو يتخيلها الوهم، لأنها لو وقعت في دائرة الخيال -مهما امتد واتسع- كانت لهذا المعنى محددة مقيدة. وذات الله -مع أنها فوق أن توصف أو تدرك وفوق أن تحد- قد وصفت في القرآن بصفات كثيرة كالإرادة، والعلم والقدرة، وغيرها. وهي صفات كاملة الكمال المطلق.

ومع هذا فلا بد أن تضاف إلى "ذات" كما تضاف مثل هذه الصفات وغيرها إلى ذواتنا. مع الفارق البعيد بين كمالها في ذات الإله، ونقصها في ذات الإنسان.

جاء في القرآن الكريم كثير من هذه الآيات التي تضيف إلى الله صفات عاملة في الوجود. كقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥] ففي الآيات تعريف بذات الله وأنها تخلق وتعلم. وكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] فالله سبحانه وتعالى مريد. وبإراداته تتعلق مصاير الأمور. كذلك ورد في السنة المطهرة أحاديث كقول الرسول الكريم: "خلق آدم على صورة الرحمن" وقوله: "قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفه كيف يشاء!".

فهذه الآيات وأمثالها لا يمكن أن يقرأها قارئ أو يستمع إليها مستمع دون أن تتحرك في ذهنه صور لهذه الصفات. وأن يكون لهذه الصفات متعلق بأي "ذات" تفيض عنها.

إن حقيقة الذات الإلهية أمر وراء كل ما تتصور. ولكن لما لم يكن بد من التصور فقد أسعفنا القرآن الكريم بالقدر الضروري الذي يسد حاجتنا في هذا المقام فجعل للإله مفهوما غير مجسد "ذاتا" لها العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر وغير ذلك من صفات الكمال التي تليق برب العالمين ... الله ذات ... ولكن ليس كمثله شيء!

لقد تخيل بعض المتكلمين أن التنزيه البالغ يعزل الخالق عن المخلوقات، ويبعد المسافة بين الله والإنسان ... وإنه لوهم في الشعور وخطأ في التفكير، لأن الكمال ليست له حدود، وكل ما ليست له حدود فلا عازل بينه وبين موجود ... وفي القرآن الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥] وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] وقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]

الحكمة الإلهية:

إن شمول الإرادة وعموم القدرة، وكون الله سبحانه يفعل ما يريد متى يريد وكيف يريد، ليس معناه أن أمور الخلق والرزق وشئون القبض والبسط، وخطوط الرفعة والصنعة، والإعزاز والإذلال، والنصر والهزيمة – أن هذه جميعاً تصدر على طريقة الارتجال السريع، أو الخواطر السانحة، أو تتم اتفاقاً وتقع مصادفات عارضة! كلا.

إن الكون كله خاضع لشبكة دقيقة النسيج من الأسباب والمسببات، والسنن الثابتة الخالدة، والقوانين المترابطة المتكاملة، لا تضطرب ولا تختلف ولو أجمع البشر على مناقضتها.

فالثبات يتم نموّه ونضجه بالإرادة والقدرة.

ولكن مظهر الإرادة والقدرة –فيما نعرفه– من غرس وسقي وتعهد، وزمان ومكان.

والجنين يكتمل بشراً سوياً بالإرادة والقدرة.

ولكن اكتماله في أطوار وأحوال، لا بد من توافرها، ويستحيل أن يولد بغيرها. وبقول الله إنه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء. لا يعني –بين عشية وضحاها– يقيم دولة ويهدم أخرى.

فدون إقامة الممالك وقبل إنهيارها توجد مقدمات طويلة تستغرق سنين أو عصوراً، حتى تقع نتائجها اللازمة.

وأصحاب العقول الضيقة والأفكار القاصرة يحسبون أن وصف الله عز وجل بأنه يفعل ما يشاء، معناه أن أحكامه في عباده لا ضابط لها ولا رابطة بينها.

ولعلهم يقيسون سعة السلطان الإلهي على ما عهدوه من تصرفات ذوي السلطة فيهم. أولئك الذين يخبطون خبط عشواء ويعبثون عبث الحمقى. تعالى الله عما يظن الجاهلون علواً كبيراً.

إن الأسباب والمسببات هي المفاتيح الملقاة بين أيدي البشر. ليصلوا بإدارتها إلى ما وراءها من خيراً أو شر.

وعموم المشيئة والقدرة مقيد مما شرع الله في الكون، أو بين الناس من قوانين كونية، أو قوانين شرعية.

كذلك ليس معنى أن الله يفعل ما يشاء، إنه يثيب العاص العاصي أو يعذب الطائع، أي أنه يجوز عليه الظلم، ويقع منه الغبن. وهذا جهل شنيع، ونسبة ذلك إلى الله تكذيب لما قال في كتابه العزيز. ثم إن هذه العدالة مردها إلى ما ينبغي لله من كمالات بداهة، وليس مرادها أنه لو ظلم تعرض لعقبات أو سؤال، فذلك مستحيل. ومن أين يحدث ذلك، وهو المتفرد في الوجود بالألوهية.

من خلال العقل الباطن نحن على اتصال بالعقل الكوني ونحصل على اتصال وعلاقة مع القوى البناءة اللامحدودة للكون.

إن التوافق والتنسيق بين العقل الواعي الظاهر الموضوعي والعقل الباطن (اللاشعور)، وفهم وظائفها، هو السر العظيم للحياة. بهذه المعرفة نستطيع أن نجعل العقل الواعي الظاهر والعقل الباطن في تعاون وتوافق واعي، وبذلك توافق بين المحدود والغير محدودة.

إن مستقبلنا الكامل تحت سيطرتنا، إنه ليس تحت رحمة أي قوة هوائية متقلبة الأطوار والنزوات أو أي قوة خارجية غير مؤكدة.

الجميع متفقون على وجود مبدأ واحد فقط أو وعي متخلل وشامل كل الكون، وهو جوهرياً نفس الشيء من النوع في كل نقطة من وجوده. إنه ذو قوة لا نهائية، وحكمة لا نهائية، ودائماً موجود. وكل الأفكار والأشياء فيه.

يوجد وعي واحد في الكون يستطيع أن يفكر، وعندما يفكر أفكاره تصبح أشياء موضوعية ملموسة بالنسبة له، حيث أن، هذا الوعي موجود في كل مكان يجب أن يكون موجوداً في كل فرد؛ كل فرد يجب أن يكون إظهاراً لذلك الكلي القدرة (القدير)، العالم بكل شيء (العليم) والوعي الموجود في كل مكان.

الوعي الباطن المركّز في خلايا عقلك الباطن هو مثل الوعي المركز في خلايا العقل الباطن لكل شخص آخر. وكل فرد هو فقط التفرد للكوني، العقل الكوني.

إن قدرة الفرد على التفكير هي قدرته على العمل على الكوني ظاهراً أو بيناً. الوعي الإنساني يتكون فقط في قدرة الإنسان على التفكير. يقول ووكر: "العقل بحد ذاته يعتقد أنه نوع من الطاقة هو طاقة ديناميكية التي منها تنطلق النشاطات المسماة "فكر"، والذي هو طاقة ديناميكية —وجهات النفس الشيء" وعليه التفكير هو القوة الاهتزازية المتشكلة من تغيير العقل الساطن إلى عقل ديناميكي حركي. حيث أن جميع الخواص موجودة في العقل الكوني، القدير، العليم، المحيط الموجود في كل مكان، هذه الخواص والصفات يجب أن تكون موجودة في كل الأزمان في شكلها القوة، في كل فرد. لذلك عندما يفكر الفرد، الفكر مُجبر بطبيعته لأن يُدخل أو يجسّم نفسه في شكل موضوعي منظور أو حالة تتطابق مع أصله.

لذلك كل فكر هو سبب وكل حالة هي أثر للفكر، لهذا السبب من الضروري أن تضبط أفكارك لكي تنتج أو تولد وتجلب فقط أحوالاً مرغوبة. كل الطاقة هي من الداخل، وهي تحت سيطرتك، تأتي نتيجة معرفة محكمة صحيحة وبتمرين وممارسة إرادية لقواعد ومبادئ صحيحة محكمة.

من الواضح والأكيد أنك عندما تحصل على نتيجة بفهم هذا القانون، بإمكانك السيطرة على أساليب الفكر، ويمكنك أن تطبق هذا القانون على أي حالة؛ بكلمات أخرى إنك أصبحت في تعاون واعي مع قانون القدرة اللانهائية.

العالم الداخلي هو الذي يصنع العالم الخارجي؛ لذلك فهو خلّاق مبدع وكل شيء تجده في العالم الخارجي قد أوجد وتكوّن من قبلك في العالم الداخلي. فالعالم الداخلي هو السبب، والعالم الخارجي هو الأثر والنتيجة؛ لكي تغير الأثر أو النتيجة يجب تغيير السبب. غير تفكيرك تتغيّر حياتك و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] إنك ترى الآن أن هذه الفكرة الجديدة، هي جوهرية ومختلفة عن ما هو متعارف عليه لأكثر الناس. فأكثر الناس يحاولون أن يغيروا الآثار والنتائج الحاصلة وذلك بالعمل عليها أي الآثار والنتائج. إنهم لا يرون أن هذا الفعل هو ببساطة تغيير مشكل معين من الكرب مثلاً وغيره لنوع آخر. لإزالة الكرب أو الأثر، يجب إزالة السبب، وهذا السبب يوجد فقط في العالم الداخلي.

يقول تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] فالله سبحانه لا يغير ما بالناس حتى يغيروا ما بأنفسهم، والحقيقة الكونية تتبع وجود واحتمالات متعددة أمام كل فرد وجماعة، وبناء على ما يتخذه الفرد من قرارات وما تتبعه الجماعة من اتجاهات تتجدّد المصائر وتقع المقادير.

العقل سماه الله نوراً في قوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] وسمى العلم المستفاد منه روحاً وحياة فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢] وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢] وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب:٤٣].

القلب بمعنى العقل إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربّه. ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكون عليه وفيه، فهو ممن قال الله تعالى فيه ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩] فمعرفة العقل وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين.

إن الإنسان في بحثه عن الله والتعرف إلى الخالق تفرقت به السبل واختلفت مذاهبه وآرائه وتصوراته، وهذه النظرة إلى الحقيقة الكبرى أخذت ولا تزال تأخذ صوراً وأشكالاً مختلفة ومتعددة، وهي تختلف باختلاف العقول ومستوياتها والنفوس واستعدادها الفكري وما يحيط بها من بيئة وظروف العيش والحياة. فلكل إنسان وجهته التي هو موليها، ولكل طاقة من العلم وقدر من التوفيق.

فبعض الناس يصل إلى هذه الحقيقة الكونية السامية عن طريق النظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله، وبعض الناس يصل إليها عن طريق العاطفة والشعور المجرد عن الفهم والإدراك، واقعاً تحت تأثير الوراثة أو السماع دون إثارة لفكر أو نظر، وآخرون يخلطون بين العاطفة والشعور والفكر بنسب متفاوته.

لكل إنسان تصوّره الخاص لإلهه الذي يعبده بحسب قوة تفكيره واستثارته وصفاء عقله والذي ينزل من نفسه المنزلة التي هداه إليها عقله أو قلبه أو كليهما، وبقدر ما تكشفت له الحقيقة وعلى الصورة أو التصوّر أو التخيّل الذي تمثل في ظاهره. ولذلك تعددت هذه النظرات والتصوّرات وتفرقت بالناس الآراء والمذاهب في هذه الحقيقة الإلهية الكبرى. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨]أ أ فالغالبية العظمى من البشر يؤمنون بالله الخالق، ولكن المشكلة الكبرى هي في تصوره سبحانه، وفي الطريقة المثلى التي يعبد بها.

يقول العالم كاميل فلامريون: نحن نفكر ولكن ما هو الفكر؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال... ونحن نمشي ولكن ما هو العمل المفصيل؟ لا أحد يعرف ذلك... إن إرادتي قوة غير مادية... وإن خصائص نفسي غير مادية أيضاً. ومع ذلك فإذا أردت أن أحرك ذراعي أرى أن إرادتي تحرك مادتي... فكيف يحدث ذلك...؟ وما هو الوسيط الذي يتوسط للقوى الفعلية في إنتاج نتيجة مادية؟ لا يوجد من يستطيع أن يجيب على

هذا أيضاً. قل لي كيف ينقل العصب البصري صورة الأشياء إلى العقل؟ قل لي: كيف يدرك العقل هذا؟ وإني مستقرة؟ وما هي طبيعة العمل العقلي؟.

وكتب العالم "مابر" في مذكراته:

إن ثمة عقلاً لا متناهياً يحكم العالم. وكلما أنعمت النظر استطعت أن أبصر ذلك العقل الذي يشع خلف أسرار الأشياء.

وكتب عالم طبيعي: "إن الطبيعة لا تفسر الكون، وإنما هي نفسها في حاجة إلى تفسير". وذلك لأن الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون، وليست تفسيراً له.

إن الله يجري إرادته في الكون بواسطة القوانين التي اكتشفت علومنا الحديثة بعض أجزائها فقط حتى الآن.

إن المد والجزر له سببان هما قوة الجاذبية في القمر، والتكوين الجغرافي أي الوضع الجغرافي لأجزاء الأرض البرية والبحرية.

إننانسلم بأن حدوث المد والجزر يقتضي قوة الجاذبية ويقتضي وضعاً جغرافياً معيناً لأجزاء الأرض. ولكن ما هي قوة الجاذبية، وما هو الوضع الجغرافي الأرضي؟ إنها من خلق الله والله يستخدم هذه الوسائل لتنفيذ إرادته، ولولا استخدامه لهذه الوسائل والأسباب المحددة لتنفيذ مشيئته لحلت الفوضى في الكون ولانعدم النظام.

إن البرهان الذي يطلبه غير المؤمنين لاثبات وجود الله هو نفس البرهان الذي يطلب كما لو كان الله تعالى شبيهاً بالإنسان أو شيئا مادياً. ولو كان الله مثل هذا الوجود المادي لما وجد هناك مجال للشك في وجوده، ولكن الله أراد أن يختبر عقولنا حول الإيمان به، فترك لنا حرية الاختيار لكي يؤمن به من يؤمن وينكره من ينكر.

ومعظم المنكرين لوجود الله ينظرون إلى الله كما لو كان بشراً يمكن التعامل معه تعامل الأنداد فيقولون مثلاً: سوف أعتقد بوجود الله إذا شفاني من مرضي، أو إذا أنزل المطر أو إذا قضى حاجتي، أو إذا أوقف الفيضان أو إذا محا الشر والظلم من الكون ...الخ. وقد يقول بعضهم إن كان هناك إله عادل ما أصابني وجع في أسناني، ومعنى ذلك

بعبارة أخرى أنني أؤمن بالله إذا أنشأ الكون أو عدله تبعاً لخطتي الخاصة التي تقوم على الأنانية وتبعاً لصالحي الشخصي.

لكي يفكر الإنسان تفكيراً مستقيماً، عليه أن يحرر عقله من الأنانية ومن الأحقاد ومن كل ما يعوق التفكير الصافي السليم حتى يتسنى له أن يميل إلى الله ويحبه. فلقد اقتضت حكمة الله أن يستخدم الإنسان عقله وإرادته وحريته في اتخاذ القرارات اللازمة لمحاربة هذه الشرور حتى يصير حكم الله في الأرض مثل حكمه في السماء.

إن الله سبحانه موجود داخل الكون وخارجه والاعتقاد به يقوم أولاً على استخدام العقل،ثم يقوم بعد ذلك على الإيمان والأمل والمحبة. فلا يمكن امتلاك الإيمان والأمل والمحبة إلا إذا كانت كلها قائمة على أساس العقل. ولا يجوز لإنسان أن يتخلى عن عقله، بل لا بد من استخدام العقل استخداماً دقيقاً قوياً، والإيمان الذي لا يسبقه العقل يعتبر إيماناً ضعيفاً هزيلاً، ويكون عرضة للهجمات الفتاكة والهزيمة.

إن التفكير السليم بأي شيء لا يمكن أن يقوم إلا على أساس من المعرفة والتفكير. فإذا قلنا أن وجود الله أمر واضح أو بديهي، فإن ذلك قد يعني أننا لا نستطيع أن نتبادل الموضوع بطريقة علمية أو منطقية بسبب نقص في تعليمنا، أو لأننا لم يسبق لنا تنظيم تفكيرنا حول الموضوع. أو بسبب عدم الاستعداد للمناقشة، او غير ذلك من الأسباب الأخرى. وتشير معظم الأسباب أن القوانين التي يسير عليها الوجود لا بد لها من صانع، وأنه لا يمكن أن تكون هناك آلة دون صانع.

دعنا نتأمل بتفكير عميق:

إن السعة التي عرفها العلم حديثاً عن السماء لم تكن تخطر على قلب بشر. إن الضوء يقطع في الثانية ١٨٦ألف ميل أو ٣٠٠ألف كيلو متر، أي أنه يقطع في الدقيقة ١١مليون و١٦٠ألف ميل، ويقطع في السنة الواحدة من سنيننا ستة ملايين مليون ميل أو ستة آلاف مليار ميل، وهذه المسافة هي التي اصطلح العلماء على تسميتها "السنة الضوئية" ليعبروا بها عن أبعاد السماء الهائلة، فإذا قيل أن نجماً يبعد عنا سنة ضوئية فهمنا أنه يبعد عنا ستة ملايين مليون ميل.

فالقمر وهو أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض يصل نوره إلينا في أقل من ثانيتين لأنه يبعد عن الأرض بحوالي ٢٤٠ ألف ميل.

أما الشمس فيصل نورها إلينا في ٨دقائق لأن بعدها عن الأرض يقدر بحوالي ٩٣مليون ميل. وإن أقرب نجم عن الأرض يبعد عنها أربع سنوات ضوئية ومعنى ذلك أنه يبعد عنا ٢٣مليون مليون ميل. وهناك "النسر الطائر" يبعد عنا ١٤سنة ضوئية، و"النسر الواقع" يبعد عنا ٣٠سنة ضوئية. يقول تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧]. إن هناك نجوماً أبهر نوراً من شمسنا وأكبر بشكل هائل. فنور شمسنا يبلغ بتقدير العلماء ثلاثة آلاف مليون مليون شمعة، أما نور النجم المسمى (الشعرى اليمانية) أقوى من نور شمسنا سنة وعشرين مرة. وإن هناك في النجوم البعيدة شموساً نورها أقوى من نور شمسنا بمائة مرة. وإن العلم قد اكتشف اليوم أن هناك نجوماً نورها أقوى من نور شمسنا بـ ٥٠٠ ألف مرة!! فسبحان الله العظيم كيف تقف هذه الأحجام والأوزان الهائلة في الفضاء بهذا التوازن العجيب ...؟.

يقول الله في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١] يقول العلم. إن هذا الإمساك يحصل بقوة الجاذبية التي شاهد العلماء آثارها وأحصوا أطوارها، ومسوا سطوحها، ولم يسبروا أغوارها، وعرفوا قوانينها ونواميسها ولم يعرفوا بعد أسرارها.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] إن الإنسان حين يجمد وجوده في قوالب المادة، ويتخلى عن أشواق روحه أو ذاته السامية، ويتناسى أو ينسى وجودها في كيانة -حين يكون على تلك الحال تبدو الحياة في عينية ضيقة مظلمة، وتظهر له صورة الأشياء حزينة كئيبة كالحة، تطل منها أشباح مزعجة تبعث القلق، والخوف، والتوتر، فتضاعف آلامه، وتكثر مصاعبه ومصائبه، ويتخلق له من الخير شر، ويتولد له من الشر شرور. فإذا الحياة عنده بلاء، وعذاب وشقاء وضغط نفسي.

يقول ديل كارنيجي:

لقيت "هنري فورد" فتوقعت أن أرى عليه سيماء رجل منهك القوى من فرط الجهد الذي بذله في إنشاء مؤسسة تجارية من أضخم المؤسسات في العالم، غير أني فوجئت حين وجدته على درجة كبيرة من الرزانة والهدوء، وكأنه آية في الاتزان والاطمئنان، برغم بلوغه الثامنة والسبعين من عمره.. فلما سألته: هل عانى من القلق شيئاً؟ أجاب: كلا، فإني أعتقد أن الله سبحانه -قدير على تصريف الأمور، وإنه -تعالى- في غير حاجة إلى نصيحة مني ولهذا فأنا أترك له تصريف أموري بحكمته جل شأنه. فعلام إذن يتولاني القلق؟.

يقول "ديل كارنيجي": لماذا يجلب الإيمان بالله والاعتماد عليه -سبحانه وتعالى- الأمان والسلام والاطمئنان؟ يجيب "وليم جيمس" عن هذا السؤال: إن أمواج المحيط المصطخبة المتقلبة لا تعكر قط هدوء القاع العميق. ولا تقلق أمنه ... وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله، محتفظ أبداً باتزانه ومستعد دائماً لمواجهة ما عسى أن تأتي به الأيام من ظروف.

فلماذا إذا لا نتجه إلى الله إذا استشعرنا بالقلق؟ ... ولماذا لا نربط أنفسنا بالقوة العظمى المهيمنة على هذا الكون؟ ويقول الدكتور ألكسي كاريل مؤلف كتاب "الإنسان ذلك المجهول": لقد رأيت بوصفي طبيباً -كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم إن الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط. إننا نربط أنفسنا حين نصلي بالقوة العظمى التي تهيمن على الكون. ونسألها ضارعين أن تمنحنا قبساً منها، بل إن الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا ولن تجد أحداً يضرع إلى الله مرة إلا عادت عليه الضراعة بأحسن النتائج. لقد تقدم الطب الحديث والجراحة إلى أقصى حدودها في هذا القرن، وبدأ الأطباء يقولون: "إن العلم يستطيع القضاء على كل مرض، غير الموت والشيخوخة". ولكن الأمراض تكثر وتتشعب، وتنتشر بسرعة مذهلة، ومنها "الأمراض العصبية" التي هي نتائج أعراض التناقض الشديد الذي يمر به الفرد والمجتمع. لقد حاول العلم الحديث أن يغذي كل الجوانب المادية في الجسم الإنساني ولكنه فشل في

تغذية الشعور، والأماني والإرادة،وكانت حصيلة ذلك جسماً طويل القامة ممتلئ النواحي، ولكن الجانب الآخر من الجسم، وهو أصل الإنسان، أصبح يعاني من أزمات لا حد لها.

لقد أكدت إحصائية: أن ثمانين في المائة من مرضى المدن الأمريكية الكبرى يعانون أمراضاً ناتجة عن الأعصاب، من ناحية أو أخرى. ويقول علم النفس الحديث إن من أهم جذور هذه الأمراض النفسية: الكراهية، والحقد، والجريمة، والخوف والإرهاق، واليأس، والترقب، والشك، والأثرة، والانزعاج من البيئة. وكل هذه الأمراض تتعلق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان بالله.

إن الإيمان يعطي الإنسان محركاً هو أساس سائر الأخلاق الطيبة، ومصدر قوة العقيدة التي يبحث عنها ويقول"سير وليم أوسلر": "إنها قوة محركة عظيمة، لا توزن بأي ميزان ولا يمكن تجربتها في المعامل".

هذه العقيدة هي سر الصحة النفسية الموفورة، التي يتمتع بها أصحابها، وأية نفسية محرومة من العقيدة تنتهي بالأمراض النفسية والجسدية فألزم عنصر للحياة هو "الأمل، الأمل في العيش على نحو معين، فمتى ذهب الأمل في الحياة، ذهبت معه الصحة. إن الطب يستطيع أن يجبر عظام مكسورة، ولكن حرمان الإنسان من الإيمان يقضي به إلى الموت رغم كون جسمه في صحة جيدة.

إن الأجسام تحت الملابس البراقة أحوج ما تكون إلى الهدوء والسعادة الحقيقين، والأبنية الفخمة تسكنها قلوب محطمة، والمدن المتلألئة مصابة بالدسائس الداخلية وعدم الثقة.

نظام هداية في العقل الباطن

التأمل في تصرفات الطيور التي تطير في جماعات بترتيب ونظام وكذلك شغالات النحل والنمل بجد واجتهاد دون اعتراض في حين أن الملكات ليس لها سوى الأكل وإنجاب الأجيال الجديدة –هذه التصرفات شديدة الذكاء لليحوانات وكذلك الحركات الجماعية تثير التساؤل. الإنسان هو الوحيد دون سائر المخلوقات الذي له إرادة وحرية الاختيار.

إن الحيوانات تحيا وفقاً لهذه الإرادة العظمى التي تتحكم في العملية الحيوية للجسم، ويمكن القول إنها تعيش وتتحرك بإرادة قريبة من تلك الإرادة الموجودة في الخلية. وما يؤكد ذلك أن الحركة الجماعية في الحيوانات لا تنبع من كل واحد منها وإنما تخضع كلها لإرادة جماعية. ومنه فإن العلاقة –كما هي الحال في الخلية– علاقة عبودية لهذه الإرادة العظمى. لذلك لا تجد بين الحيوانات أو الطيور أو الحشرات من يبدي اعتراضاً على الدور الذي يقوم به وتحيا جميعاً في توازن وسلام تام.

إن كل كائن حي له نظام توجيه أو آلية (غريزة) تنشد هدفاً، وضعها الخالق لمساعدتها لإنجاز وتحقيق هدفه –الذي هو بصورة عامة– أن "يعيش".

في الكائنات الحية البسيطة "العيش" يعني ببساطة البقاء الفيزيائي للفرد والنوع. إن آلية الحيوان الداخلية محدودة بإيجاد الطعام والمأوى، وتجنب الألم أو التغلب على العدو والمخاطر والتناسل لتأمين بقاء النوع.

لكن في الإنسان، فإن هدف "العيش" يعني أكثر من مجرد البقاء. إن "عيش" الحيوان يعني ببساطة أن حاجات جسدية محدودة يجب أن تتحقق الإنسان لديه حاجات عاطفية وروحية معينة لا توجد لدى الحيوانات. وعليه فإن "عيش" الإنسان يشمل أكثر من البقاء الفيزيائي الجسدي وإنتاج النوع.

إن العيش للإنسان يتطلب بالإضافة للحاجات الجسدية المعنية، إرضاء حاجات أخرى عاطفية وروحية. وإن "آلية النجاح" الإنسانية أوسع بكثير في مجالها مما هي في الحيوان. بالإضافة إلى مساعدة الإنسان في تجنب أو التغلب على الخطر، "والغريزة الجنسية" التي تساعد على بقاء الجنس، "آلية النجاح" في الإنسان تستطيع مساعدته في إيجاد الأجوبة للمشاكل، والاختراع، والقراءة، والكتابة، وإدارة العمل، وبيع المنتوجات، واكتشاف آفاق جديدة في العلوم، أو النجاح في نشاط مرتبط في "عيشة" أو يساعد في ارتقاء الحياة.

طاقة الوعي

الوعي Consciousness هو نوع من الطاقة الخارقة. وقد وجد العلماء أن طاقة الوعي الإنساني باستطاعتها أن تخلق (تغيّر، تركّب) وتدمّر المادة. وقد وجدوا أن الوعي الإنساني يستطيع أن يذهب إلى أي مكان في هذا الكوكب ويسترجع المعلومات. كما وجدوا أن وعي شخص ما باستطاعته أن يؤثر على وعي شخص آخر.

وليتمكّن الإنسان من القيام بتلك المعجزات، يجب على طاقة الوعي أن تتجمع وتركّز وتوجه بصورة خاصة، مثل الطاقة الكهربائية التي كانت موجودة ومحيطة بنا قبل مجيء بنجامين فرانكلين، ومع هذا لم تضيء أبداً أي مصباح. فيجب على الإنسان أن يعرف كيف يستعمل وعيه حتى يتمكن بطاقته أن ينتج ويحقق ما يريد.

طاقة الوعي السرية

قديماً كانت معرفة "طاقة الوعي" بيد الفلاسفة والحكماء فقط. وهذه الطاقة حيث أنها هائلة، فقد احتفظ بها سرا ولم تكشف للعامة. لقد تصوروا أن الشخص العادي ليس مؤهلاً لاستعمالها. ومن هؤلاء الذين ملكوا وعرفوا أسرار هذه الطاقة الخارقة والفوق طبيعته كان "هومز". وقد احتفظ هرمز بأسراره بإحكام وحراسة حتى أن كلمة "هرمزي" أصبح معناها محكم السدّ. والآن في عصرنا الحاضر لم يعد

هناك أسرار، حيث أصبحت قوى وطاقة ما فوق الطبيعة مجرد فرع من عالم الفيزياء ومن رياضة العقل وتقوية الذهن.

كيف تعمل طاقة الوعي معجزاتها؟

إن طاقة الوعي مثل الطاقة الكهربائية لم يكن ممكناً استعمال قوتها إذا لم يستطع الإنسان صناعة الآلات والأجهزة التي سمحت للطاقة الكهربائية بالعمل -الفرن الكهربائي، الراديو، الغسالة، التلفاز أمثلة قليلة عامة. وإن "طاقة الوعي" السهلة التوليد، تحتاج أيضاً إلى منافذ وأجهزة، ولكن من نوع آخر كي تعمل، وتعلم بعض الأمور والأشياء المساعدة البسيطة، كي تعمل طاقة الوعي من خلالها -مثل الحجر الخاص المعبأ بالطاقة أو الحرز المميّز، أو الرقّاص الذي يخترق الزمان والمكان ليخبرك أمور خفية، أو أين تجد النفط أو الماء أو المواد الخام الثمينة.

أنت المولّد لطاقة وعيك. لذا فإن هذه الطاقة تعمل من خلالك، أو من خلال أصدقائك، أو الأشياء التي تعنيها.

بعض العلماء التشيك، تمكنوا من خزن طاقة الوعي حيث يمكن لشخص أن يحدّق في وعاء بشكل خاص يجمع ويخزن طاقة التحديق. وهذه الطاقة يمكن أن تدير عجَل.

تجربة

يجلس شخص في غرفة، وفي الغرفة الثانية وعاء وعجل ومؤشر. إذا وضعت أنواع من الفاكهة المختلفة أمامه، وإذا وضع في الغرفة الأخرى نفس هذه الأنواع من الفاكهة حول الوعاء والسهم المشير إلى الفاكهة والمربوط بالعجَل. عندما يحدّق هذا الشخص على نوع من هذه الفاكهة المختلفة أمامه، إذا وضع في الغرفة الأخرى نفس هذه الأنواع من الفاكهة حول الوعاء والسهم المشير إلى الفاكهة والمربوط بالعجل. فعندما يحدث هذا الشخص على نوع من هذه الفاكهة في إحدى الغرف، فإن العجل والمؤشر يدور ويشير إلى نوع الفاكهة التي حدّق بها الشخص في الغرفة الثانية.

يبدو أنه إذا وضع الناس طاقة وعيهم في رمز ما، فإن هذا الرمز يصبح مالكاً طاقة تؤثر على حياتهم. ومن هذه الرموز النجم الخماسي، والصليب والهلال وغيرها. يقول رائد الفضاء الدكتور متشل الذي زار القمر، نحن على حافة إدراك نظام كون جديد، يقبل القوة العقل فوق المادة.

في ولاية كاليفورنيا، عمل العلماء مع أشخاص يظهرون نوعاً من قوة العلاج والشفاء تبدو أنها تنطلق من أيديهم. لقد تمّ تحضير عجينة من الخميرة –الخميرة هي مادة حيوية مركبة معقدة، تعمل على تحفيز التغير الكيميائي في مواد أخرى.

قسّمت عجينة الخميرة ثلاث أجزاء. وضع قسم منها كمرجع مراقبة ولم يعمل أي شيء له. الجزء الثاني من الخميرة تمّ إعطابه بالأمواج الفوق بنفسجية. هذا الجزء والجزء الثالث، وضع كل منهما لمدة بسيطة بين يدي شخص يملك قوة الشفاء (Healer). والقسم الثاني عطب والقسم الثالث قيست قوتها بعد معالجتها باليد. وقد وجد أن قوة أو قدرة كل من هذه الجزئين على التأثير التخمري هي أقوى من مجموعة المرجع والمراقبة.

إن طاقة الشفاء باللمس ليست من امتياز أناس مميّزين فقط، إننا جميعاً في الواقع نملك هذه الطاقة للشفاء.

والعقل لديه "طاقة الوعي" وهذه هي الطاقة الخارقة للطبيعة التي نتكلم عنها، وليست طاقة الدماغ التي يمكن قياسها بآلة تدعى Electro encephaloghraph (E.E.G).

الذكاء البيولوجي

الذكاء البيولوجي طبيب داخلي منظم لعمل كامل الفيزيولوجية. عندما تجرح يدنا مثلاً يقوم ذلك الذكاء البيولوجي وبمعرفة وقوة تنظيمية فائقة الدقة بعلاج الجرح دون تدخل أي عامل خارجي. أو عندما ينكسر عظماً في الجسم يقوم هذا الذكاء الداخلي الحيوي بتصحيح الكسر. إنه الذكاء الداخلي –العقل الباطن– الذي ينظم التنسيق والتناغم والإنسجام بين الأعضاء المختلفة من الجسم، مثلاً، تنسيق العلاقة بين عمل الدماغ والقلب والكبد والجهاز العصبي وإنتاج الهرمونات. هذا الذكاء الحيوي لديه القدرة والمعرفة الضرورية لمعالجة أي مشكلة صحية، إنما المطلوب هو توفير الظروف

الملائمة لعمل هذا الذكاء وإحيائه. وإن "طاقة الوعي" أو الذكاء الداخلي في الجسم يستطيع إنتاج المواد والعناصر اللازمة لمعالجة المرض، مثل المواد الكيميائية التي تنتجها الخلاجيا والتي تعمل كمسكن للألم.

دواء وهمي placebo

في تجارب عديدة أجريت على المرضى تم إعطاؤهم الماء والسكر بدل الدواء، بينما بقي اعتقاد هؤلاء المرضى بأنهم يتناولون الدواء لوقف الألم. وكانت النتيجة أن الألم توقف عند عدد كبير من المرضى. هذا التأثير للدواء الوهمي بأن الجسم قادر على الشفاء الذاتي وإنتاج المواد اللازمة لمقاومة المرض وبالكمية المحدودة عند تنشيط هذا الذكاء البيولوجي الداخلي وخلق الظروف المناسبة له للعمل بحكمة وتوازن.

الذكاء البيولوجي في الخلية

إن كل خلية في الجسم تحتوي على مركز للذكاء ينظم عملها يسمى بالحامض النووي الريبو (D.N.A). يعمل هذا المركز كالكمبيوتر على احتساب وإنتاج جميع العناصر اللازمة لنمو الجسم وحمايته. كما يحتوي على الذاكرة التي تعلم ما يجب عمله في كل لحظة تماماً مثلما تحتوي البزرة على ذاكرة جميع قوانين ومعلومات الشجرة.

هناك ناحيتين للحامض النووي (D.N.A)، الجانب المادي الذي يحتوي على عناصر كيميائية، وجانب غير مادي يتمثل بنبضات (تموجات، تقوم اللواقط Receptors بإرسال المعلومات إلى مركز الذكاء في (D.N.A)، وتبعاً لهذه المعلومات تقوم بإنتاج أنزيمات معينة للقضاء على الميكروب، أما كيفية إنتاج الأنزيمات المطللوبة فتعتمد على تسلسل ونظام دقيق لنبضات من الذكاء، أي أن (D.N.A) تنتج أنزيات وعناصر مختلفة تبعا لما تمليه تلك النبضات أو التموجات. وعندما يحدث خلل ما في تلك النبضات أو الذبذبات تكون النتيجة خللاً في الأنزيمات المنتجة وهذا ما يؤدي إلى المرض. بمعنى آخر أنه عندما نفقد الخلية ذاكرتها، تكون النتيجة ظهور الخلل على مستوى الخلية ثم الأنسجة ثم الأعضاء.

يقول الدكتور والاس "إن الخلية السرطانية هي التي فقدت ذاكرتها أو التي فقدت التسلسل المنظم لنبضات الذكاء التي يتوجب عليها أن تقوم بها، وبدلاً من التصرف كخلية طبيعية بدأت تنتج كميات كبيرة من "عوامل النمو" وبدأت تنقسم وتنتشر بكميات كبيرة مستنزفة بذلك طاقات الجسم.

الخلية السرطانية تفقد ذاكرتها وتبدأ التصرف طبقاً لأنانيتها الفردية على حساب المصلحة الجماعية ومن أجل السلطة، وتبدأ بتدمير الخلايا الأخرى! إن أسباب جميع الأمراض هو فقدان الذكاء البيولوجي لذاكرته أو في تلك النبضات البيولوجية غير الطبيعية، ولتحقيق الصحة التامة والشفاء ينبغي إعادة التوازن والنظام إلى الذكاء البيولوجي.

إن إعادة النظام والتسلسل إلى الذاكرة البيولوجية في الحمض النووي (D.N.A)، يعمل على إزالة السموم الفكرية كالقلق والخوف والكآبة والاضطراب الفكري وكذلك على إزالة السموم الجسدية.

الوعي والذكاء الحيوي والحقل الموحّد

لقد تمكن علم الفيزياء من تحقيق خطوات جبارة في فهم جوهر المادة والقوى المختلفة في الطبيعة. وكانت نتيجة هذه الخطوات وضع نظرية "الحقل الموحّد" التي تعد بفهم كامل القوانين الطبيعية.

إذا راقبنا الطبيعة والنجوم والمجرات والأشجار والذرة... فإننا نرى التعبير عن ذكاء الطبيعة. هناك نظام لا متناه وطاقة لامحدودة وقوة تنظيمية لا متناهية، هذه المزايا أوجدها سبحانه وتعالى في كل شيء في هذا الكون.

فعندما ننظر إلى مادة الكون بما فيها جسم الإنسان، ونحللها لنرى مما تتألف نرى مثلاً بأن الجسم مكون من خلايا وهي بدورها مكونة من جزيئات، والجزيئات مكونة من ذرات، والذرات مكونة بدورها من مواد أولية مثل الإلكترونات والبروتونات Electrons & Protons التي تتألف بدورها من مواد جسيمات أدق. وعندما ندخل بعمق أكثر في المادة نجد بأنها مؤلفة من اهتزازات أو تموجات من الطاقة تسمى في الفيزياء رزمات

الطاقة الكمية. وهذا الحقل من الفيزياء يسمى ميكانيكا "الكم" Quanta أو الحقيقة الكمية للوجود.

"الكم أو الكوانتا" هو أصغر جزيء يبني العالم المادي. مثلاً إن مقياس الجزيء الكمي هو ١٠ ملايين مرة أصغر من الذرة. وعدة ملايين من الذرات تشكل سماكة الشعرة. هذه الجزئيات الكمية تؤلف المادية بما فيها جسم الإنسان. وأخيراً تتصل هذه الجزيئات تجعل غير مادي من السكون يسمى "الحقل الموحد".

يعتبر "الحقل الموحد" حقل الذكاء في الطبيعة والوعي الكوني هو مسكن جميع القوانين الطبيعية التي تحكم هذا العالم المادي بما فيه جسدنا. وكما أن البذرة تحتوي على جميع قوانيني الشجرة، كذلك فإن الحقل الموحد هو البذرة التي تحتوي على جميع القوانين الطبيعية التي تحكم العالم المادي. تستمد الـ(D.N.A) ذكاؤها من الذكاء في الحقل الموحد لقوانين الطبيعة، وعندما تفقد الخلية إتصالها بالمنبع الأساسي تفقد ذاكرتها وتكون النتيجة المرض. لذلك ينبغي العمل على ربط الذكاء الحيوي البيولوجي في (D.N.A) بمصدره في الحقل الموحّد.

الـ (D.N.A) هو خريطة الذكاء للجسم، والحقل الموحّد هو خريطة الذكاء لشجرة الكون، وهناك علاقة مباشرة بين (D.N.A) والحقل الموحد "الوعي الكوني". هذا يعني أن البيولوجي يتطابق مع الذكاء أو أن الإيقاعات الكونية مبرمجة ومسجلة على شكل حيوي في الجينات والنبضات الحيوية البيولوجية داخل الجينات تتطابق مع نبضات الكون.

إن الـ (D.N.A) هو صورة مصغرة عن الجسم، والجسم هو صورة مصغرة عن الكون، يسمى جسم الإنسان بالعالم الأصغر والجسم الكوني بالعالم الأكبر، وهناك ترابط وعلاقة وثيقة بين الجسد الأصغر والجسد الأكبر، وإن كل ما يحدث في الجسم الأكبر يظهر على شاشة الجسم الأصغر، كذلك فإن كل ما يحدث في الجسم الأصغر يظهر على شاشة كل خلية في الجسم، هذا يعني أن كل مركز للذكاء في الخلية يشهد على كل ما يحصل في الجسم الأصغر والجسم الأكبر"الكون". يقول الإمام علي كرم الله وجهه "وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر" وهناك قول في الفيدا : كما هي الذرة كذلك هو الكون، كما هو الجسم الإنساني كذلك هو الجسم الكوني، كما هو في العالم

الأصغر كذلك هو العالم الأكبر، ويقول مهاريش يوغي "كل ذرة من النسغ تحوي القيمة الكاملة للشجرة بأسرها".

إن الإنسان يعيش في كون ينبض وهذه النبضات (الموجات) تنعكس على كل مستويات الوجود. خلايا الإنسان أيضاً تنبض بإيقاع زمني مع الكون بأسره. الإيقاع والنبض الكوني يتفاعل ويتناغم مع النبض البيولوجي مثلاً، إن إحدى إيقاعات الطبيعة التي تنسجم مع إيقاع الإنسان هي دوران الأرض حول محورها مما يخلق الليل والنهار، وهذا يخلق قانون الراحة والعمل لدى الإنسان وكل شيء في الطبيعة. وعندما يفقد الإنسان التوازن بين العمل والراحة تتراكم الضغوط في جهازه العصبي.

يوجد عدد كبير من الإيقاعات في الطبيعة تؤلف حلقات متداخلة الواحدة ضمن الأخرى. مثلاً، السنة هي حلقة كبيرة تتضمن حلقات أصغر للفصول الأربعة، وحلقات الشهر والأسبوع واليوم والليل والنهار ...الخ. هذه الإيقاعات الكونية لها تأثيرها المباشر على الجسم والفكر. كل إيقاع له حالة فيزيولوجية مختلفة، فحالة الجسم تختلف بشكل كبير من فصل إلى آخر ومن حلقة إلى أخرى. ودوران الأرض حول الشمس يخلق الفصول الأربعة وإننا نلاحظ تأثير هذه الدورة على التغذية والسلوك. كذلك لدورة الليل والنهار تأثير على حرارة الجسم ومستوى الهرمونات. وقد بينت بعض الأبحاث والدراسات بأن الدواء يعمل بشكل مختلف في أوقات مختلفة من اليوم، وترتفع نسبة السوائل في الجسم عندما يكون القمر في مرحلة الاكتمال أي بدراً. وإن الإيقاعات الكونية مبرمجة ومسجلة في شكل حيوي في الجينات. فالطيور تعرف تماماً الوقت الذي تسافر به من الشمال إلى الجنوب، وكذلك القط تعرف تماماً شهر التزاوج لأن النظام أو الإيقاع الكوني مسجل بشكل ذكاء بيولوجي "غريزة" داخل الخلية.

بمعالجة وعية يمكن للإنسان معالجة جميع مستويات حياته

السينما لها ناحيتين: الشاشة البيضاء والحركة الدائمة للصور، كذلك لهذا العالم ناحيتين الأولى هي حقل الوعي "الحقل الموحد" الساكن الثابت والناحية الثانية هي حركة هذا الكون المادي الدائمة. حقل الوعي هو الشاشة التي تحصل عليها حركة هذا الكون،

وبمعالجة هذا المستوى نستطيع معالجة جميع نواحي الحياة بما فيها فيزيولوجيتنا أي وظائفنا العضوية الحيوية.

إن الوعي Consciousness هو المستوى الأساسي للحياة. كل شيء هو تعبير عن الوعي. الوعي موجود في كل مكان. الوعي هو الذكاء في كل شيء، إنه حقل كل الإمكانيات. إذ يمكن معالجة أي مستوى من العالم المادي من خلال معالجة المصدر الأساسي أي الوعي. كالنُّسغ هو المستوى الأساسي للشجرة، والمزارع الحكيم يعرف أنه يستطيع أن يؤثر على كامل الشجرة بالعمل من مستوى النسغ. بالطريقة ذاتها، بمعالجة وعينا نستطيع أن نعالج كامل نبتة الوعي أي الجسم والكون. إذا عالجنا وعينا، سنعالج شجرة الحياة من جذورها. **غيّر نفسك تتغيّر حياتك**. سنصبح مثل المزارع لشجرة حياتنا، نعالج وعينا، ومن خلال هذه المعالجة لوعينا نعالج جسدنا، ومن خلال ذلك نعالج سلوكنا ومحيطنا والكون بكامله.

وعلى أساس إدراكنا ومعرفتنا للوعي، يمكن تحقيق الصحة التامة والعافية والسعادة والسلام الفكري والاجتماعي، لأن باستطاعة الإنسان الوصول إلى جوهر الوعي والحقل الموحد حقل الذكاء والإبداع الذاتي المرجعية للطبيعة. هذا الحقل أو هذا الوعي الذي يخلق كل التعددية من خلال تحوله الذاتي. وبتثبيت وعي الفرد على هذا المستوى، يصبح الإنسان سيد كل التحوّل ويعرف ويدرك النفخة التي نفخها الله في كيانه، كما يكتسب القدرة الإدارية والطاقة التي بواسطتها تدير الطبيعة حركة هذا الكون.

العقل والبصيرة

الغريزة:

الغريزة هي كلمة أخرى للعلم المغروز منذ الميلاد. يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨] والحيوانات أمم أمثالنا ستحشر يوم القيامة. ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥] ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل:١٨]

كيف يمكن أن تتوزع الوظائف في خلية من ألوف النمل ... وكيف يمكن أن يشترك الكل في نشاط اجتماعي معقد ودقيق دون لغة يتخاطبون بها ... ومن دون وسائط للتفاهم؟

يبدو أنها نظرة الأفق الضيق التي نحاول أن نفهم بها كل شيء من خلال حدودنا البشرية ومن خلال عاداتنا ومألوفاتنا ... ونحن ننسى أن علمنا هو قطرة من علوم الخالق ونفحة من نفحاته وإلهامه.

تأمل النباتات المفترسة... وهي نباتات تنمو في بيئة فقيرة في النيتروجين فيزودها الخالق بسلسلة من الحيل والآليات الغريبة لتصطاد الحشرات وتهضمها وتمتصها وتصل عن طريقها إلى ما ينقصها من نيتروجين ... فهي مرة مخلوقة بأوراق لزجة تلتصق بها الحشرات فلا تملك لنفسها انتزاعاً ومرة أخرى مزودة بأوراق محورة على شكل أكواب ذات جدران صابونية ملساء ما تكاد تلمسها الحشرات حتى تنزلق عليها وتقع في الأكواب المليئة بعصارات هاضمة حيث تهضمها. ومرة ثالثة مزودة بأوراق كالأصابع تتحرك في آلية لتقبض على أي شيء يدب عليها وتخنقه وتمتصه ... ألخ.

أشياء لا تفسير لها بالنسبة لنبات لا عقل له ولا تدبير إلا أن يكون هناك عقل خفي ومدبّر خفي هو الذي اصطنع كل تلك الحيل وزوّد بها مخلوقاته.

لا يحل الأشكال أن نسمي هذه القوة الخفية... "الطبيعة" فنحن نهرب من لفظ "الله" إلى لفظ الطبيعة" دون أدنى تغيير في المعنى.. فلفظة الطبيعة في توظيفها الجديد تعني نفس المعنى... الذات العاقلة المدبرة الحكيمة المهيمنة الخالقة المعتنية بمخلوقاتها.

إن الله يُستدل به ولا يُستدل عليه. فنحن نستدل على النور من مجيء النهار مع أن النهار لم يطلق إلا بفعل النور.. فالنور هو الحق بذاته الذي يبرهن على نفسه بنفسه بمحض حضوره دون حاجة إلى وسائط.. وهو الذي يخرج الأشياء إلى عالم الظهور والعيان فالأشياء تعتمد على النور في ظهورها والنور لا يعتمد في ظهورة عليها فهو برهانها وهي لا تلح أن تكون برهانه والله حاضر في القلب مشهود للقلب على الدوام. إن كل ما ترى هي تجلياته وأفعاله وكل ما نستشعر من عالم الخفاء والغيب هي ذاته .. وإنه هناك دائماً.. وإنه الحضور المطلق الممتد المستمر في الأعماق. فأينما وليت وجهك فليس ثمة إلا وجهه هو.

ليس له تعريف لأنه مرجع جميع التعاريف ولا يمكن إرجاعه هو إلى شيء. لا يحتويه الحرف ولا المعنى ولا الصورة ولا الشكل ولا الزمان ولا المكان فهومتعال على كل هذا وعلى كل ما نعلم. وأنت لا يصح أن تحصره في مظهر أو مظاهر .. لأنه الظاهر وليس المظاهر.

فالظاهر يظهر في المظاهر دون أن تحصره أو تحتويه أو تستنفذه ... فهو يتجلى فيها بصفاته وأسمائه التي لا حصر لها فالظاهر فعله والباطن ذاته ... ولا نقول عنه أنه المظاهر.

إذا سمعت من يتكلم عن رؤية الله من الصوفيين. فإنه لا يقصد رؤية العين.. وإنما رؤية العقل والبصيرة والإحساس" ... الإحساس بالحضرة الإلهية بالمكابدة.

لا شيء يحدث عبثاً... ووراء الأقدار التي تبدو غادرة في مظظهرها حكمة.. إنها تبدو كالعبث واللامعقول بالنسبة لمن لا يعرف كيف يقرأ الحوادث ... ولكن الذين أوتوا البصائر يعرفون أنه يكون لها دور لأن كل سطر في ملحمة الوجود له معنى والمهم أن نعرف كيف نقرأ بالعقول والبصائر لا بالعيون. وكيف نرى الخالق في سجل أفعاله.

وكيف نرى أثر يديه على مخلوقاته. وكيف نعرف ما وراء الظاهر للحوادث وهذا خط أولي الألباب من رؤية الله ... وهي رؤية آثاره واستشفاف حكمته والفهم عنه.

أما أهل القرب والحضرة فلهم "الرؤية بالقلب" وفي هذه الرؤية يهتك حجاب الأشياء ولكن تظل الذات الإلهية محجوبة بأنوارها.

وتجدر الإشارة أنه حينما تقرأ قول الصوفية: قال لي ربي ... أو أوقفني ربي بين يديه وقال... أو خاطبني ربي.. أو قال الله سبحانه.. فهي لغة الصوفية تعبيراً عما يلقى في قلوبهم من الحقائق في لحظات الصفاء الكامل ... فبدلاً من أن يقول الواحد منهم ألقيت في قلبي هذه الحقيقة أو انقدح في ذهني هذا الخاطر.. يقول قال لي ربي... إيماناً بأن نبع الحقيقة وملهمها هو الله وحده.

يقول "النقري" في "المواقف والمخاطبات":

أنت بي تقوم وبكلمتي جئت إلى الدنيا.

قل لا إله إلا الله ثم استقم فلا إله إلا أنا .. وكل ما سواي مني من صنع يدي ومن نفخة روحي. أردد كل شيء إلي أتمره بيدي وأزيد فيه بكرمي.. أسلم ألي كل شيء تسلم من كل شيء.

يا عبد رأيتني قبل الدنيا وعرفت من رأيت وهو الذي إليه نصير.. ثم خلقت لك الأشياء وأسدلتها حجابا عليك ثم حجبتك بنفسك ثم حجبتك بنفوس الآخرين وجعلت كل شيء يدعوك إلى نفسه ويحجب عني ... ثم عدت فبديت من خلفها جميعاً وتعرفت إليك وقلت إني خالقها كلها وإني أخلفتك عليها وإنها أمانة عندك... وعلى الأمين أن يرد الأمانة... فهلا صدقتني ورددت كل شيء إلي وحفظت العهد ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠] ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥]

يا عبد خلقت لك كل شيء فكيف أرضاك لشيء.

إنما نهيتك عن التعلق بشيء غيرة عليك.

يا عبد لا أرضاك لشيء حتى ولو كان الجنة ولو رضيتها أنت... فقد خلقتك لي لتكون عندي ... عند لا عند وحيث لا حيث.

خلقتكَ على صورتي وأحداً فرداً سميعاً بصيراً مريداً متكلماً وجعلتك قابلاً لتجلياتك أسمائي ... ومحلا لعنايتي .

أنت منظري .. لا ستور مسدلة بيني وبينك .

أنت جليسي لا حدود بيني وبينك .

يا عبد ليس بيني وبينك بين .

أنا أقرب إليك من نفسك .

فانظر إليّ فإني أحب أن أنظر إليك .

الجسد خلق لامتحان الروح:

يقول الإمام النِّفري إن الجسد حقيقة فانية وإنه ثوب ابتلاء خلقه الله لامتحان الروح . والصفة البشرية بما فيها من شهوات وأهواء ورغبات ونزوات هي الأخرى ابتلاء وامتحان لتوجه الروح .

إنه لا وجود للصفة البشرية بالأصالة وإنما هي الإغراء الذي تختبر به الروح وتعرف به رتبتها .

هل تدرك الروح نسبتها إلى الله وتتوجه إليه بحبها وشوقها أم يجرها الجسد إلى شهواته .

... إنما أظهرت الشهوات ستراً وحجاباً عليك لامتحان توجهك .. ولو رأيت نفسك كما ترى السماوات والأرض لرأيت الذي يشهدها منك هو أنت بلا شهوة فيك ولا رغبة .

لامتحاني لك ابتليتك بشهوة لا تثبت في حكمك ولا تقوم في مقامك .. فصفتك البشرية هي التي تميل وهي التي تهوى وهي التي تشتهي .. ولكنك لا تميل ولا تهوى ولا تشتهي .

أنت من وراء ستر الشهوات ومن وراء حجاب الصنعة البشرية روح مبرأة عن الشهوة عالية على الصفة البشرية لا تميل ولا ترغب .

إن مغالبة العبد لطبعه هي الدليل على معرفته لنفسه وإدراكه لشرف نسبه باعتباره روحاً تمت إلى الله وليس جسداً ينتسب إلى التراب. يا عبد جعت فأكلت ما أنت مني ولا أنا منك عطشت فشربت ما أنت مني ولا أنا منك.

في القرآن يقول طالوت لجنوده ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ (البقرة:٢٤٩) والذي اغترف غرفة بيده هو الشارب على قدر الكَفَاف. من هنا "حكمة الصَّوم": إعلان الروح عن نفسها وعن قدرتها على قمع الجسد الذي ابتليت به... فالصائم برفضه الطعام يكون قد عرف نفسه ورد لها اعتبارها بصفتها "روحاً" لا تأكل ولا تشرب.

الأنا...

كلمة "أنا" لا يقولها إلا كل صاحب غفلة وكل من كان محجوباً عن الحقيقة تقول "أنا" وأنت محجوب عني وأنت منصرف إلى الدنيا تتخطفك الأشياء كل منها يدعوك إلى ذاته وأنت في غيبة عني.

جعلت لكل شيء وجهاً وجعلت وجهك "حبك لنفسك" وهو ما أورثك وهم الأنا والأنانية. وما الذات إلا لي وما الأنا إلا لي... أنا الذي هو أنا ... أما حقيقتك فهي ليست بذات ولا موضوع.. وإنما أنت واقع في هذه القسمة الوهمية بسبب طريقتك في التفكير والإدراك التي تقسم كل شيء إلى نفس مدركة وموضوع مدرك فأنت في كل لحظة مزدوج ... أنت في كل لحظة فنقسم إلى شاهد ومشهود ... إلى نفس مدركة وموضوع مدرك ... أما حقيقتك فمتوازية خلف هذا الازدواج متعالية عليه .. فأنت لست بذات ولا موضوع وإنما أنت روح من روحي.. لا نسبة لك إلا إلي ... وأنت لا تكتشف هذه الحقيقة إلا حيثما يرتفع عنك الغطاء لحظة رؤيتي فتموت عن نفسك المزدوجة الوهمية وتصحو على حقيقتك وتجد نفسك الحقيقية التي ليست بذات ولا موضوع وإنما محض روح بسيطة. جوهر فرد متعال على الانقسام لا نسبة له إلا إليَّ..

السر:

السر من اللطائف الخفية في داخل الإنسان شأنه شأن الروح والقلب والبصيرة.

سرّك أقوى من الأرض والسماء.

سرّك يرى بدون عين ويسمع بدون أذن.

سرّك لا يسكن الديار ولا يأكل من الثمار.

سرّك لا تحيط به الألباب ولا تتعلق به الأسباب

سرّك يعيش في الأبد وجسدك يعيش في المواقيت

سرّك أنا من ورائه ... لا تعلمني علومه ولا تشهدني شواهده. إذا تحققت بسرّك فما أنت أنت .. وأنت أنت.

أنت مني .. أنت تليني ... وكل شيء في الوجود يأتي بعدك.. لا شيء يقدر عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك ... فأنت أقوى من الأرض والسماء .. أقوى من الجنة والنار .. أقوى ن الحروف والأسماء ... أقوى من كل ما بدا في دنيا وآخرة.

إذا تحققت بسرّك تحققت بي ... أنا الذي منه كل شيء ... أنا الذي أبديت كل شيء ... أنا الذي هو أنا.

ما أنا في شيء ولا خالطت شيئاً ولا حللت في شيء.. ولا أنا في في ولا أنا من من ولا كيف ولا ما ينقال.

فاحفظ حدّك بين المعنوية والثبتية "بين الروح والجسد". كل شيء يطلبه ما منه "الجسد من التراب والتراب يطلبه" وما أنا من شيء فيطلبني ولا أنا بشيء فيتخصص بي "لست متعيناً وإنما مطلق".

السر الروحاني الذي يمكنه تغيير حياتك

كتب المؤلف الروحاني ب. د. أوسبنسكي رواية ممتعة تدعى "حياة إيفان أوسكين الغريبة"، شاب يرى الحياة غير محتملة، يزور ساحر حكيم شاكياً، "لو كان بالإمكان الرجوع في العمر عدد من السنين وأبدأ من جديد، لأمكنني أن أعمل الأشياء بطريقة مختلفة". أكّد الساحر للشاب أنه لن يؤدي ذلك إلى أي اختلاف – سيكرر ذات الأخطاء. ولعدم إقتناع الشاب بهذا القول، طلب إيفان أن يعود بالعمر للوراء كتجربة. وافق الساحر، وأرجع إيفان في العمر أثني عشر سنة للتجربة.

لقد قام إيفان بذات التجارب والأعمال المرعبة السابقة. كل شيء مفزع ومحزن حدث سابقاً تكرر مرة ثانية. استغرب إيفان أنه بالرغم من كل مقاصده الخيرة، لم يكن لديه أي قوة لتغيير مجرى حياته.

رجع إيفان للساحر بحيرة سائلاً ما الأمر. يشرح الساحر لإيفان: لكي تكون الحوادث مختلفة، يجب أن يكون إيفان ذاته مختلفاً، يجب أن تتغيّر وتتحوّل طبيعة إيفان ذاته، وتصبح جديدة. طبيعة جديدة تدعو إلى مثابرة في عمل ذاتي، يؤدي إلى حركة أسباب جديدة لديه. ومن ثم كل شيء سيكون مختلفاً. فـ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[الرعد:١١] إن طريق الوعي الروحي الباطني (الإيسوترك)، يؤدي إلى تغيير كامل في ردود أفعالنا نحو الحياة. إنه أمر عجيب. كل شيء يُرى بضوء مختلف. ما اعتدنا على تجاهله سابقاً، الآن نقدّره ونثمنه عالياً. ونرى الآن أن الأحوال الاجتماعية الفوضوية والشغب لا يعني إزعاجاً في داخلنا. ونرى الآن بوضوح أن مملكة الحرية الداخلية الباطنة لا يمكن لمسها والتأثير عليها بالهجوم الخارجي الظاهر.

إننا ندرك الآن بسرور كيف نختار بين ردود الفعل السلبية والإيجابية. يمكننا وقف الرّكد والسير سريعاً بهياج يومياً، لأننا نفهم بأننا بالحقيقة لم نكن نريد السباق لمهثين من التوتر والتعب الشديد والضغط النفسي، ببساطة لم نكن نعرف ما نعمل. لكن الآن

نعرف. لقد أمسكنا بلمحة ونظرة خاطفة هامة من عالم أعلى سامي. ما نريده فقط هو رفض نظرتنا الحالية لهذا العالم الظاهر بأنه حدود العالم.

أسلوب مغيّر للحياة

في شؤون كل يوم من أيامنا نرى بوضوح ضرورة وضع الأشياء في نظامها الصحيح. نرى أن أساس البيت يجب أن يأتي قبل السقف، ونعرف أننا يجب أن نغسل ونقص الخضار قبل طبخها. نفس مبدأ نظام الأشياء الصحيح يجب أن يسود في حياتنا السيكولوجية الروحانية إذا أردنا تجنب الفوضى وتحقيق النجاح. هذه الفكرة الوحيدة، إذا فهمت تماماً وطبقت، يمكنها أن تكون نقطة التغيير في حياتنا.

الإنسان يمكن أن يكون سعيداً. لكن، إذا وضع السعادة كأوّل شيء في في عمله، فلن يجدها. سيجد لهواً وإثارة ومشاعر وقتية، ولكن لن يجد رضى وقناعة دائمة.

يجب أن نسير في النظام الصحيح. السعادة تتبع مجهوداً مخلصاً لاكتشاف الذات. لا يمكننا أن نكون سعداء، إذا كنا غرباء إلى ذواتنا. فمعرفة وفهم الذات (النفس الحقيقية السامية) هي باب السكينة والطمأنينة.

تذكر ما يلي:

- غيّر نفسك قبل العمل على تغيير الآخرين.
- ضع الرجل الداخلي في قيادة الخارجي.
- أترك الكاذب قبل البحث عن الحقيقي.
- كن محباً وسوف تُحب.
- أنظر بسبب شعورك بالأذى، وليس إلى أولئك الذين آذوك.
- ضع النزاهة الباطنة قبل الأعمال الجيدة.
- ضع التفكير قبل الكلام.
- كُن شخصاً حقيقياً، ومن ثم شخصاً اجتماعيا.

❖ افهم نفسك، ومن ثم حاول أن تعرف الآخرين.
❖ ضع فهم الذات قبل إرضاء الذات.
❖ أتلف الإتجاهات السلبية، ليس الأحوال السلبية.
❖ ضع جهوداً صغيرة قبل القرارات الكبيرة.

المبدأ والنظام الصحيح الأسمى وضع بوضوح قبل مئات السنين: إبحث أولاً عن مملكة السماء وبعده كل الأشياء سوف تضاف إليك.

نحن نعيش في الم محكوم بمبادئ روحانية وسيكولوجية. ليس علينا إلا أن نفهم ونربط أنفسنا بهذه المبادئ كما يقول الفيلسوف الروحاني سيبوزا. مثلاً الحب يمكن أن يجذب ويقابل فقط بالحب. فالشبيه يجذب الشبيه.

مفاتيح ذهنية أربعة

نحن محكومين بمبدأ الجهد والراحة المتناوب. التغير في سرعة السير ضروري للانتعاش والنشاط. عندما يحصل التعب أو الإحباط، لا تنزعج. ضع الكتاب جانباً بهدوء وخذ بعض الشاي مع الكعك. لا تخاف من هذا العمل. إذا كان القصد صحيحاً، سنجذب طبيعياً لإعادة الدراسة، بنشاط وحيوية، ونكون مستعدين للخطوة الثانية بنشاط وحيوية.

كل ما نحتاجه هو قرار البحث عن النور، حينما نبدأ ذلك، الأشياء الأخرى جميعاً تعمل لنا. إشارة بعد النظر: عندما نرى كيف أن أحد المبادئ السيكولوجية يرتبط مع آخر. كمثال سوف ترى كيف "لا تقاوم الشر" مرتبط مع قانون عدم عبادة الآلهة الكاذبة. فعندما تقاوم شيئاً، ربما إشارة غير لطيفة، ذات المقاومة تتضمن وتشمل إيماناً أن تلك الإشارة يمكنها إيذاءنا. لذلك فإننا نعبد بموقفنا هذا إله كاذب وضعيف. الإشارة السيئة. عدم المقاومة يدعو للفهم ويتلف الكذب.

المفاتيح الذهنية الأربعة

١ . رغبة مخلصة للتغيير الباطني : يبدأ التغيير الذاتي من اللحظة التي نرغب فيها بحرارة وقوة أن نكون نوع مختلف من الأشخاص .

٢ . الاتصال بالمبادئ العملية : يجب أن نربط أنفسنا بمبدأ مساعد جوهري وأساسي ، ربما كتاب ، أو معلم متنوّر ، أو بنورنا الباطن .

٣ . الأمانة الذاتية : يجب أن نواجه الحقائق عن أنفسنا بشجاعة ، حتى لو كانت مزعجة ، لكي نكسر القيود .

٤ . المثابرة : بالتحمل ، السعادة تأتي تدريجياً لكن بالتأكيد ، مثل ضوء يتذبذب ، أخيراً يتألق باستمرار .

بينما نقرأ ونختبر مبادئ روحانية موجودة في الكتب أو مسجلة على أشرطة إلكترونية ، نختبر تغيراً غامضاً داخلنا . ما أخذناه سابقاً بأنه كلمات وجمل مشوّقة جذابة ، يتحول الآن إلى شعور محدد . هذا يعني أننا رأينا واختبرنا شيئاً أبعد من الكلمات ؛ فالذات البديهية الوجدانية تحركت ونفذت لتحوّل فكرة عقلية إلى خبرة حية .

سر التاو الخفي

تقول فلسفة "التاو" : الحياة سلسلة من التغيرات الطبيعية التلقائية . لا تقاومها ؛ لا ترغب لو أن الأشياء كانت مختلفة . ذلك يخلق فقط الحزن . سر مع تلك التغيرات . دع الواقع يكون واقعاً . دع الأشياء تجري وتتدفق طبيعياً إلى الأمام في أي طريق تريد . كُن مثل الحجارة محمولة مع جدول الحياة .

لماذا؟ لماذا ، تلك هي طريق الانسجام والتناسق . إنها الذات الأنانية التي تفكر عبثاً أنها تسيطر على الطبيعة . إنها لا تفعل . كما أنها عبثاً أنها تسيطر على الطبيعة . إنها لا تفعل . كما أنها ليست بحاجة لذلك . لكن كل مرة تحاول ، فإنها تفشل وتبكي .

من الغريب أننا نسأل لماذا لا يجب أن نتدخل في مسرى الحوادث والتغيرات. لماذا، ذلك هو الطريق الوحيد الذي نريده حقاً —حديقة هادئة في وسط اضطراب وعراك ومشاغب العالم.

تشير الـ"تاو" Tao، "إن إوزة الثلج لا تحتاج إلى الاستحمام لجعل ذاتها بيضاء. كذلك لا تحتاج أنت لعمل أي شيء بل أن تكون "ذاتك". الغنى؟ الشهرة؟ القوة؟ إنها فارغة. مع "التاو" لديك غنى جوهريلا يزول. إنك لا تحتاج لأن تصرخ بوجوده. إذا كان لديك كيس مملوء بالذهب، إنه قيّم إذا عرف عنه الآخرون أم لم يعرفوا. لكن الإنسان المنهمك والمنهك يحتج، "لا نستطيع أن ننجرف مع التيار؛ يجب أن نأخذ المبادرة؛ يجب أن نعمل شيئاً". يجيب لاوتسي برفق، "نعم، أنا خائف أن تلك هي مشكلتك الكاملة، إنك دائماً تعمل شيئاً".

في غمرة قلقك لربح هدف أو غاية أو إزالة ضغط، تعمل شيئاً بتحفّز. بذلك تخلق مشكلة ثانية. خفف الوضع. لا تخاف أن تكون بدون حل عاجل. دع عقلك يعطي الجواب. إنه عدم فائدة وغير طبيعي أن تعمل للعيش مثل أن تجبر كرة أن تتدحرج إلى أسفل التلّة.

طلب غريب عن المعتاد .قول لاوتسي، لا تقاوم الحياة. كذلك فعل المسيح. يقول لاوتسي، أنظر إلى الحماقة والجهل والأنانية لدى البشر. كذلك قال وفعل وليم جيمس وآرثر شوبنهور، أرك فروم، ألبرت شوايتزر، وهنري ديفيد ثورو بالإضافة إلى أي شخص لمح الحياة الشامخة والسامية.

السلام والقناعة، بالرغم من العالم المليء بالضجيج والاضطراب والنزاع والأنانية والتوتر والاكتئاب والقلق والضغط النفسي. تلك هي رسالة، "تاو" البسيطة.

كن مرحاً مبتهجاً

كثير من الأسرار والخفايا تُحل عندما نرى أن الحياة تتكون من مستويات مختلفة من الفهم والإدراك. فكل واحد يشغل مستوى مختلف. ونحن نرى أننا نفشل بعدة أشياء لأننا نحاول أن نطالب بنجاح في مستوى أعلى بينما لا نزال نشغل مستوى أوطأ. هذا

مثل محاولة المطالبة بمحتوى شقة في الطابق السادس بينما نحن في الواقع نعيش في التسوية. للمطالبة بمكافئة مستوى معين، يجب أن نكون في الحقيقة في ذلك المستوى.

سوف نلاحظ أيضا أنه في مستوى عالٍ من العيش لا يوجد شيء مثل المنافسة. التنافس يوجد في المستوى البشري من العمل، السياسة، والعلاقة الذكرية الأنثوية. لكن في الأعلى لا يوجد مثل هذا التنافس. أنت وكل شخص آخرلديه كل شيء يحتاجه. المنافسة والمحدودية ليس لها معنى في ها المستوى العالي. هل ينافس أي منا من أجل الهواء الذي تتنفسه؟ تلك هي الحالة في المستوى العالي.

من المُلح لنا أن نرى: لا شيء يمكنه التحسّن حتى نرى الصلة بين مستوانا السيكولوجي الروحاني والأشياء التي تحصل لنا. إذا كنا سراً نلوم الناس أو الحوادث لمشاكلنا، فإننا نفقد ذات الشخص الذي يجرب التأثير وردّ الفعل.

الإحباط يحدث عندما نحاول أن نعمل قبل أن نفهم أولاً. لا يمكننا أن نعمل بنجاح فوق مستوانا من الإدراك وبعد النظر. لكننا نستطيع أن نعمل لرفع المستوى. الفهم هو عمل الشيء الذي يعطي ربحاً وفائدة. لا تسابق قبل أن تفهم. دع الأمر يكون مثل شعلة تسير في الأمام لتنير الطريق أمامك.

هنا سر للحل:

إن كل ارتفاع أو علو جديد يجب أن يسبقه غطسه أو وثبة في الظلام، مثل قطار يسير في نفق. لماذا يجب للظلام والشك أن يسبق خروجنا لضوء الشمس لمستوى أعلى؟ هذه الظلمة تعني رضانا بإزالة الأوهام العبثية أننا نعرف هذا أو ذلك من قبل. إنها حالة من الاستسلام الأمين بحكمة أكبر من حكمتنا.

أساليب روحانية باطنية حول المستقبل.

ماذا تريد من أجل صحتك الطبيعية؟ الراحة من الإجهاد والتوتر؟ ما يكفي من أوجاع الرأس؟ الوفرة من الطاقة الطبيعية؟ ما يكفي من الإرهاق؟ نوم مريح؟ يمكنك تحقيق

كل ذلك. خذ الأمر كحقيقة بأنك ستشعر بالتحسّن، وبقوة أكثر، والطاقة الصحية ستزداد حينما تخطو إلى مستوى أعلى جديد.

هل الطريق الروحاني الباطني الخفي (Esoteric) يمكننا من النظر للمستقبل؟

يوجد نبوءة حقيقية ثابتة يمكنك منها التنبوء بمستقبلك. بالعمل على تغيير الذات، يمكنك أن تتنبأ بعيش مريح. بالنسبة للحوادث الخارجية، يمكنك أن لا تنتبه لها خارج نطاق خططك العادية الذكية. حينما تعيش "بذاتك الحقيقية". لا يكون لديك اهتمام للمستقبل المالي أو الصداقات. السبب الجديد بداخلك، بذاتك الحقيقية السامية يجعل كل شيء طيّب وخيّر وسليم بدون مجهود غير طبيعي من قبلك.

الفردوس هو مستوى عالٍ من النمو الروحاني السيكولوجي.

الحب فردوس. وكذلك السلام، الفهم، الرحمة، اللطف. جهنم هي حالة روحية نفسية عقلية، جهل وعدم إدراك وفهم أنفسنا. الكره جهنم. كذلك الغضب، الغطرسة والعجرفة، الحسد والخوف.

الميزة الروحية الإنسانية

يستطيع الإنسان السيطرة على مصيره عندما يفهم طبيعته الحقة. فمن خلال تطور علم النفس وتطبيق فنونه وطرقه، أصبح باستطاعة الإنسان فهم ووصف الوانين التي بموجبها يمكنه نقل الرغبات المحددة من مستوى الفكر والمعرفة إلى حيث يمكن تحقيقيها على مستوى الشكل والوظيفة.

إن المبدأ الكوني العلة والمعلول يعمل على كل المستويات. فكل سبب يعطي أثره الخاص به، وكل أثر تابع لسببه. وهناك تشابه في الظواهر على جميع المستويات المختلفة للوجود، فما هو حقيقي وصحيح في مستوى ما هو حقيقي وصحيح على جميع المستويات. وأن مبدأ التشابه والمماثلة يمكن الإنسان أن ينتقل بذكاء من أي معلوم إلى المجهول الخاص به.

كل منا يعرف مبدأ فعل العتلة وهذا أحد مبادئ الميزة الميكانيكية وهناك مبدأ مماثل لها على مستوى العقل هو مبدأ الميزة الروحية. وعند فهم قوانين العقل وتوجيهها بالذكاء، فإن الأمور الصعبة تصبح سهلة والأمور والأعمال الغير ممكنة تصبح ممكنة التحقيق.

لقد علم العلماء في جميع العصور أن مبدأ الميزة الروحي منطبق تمام الإنطباق مع الأحوال العقلية والعاطفية، أي العاطفة الموجهة بالذكاء، والتي كانت تدعى قديماً "القلب"، أما في الوقت الحاضر فإننا ندعوها "حالة الوعي". الخوف هو إيمان معكوس. ويظهر تأثيره كما في كلمات النبي يعقول:"إن الشيء الذي خفت منه كثيراً قد أصابني". الفكر الذي لازمه وقوي عاطفياً إلى شعور بالخوف، قد أعطى الحالة والنتيجة التي أصابته.

لكن الإنسان لديه حرية الاختيار لأفكاره. لذلك على الإنسان أن يختار بإنتقاء أفكاره. وكما يعظ القديس بول:"أي الأشياء صحيحة وصادقة فكر فيها".

حيث يوجد فكر بناء مدعم بعاطفة بناءة، فإن العمل الخلاق الصحي يتبع هذه الحالة. وما يفكر فيه ويتأمله العقل فإنه يخلقه. و"كما هو تفكير الإنسان، كهذا التفكير يصبح"، وإنه لهذا السبب على الفكر أن يطهّر ويعدّل؛ لو ركّز الإنسان على الحقيقة كما هو مركّز على الأشياء المدركة للحواس، لاستطاع أن يتحرر من عبوديته بالقوانين العقلية، وبقانون الميزة الروحية يمكن تحويل المرض إلى صحة، والفكر إلى خير ووفرة، والوحدة إلى حب، والإحباط إلى نجاح.

إن خطايا النفس تظهر آثارها على الجسد عبوساً وشحوباً وارتجافاً وتشنجاً ومرضاً وضعفاً وهرماً وشيخوخة.

الإنسان سيد مصيره حيث أنه أعطي حرية اختيار نيّته. وإن الانفعالات والحالات النفسية تثير بعض الغدد الصماء، فيضطرب إفرازها ويزيد وينقص ما تصبه في مجرى الدم من الهرمونات. وهذه الهرمونات تتحكم في حالة الجسم وتسيطر عليه من حيث الصحة والمرض.

الإنسان قوة من قوى الوجود، وعمله وإرادته، وإيمانه ونشاطه، وصلاته، وعبادته، ونواياه، وتوجهاته ... هي ذات آثار إيجابية في هذا الوجود وهي مرتبطة بسُنّة الله الشاملة للوجود. وكلها تعمل وتعطي ثمارها حين تتجمع وتتركّز وتتناسق، وهي حين تكون سلبية تفترق وتتصادم وتفسد آثارها وتضطرب وتفسد الحياة وتنتشر التعاسة والشقاء والعجز والهرم والمرض بين الناس. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53] فالارتباط قائم دقيق بين عمل الإنسان وتوجهاته وأهدافه ونواياه وشعوره وعواطفه وبين مجريات الأحداث تبعاً للسنة الإلهية الشاملة للوجود.

يقول جيمس ألن: "سيجد المرء، متى غير اتجاهه الذهني حيال الأشياء والناس، إن الأشياء والناس سيستجيبون لهذا التغيير بمثله... دع إنساناً يغير اتجاه أفكاره، وسوف تتملكه الدهشة بسرعة التحوّل الذي يحدثه هذا التغير في جوانب حياته المتعددة. إن النفخة والقدرة الإلهية التي تكيف مصائرنا، مودعة في أنفسنا... وكل ما يصنعه الإنسان

هو نتيجة مباشرة لما يدور في فكره. فكما أن المرء ينهض على قدميه، وينشط، وينتج بدافع من أفكاره، كذلك يمرض، ويشفى بدافع من أفكاره أيضاً".

يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦] ويتحدث سبحانه عن وعد نوح لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠-١٢]

فهناك ارتباط كما ذكرنا سابقاً بين الواقع النفسي والروحي للناس والواقع الخارجي الذي يفعله الله بهم بسننه الإلهية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]

فالإيمان بالله وعبادته واتباع فطرته التي فطر الناس عليها.. هذه نفاذ وتحريك لسنن الله... هذه السنن ذات الفاعلية والاستجابة الإيجابية نابعة من المنبع الذي تنبثق منه سائر السنن والقوانين الكونية التي ترى آثارها بالحس والاختبار والواقع.

إن فطرة الإنسان النقية وشريعة الله للناس وصراطه المستقيم هي طرق من قانونه الكلي في الوجود. فإنفاذ هذه الطرق له أثر إيجابي في حياة الناس وسيرة الكون.

وهكذا يظهر التكامل والتناسق بين سنن الله جميعها سواء ما نسميه القوانين الطبيعية المادية وما نسميه القوانين والقيم الروحية الإيمانية. فهذه جميعها أجزاء من سنة الله الشاملة في الكون والحياة.

هناك قوة روحية خلاقة تتخللنا وتحيط بنا، يمكن استعمالها بصورة صحيحة لإصلاح الأخطاء الإنسانية التي ترى أن الإنسان منفصل عن الله سبحانه. فالمولى عز وجل لم يغب عنا لحظة واحدة، وقوته وحكمته وكرمه وعطائه يغمرنا أينما كنا وفي جميع اللحظات.

نحن نعرف الله سبحانه من خلال تعرفنا على النفحة الروحية في داخلنا. وبضبط أفكارنا باتجاه هذا الحضور الإلهي يهدينا ويلهمنا ويقوينا في سلوكنا وخبراتنا في حياتنا بطبيعته ومشيئته. وكل ما يطلب الله منا هو اتباع نوره القدسي فينا وإظهاره في توجهاتنا وأعمالنا. والتقدم أو التأخر في حياتنا وكمالنا الإنساني هو من خلال

الاستعمال الصحيح أو الخطأ للقانون الإلهي في أعماقنا. وما نختبره في حياتنا هو من خيارنا واستعمالنا لهذا القانون الطبيعي الذي لا يحابي ولا يلين والذي يتحكم في جميع خبراتنا بإعطائنا حصاد ما زرعناه بأيدينا ونوايانا وأفكارنا.

ونحن نحصل على الصحة والعطاء الإلهي ببذرنا الأهداف الصحيحة، وأفكار الحب والتسامح بدل الحقد والسوء والمكر والضغينة. ويتمتع الإنسان بالغنى المادي والروحي بمحافظته على العهد والميثاق بينه وبين الله سبحانه. ولكل إنسان اختياره. وما يعطي الإنسان للحياة ترد وتعطي الحياة له. فمن يظلم يُظلم، ومن يحب يُحب، ومن يخدم مصلحة الحياة والآخرين ينال الثراء والبركة في كل أعماله.

فلندع وعينا الإنساني يرتبط بالنور الإلهي في داخلنا ونحافظ على نقاء نفوسنا ونطرد العواطف السلبية الهدامة من حقد، وحسد وأنانية، ونفتح أنفسنا لنسيم الطبيعة الإلهية والشعلة المقدسة السامية في أعماقنا.

إن الشعلة المقدسة في داخلنا والتي هي من روح الله تهدينا إلى الطريق الصحيح للعيش وتحمينا من السوء والعلل والأمراض وتمتعنا بالصحة الطبيعية والسلام. وما العلل والأمراض والتعاسة إلا عدم السماح للطبيعة والنفحة الإلهية السامية فينا أن تعبّر عن نفسها من خلالنا. وإن كل فكرة نفكر بها وتصور نتصوره يجلب لنا ما يساويه ويوازيه من صحة أو مرض حسب نوعه وطبيعته.

سحر الحقيقة الروحية

هناك روح إنسانية في الباطن أعتقها الله من كل القيود لا سلطان لأحد عليها .

حتى الشيطان يقول له الله في كتابه الكريم : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢] والغاوون هم أولئك الذين اتبعوا الشيطان بإرادتهم الحرة وهواهم ودون سلطاناًو قهر من أي أحد .

ولذلك تعجز وسائل الإصلاح التي تعتمد على العنف والقهر والقوة كما تفشل النظم التي تحاول تغيير المجتمعات بالوسائل والأساليب القهرية . حينما يصبح كل واحد فينا مثل نبات عباد الشمس يتحرك موجهاً بصره وقلبه إلى الحق ... يقول له الله ... أنا معك .. لا فاعل سواي ... أنا وحدي الضار النافع والمعز المذل والباسط القابض وكل قوتك مني وحياتك مني .

بي ترى وبي تسمع ، وبي تحيا وبي تعيش ، وبي تنمو وتشفى من أسقامك . أنا الذي أروي وليس الماء . وأنا الذي أشبع وليس الطعام .. وإنما هي أسبابي أتممها لمشيئتي .

قال سبحانه في حديثه القدسي :"لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي" . ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١-٤] الله واحد أحد لا يتجزأ ... لا مثل له ولا ضد ولا ند ولا شريك ولا كيف ولا كم ولا أين .. لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن ولم يفترق عنها فيقال هو عنها بائن .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] إن الأسباب لله هو الذي يملكها وهو الذي يؤتيها وهو الذي يسوقها وهو الذي يسخرها . وهو الذي أقام قانون السببية . ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤] ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦] إن الله يهدي من يشاء أن يهتدي . مشيئة الله وهدية ليست أموراً

عشوائية تعطى وتمنع في تعسّف وإلاانتفت مسؤولية العباد تماماً... والقرآن الكريم يوضح هذه المسألة فهناك دائماً حكمة وراء المنع والعطاء والهداية والإضلال، وإن مشيئة الله وهدايته تستند دائماً إلى لياقة واستعداد في الإنسان. فالإنسان يملك من المبادرات وخلوص النية والتوجه ما يرشّحه للعطاء أو الحرمان.. فعطاء الله مشروط كما أن حرمانه بسبب وليس الأمر جبراً أو إكراها وتعسفاً.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠]

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف:٥]

بيان علة الاختلافات التي بين الديانات النبوية بعضها في الأصول وبعضها في الفروع

إن معنى الدين في لغة العرب، هو الطاعة من جماعة لرئيس واحد. ولما كانت الطاعة لا تتبين إلا بالأوامر والنواهي، والأمر والنهي لا يعرفان إلا بالأحكام والحدود والشرائط في المعلومات، سميت هذه كلها شريعة الدين وسنن أحكامه.

فلما كان الإنسان هو جملة مركبة من جسد جسماني ظاهر جلي، ومن نفس روحانية باطنة خفية، كانت أحكام الدين والإسلام وحدود الشريعة على وجهين: ظاهر وباطن. والظاهر هو أعمال الجوارح، والباطن هو اعتقادات الأسرار في الضمائر، وهو الأصل، كما قال عليه السلام: "الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى".

ثم أعلم أن الأنبياء، عليهم السلام، لا يختلفون فيما يعتقدون من الدين سراً وعلانية، في شيء منه البتة، كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

إن الشرائع، التي هي أوامر ونواة وأحكام وحدود وسنن، فالأنبياء فيها مختلفون، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة:٤٨] وقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج:٦٧] وإن اختلاف الشرائع ليس بضار، إذ كان الدين واحداً، لأن الدين هو طاعة وانقياد للرئيس الآمر، فيما يأمر وينهي المرؤوسين، بحسب ما يليق بواحد واحد، وما يرى

أنه يصلح له ويصلح فيه، لأن أوامر أصحاب النواميس ونواهيهم، مماثلة لأمر الطبيب الرفيق الشقيق، فيما أمر العليل من الحمية في الصيف من تناول الأشياء الحارة بالطبع، وإجازته شرب المبردات في البلدان الحارة، وفيما يرى ويأمر به.

فمن أجل هذا اختلفت شرائع الأنبياء، عليهم السلام، وكذلك إن اختلفت سنن الدين وقواعد النواميس، لأنهم أطباء النفوس ومنجموها. وذلك أن في الأدوار والقرانات والألوف، قد تعرض للنفوس من أهل كل زمان، أمراض وأعلال مختلفة من الأخلاق الرديئة، والعادات الجائرة، والآراء الفاسدة من الجهات المتراكمة، كما يعرض للأجساد من الأمراض والأعلال والآراء الفاسدة من الجهات المتراكمة، كما يعرض للأجساد من الأمراض والأعلال من تغييرات الزمان والأهوية والأغذية، فبحسب ذلك يجب أن يكون اختلاف علاجات الأطباء ومداواتهم.

فهكذا شرائع الأنبياء، واختلاف سننهم بحسب أهل كل زمان، وما يليق بهم، أمة أمة، وقرناً قرناً، مثل شريعة نوح عليه السلام، في زمانه، وشريعة إبراهيم عليه السلام، بعده في زمان آخر وقوم آخرين. وشريعة موسى عليه السلام في زمان آخر وقوم آخرين، وشريعة المسيح عليه السلام بعده في زمان آخر وقوم آخرين، وشريعة سيدنا محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

الاعتقاد (الإيمان)
وسحر العقل في حركته الخفية

"ما يدركه ويؤمن به العقل الإنساني يمكن تحقيقه"

من الأكيد والواضح التفاعل بين القوى النفسية والقوى المادية. فالفكر يؤثر في الجسد، والجسد يؤثر في الفكر. فلا يكاد الإنسان يخجل من شيء حتى تحمّر وجنتاه، ولا يحزن لحادث حتى يمرض أو يظهر الضعف والشحوب عليه.

نُوّم أحد الأشخاص تنويماً مغناطيسياً (إيحائياً) ثم أخبر أثناء التنويم بأن جمرة ملتهبة قد وضعت على يده، فظهرت آثار الاحتراق والتقيّح على جلدة يده كأن ناراً حقيقية قد مسّتها.

والفكر يتأثر بالمادة على نفس المنوال الذي يؤثر فيها. فالإنسان حين يتناول شراباً مسكراً أو منعشاً أو مخدراً تجد أفكاره قد تغيرت تبعاً لنوع المادة التي تناولها. وعلى هذا قس العديد من الوقائع التي نلاحظها في أنفسنا وفي غيرنا في حياتنا اليومية.

يقول د. جيمس رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس في جامعة لندن: "إن الجسد قطعة من المادة، وهو لذلك يملك خصائص المادة من ثقل وكتلة وشكل وحجم وغير ذلك. وهو يخضع لقوانين الفيزياء. أما الفكر، فنحن نتصوره مختلفاً، فنحن نقول عنه أنه غير مادي، ومعنى هذا أنه ليس له ثقل ولا كتلة ولا حجم، إنه لا يشغل حيّزاً ولا يخضع لقوانين الفيزياء. فإذا كان الفكر والمادة مختلفين هذا الاختلاف كيف يحدث التفاعل بينهما فعلاً؟ إن حجراً يمكن أن يسحق حشرة، ذلك لأن الحشرة مثل الحجر لها كتلة ومادة؟ ولكن كيف يمك للحجر أن يؤثر على رغبة؟ إن طول الذراع يمكن قياسه، ولكن كيف يمكن قياس الإلهام الذي أدى إلى إنتاج السمفونية الخامسة لبتهوفن؟.

"ليس من المبالغة أن نقول بأن هذه المشكلة الأساسية هي من المشاكل التي يجب على جميع مدارس علم النفس أن تحاول حلها، هذا مع العلم أن ليس هناك مدرسة نفسية قد حلّتها حلاً موفقاً".

إن هذه المشكلة التي يتحدث عنها البرفسور جود تظهر بأجل مظاهرها في مجالات التنويم المغناطيسي والإيحاء والتصوف والعقيدة وما أشبه. يذكر د. علي الوردي في كتابه "خوارق اللاشعور": من الأشياء التي شاهدتها حادثة حدثت قبل عشر سنوات تقريباً ولا أزال أتذكرها متعجباً. فقد أقيمت في جامعة بيروت الأمريكية حفلة كبيرة حضرها منوّم مغناطيسي مشهور. ومن جملة ما قام به هذا المنوّم أنه أعطى كرات معدنية باردة إلى عدد من الحاضرين ثم أخذ يوحي إليهم بصوت عالٍ "إنها ساخنة ... إنها ساخنة". فأخذت الكرات تسخن في أيديهم فعلاً حتى رماها بعضهم على الأرض لشدة حرارتها وهم ينفخون في راحات أكفهم من شدة الألم. وبقي واحد منهم أصرّ على إبقاء الكرة في يده. وأخذ ينقل الكرة من يد إلى يد بغية تخفيف ألمها. وعندما رماها أخيراً بدت على راحة كفّه علامات الاحتراق.

إن الكرة لم تسخن في الواقع، إنما الذي سخن هو جلد اليد وذلك من جراء الإيحاء ... وليس هذا بعجيب، فإن الإنسان كثيراً، ما يتخيل المرض فيمرض، ويتوهم الألم في مكان ما من جسمه فيحدث الألم هناك فعلاً.

وقد ظهر في شتاء إحدى السنوات وفي حديقة الهايد بارك بلندن، فقير هندي عاري البدن يكاد لا يحس بزمهرير الشتاء، وأخذ يقوم بأعمال خارقة. فهو كان يبتلع حطام الزجاج والمسامير الصغيرة الحادة وغيرها. ويشرب حامض النتريك، ويمشي حافياً في الجمر الملتهب. وقد يدفنونه تحت التراب عدة ساعات ثم يخرجونه حياً كأن لم يكن حدث عليه شيء.

وقد بحثت جمعية المباحث النفسية في لندن حالة تشبه هذه الحالة، حيث مشى فريق هندي على فراش من الجمر كانت درجة حرارته تزيد على الألف (بمقياس فهرنهايت)، وقد أعاد المشي عليه مرة ثانية للتأكيد. فسجلت هذه التجربة في سجلات الجمعية.

وقد يقوم بعض المتصوفة بأعمال مشابهة لتلك التي يقوم بها فقراء الهنود. فهم يضربون أنفسهم بالسلاح ويغمدون الخناجر والسيوف في بطونهم ويأكلون النار.

إن هذه الخوارق تدخل في موضع تأثير الفكر في البدن، وهي في الواقع ناتجة عن سيطرة عقيدة معينة على جسم الإنسان.

فالفقير الهندي حين يمشي على النار إنما هو معتقد اعتقاداً جازماً بأن النار لا تؤذيه. إن هذه العقيدة قد استحوذت على ذهنه استحواذاً تاماً بحيث أصبح في شبه غيبوبة عن ما حوله. فمجرد شك بسيط يخامر نفسه حتماً سيؤدي إلى هلاكه.

ولا ريب أن هذه العقيدة الجازمة الخالية من كل شك ليست بالأمر الهيّن ولا يستطيع أن يحصل عليها أي إنسان. إذ هي "عقيدة عميقة" لها جذورها القوية في أغوار اللاشعور "العقل الباطن". ولا يكفي الإنسان فيها أن ينوي ويعزم أو يقصد ويتعمد.

إن العقيدة في الواقع ليست بيد الإنسان، وهو لا يستطيع أن يحصل عليها أو يتركها كما يريد. إنها قناعة لا شعورية تأتي نتيجة الإيمان القوي والمراس الطويل والانغمار الذي لا يخامره شك أبداً.

إن العقيدة التي تكون في العقل الظاهر فلا تتغلغل إلى العقل الباطن واللاشعور قد تضر ضرراً بليغاً من هذه الناحية. وهي ربما أدّت إلى عكس النتيجة المبتغاة فيها. إن صاحب هذه العقيدة السطحية لا يكاد يضع قدمه على النار اقتداءً بفقراء الهنود، مثلاً، حتى يأخذ عقله الباطن بالتخوّف والاستغاثة. فهو يقول لنفسه أقدم ولا تخف، لكن عقله الباطن يهمس في أغوار النفس بهمسات الخطر ودنو الأجل.

يعلل العلماء أن "خوارق المتصوفة والهنود" بأنها نوع من التنويم الذاتي Auto hypnosis. فالمتصوف ينوم نفسه قبل أن يقوم بتلك الخوارق. والهنود يختلفون في الطريقة التي ينومون بها أنفسهم تنويماً ذاتياً، فالهنود يروّضون أنفسهم رياضات نفسية معقدة وطويلة الأمد حتى يصلوا أخيراً إلى مرحلة القدرة على القيام بالخوارق. وعند وصولهم إلى تلك المرحلة النهائية يصبحون كأنهم خرجوا من هذه الدنيا وأخذوا يعيشون في دنيا خاصة بهم، وتصبح الخوارق لديهم آنذاك أعمالاً اعتيادية يستطيعون أن يقوموا بها متى شاؤوا.

بعض المتصوفة يلجأون إلى الغناء ودق الدفوف وإلى نوع من الرقص والدوران، وإذ ذاك يدخلون في شبه غيبوبة يطلقون عليها أحياناً "المدد". وليس المدد في الواقع إلا تنويماً ذاتياً.

إن التنويم المغناطيسي "الإيحائي"، يؤدي إلى إخماد قوى العقل الظاهر وجعل العقل الباطن وحيداً في الميدان. ولا فرق في هذا سواء أكان التنويم غيرياً أم ذاتياً.

إن خوارق المتصوف إذن هي خوارق اللاشعور (العقل الباطن). وكلما قلّ وعي المتصوف أثناء القيام بها قل الخطر عليه منها. يعتقد المتصوفة أن الخوارق التي يقومون بها آتية من صحة عقيدتها. والواقع أنها آتية من "قوة عقيدتهم" —لا من صحتها. فقوة العقيدة وعمقها وتغلغلها في العقل الباطن "اللاشعور" هي التي تؤدي إلى ظهور الخوارق أما صحة العقيدة فلا شأن لها في هذا الأمر.

إن كل إنسان قوي في عقيدته يستطيع أن يصل إلى نفس النتائج التي وصلوا إليها —سواء كان من اتباع آغاخان أو عباس أفندي أو الرفاعي وغيرهم.

إن العقل الباطن (اللاشعور) لا يعرف التمييز بين الحق والباطل، أو بين الصواب والخطأ. إن هذا من شأن العقل الظاهر أن يعرفه. فالعقل الباطن هو عقل "اليقين والعقيدة"، بينما العقل الظاهر هو عقل الشك والبحث والتفلسف. فخوارق العقل الباطن إذن لا تدل على صحة العقيدة بقدر ما تدل على قوة العقيدة في النفس.

يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "من آمن بحجر كفاه". وبعض المتصوفة قد أدركوا هذه الحقيقة. فهم يحبون كل الأديان ولا يفرقون بينها، إذ يعتبرونها طرقاً مختلفة للوصول إلى هدف واحد. إنهم يطلبون من الإنسان أن يكون قوي العقيدة وليعتقد ما شاء، ولقد كان الشيخ محي الدين بن عربي، المتصوف المشهور، يود أن يصلي لربه في كل معبد. وكأنه يقول: "ثق بقلبك وصل أينما تريد". وهو يقول في هذا:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان، ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة، ومصحب قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه ،فالحب ديني وإيماني

وقد تطرف بعض العلماء فزعم أن الله نفسه ما هو إلا العقيدة. فربك، في رأيهم هو اعتقادك به، وكلما كانت عقيدتك أقوى كان هو أقدر على نفعك ودفع الضرر عنك.

يرى "أوليفر لودج"، العالم الطبيعي، أن الصلاة والدعاء والعبادة لها فائدة كبيرة. وهو ينقد آراء المفكرين الذين يرون بأن الدعاء لغو فارغ لا قدرة له على تغيير ما في من قوانين طبيعية، فيقول عنهم: "إنهم يتصورون أنفسهم كأنهم شيء منعزل عن الكون وخارج منه يعمل فيه من ظاهرة ويحاول أن يبدّل مظاهره بالابتهال إلى نظام في القوى المسيّرة ... ولكننا إذا استطعنا أن نتفطن هي نفخة من الإرادة المسيطرة الهادية على حركات عقولنا ليكون لها أثر فاعل إذا سرنا بها وفاقاً لأصدق ما في الكون من القوانين وأعلاها".

يبدو أن بعض رجال الدين يتصوّرون الله كالملك جالساً على العرش وحوله الملائكة وهو يأمر بينهم وينهي. فهم أخذوا هذه الصورة من حياتهم السياسية. فهم ينظرون إلى الله سبحانه كما ينظرون إلى حاكمهم السياسي، إذ يحاولون أن يتملقوا وينزلفوا إليه أو يمجدوه ويبرطلوه. ولهذا السبب تجدهم يهتمون كل الاهتمام بالشعائر والطقوس بدلاً من الاهتمام بصفاء القلب وسلامة العمل وخلوص النية.

إن النفس البشرية قد تأثر بما حولها من المادة الخارجية بمثل ما تتأثر بها.

كثيراً ما ترد عن قدرة بعض الأنبياء والأولياء والسحرة على تحريك المادة عن بعد أو التأثير فيها قليلاً أو كثيراً. فلقد كانت "بلادينو" فتاة إيطالية ساذجة وكانت تدخل في حالة من الغيبوبة أحياناً فتقوم بأعمال غريبة. فهي كانت تجعل الموائد تتحرك من تلقاء نفسها، وتجعل بعض الآلات الموسيقية تعزف من غير أن يمسسها أحد، وقد تجعل منديل أحد الحاضرين يخرج من جيبه فيرتفع إلى أنفه كأنه يريد أن يساعده على التمخيط وغير ذلك من الأمور الغريبة المدهشة.

وقد زارها السير "أوليفر لودج" فكتب عنها ما يلي:

"إني أفكر الآن في نشر ما رأيته من أعمال بلادينو لأن هذه الأعمال قد تحققت بعد ذلك على أساليب مختلفة ولأني واثق أنه تظهر من بعض الناس ظواهر طبيعية خارقة

للعادة وأنا غير قادر على تعليلها أي أنها توجد قوى لم يكتشفها العلم حتى الآن".

لقد أدهش "هوم" الاسكتلندي العالم المتمدن بعجائب سحره من حيث رفعه الموائد بدون لمس لها، وطيرانه بين نافذة وأخرى في بناية مرتفعة، وغمس وجهه في الجمر الملتهب، وجعل بعض الآلات الموسيقية تعزف ألحاناً معينة من تلقاء نفسها ... الخ.

وقد أوفدت جامعة هارفرد أربعة أساتذة لاختبار أفاعيله العجيبة. وبعد إنتهاء فحصهم له وقّعوا جميعاً على وثيقة يشهدون فيها أن من بين الظواهر التي شاهدوها: أن أحدهم جلس فوق المائدة فاهتزت بعنف شديد، وأخيراً مالت واستقرت على قائمتين. واستمرت على هذا الوضع حتى بعد أن انضم اثنان من الأساتذة إلى زميلهما وجلسا معه فوقها. وقد قرر الأساتذة أن الساحر ألح عليهم مراراً أن يشدوا يديه ورجليه وكانت الغرفة جيدة الإضاءة حيث لقي الأساتذة كل عون وتيسير للقيام بما أرادوا من فحص دقيق، فثبت لديهم أخيراً أنه لم يحتل عليهم ولم يخدعهم إطلاقاً.

وقد شاهد أفاعيل هذا الساحر "وليم كروكس" مخترع الصمام الكهربائي المعروف باسمه، ووضعه تحت الفحص الدقيق في مختبره الفيزيائي. وقد كتب "كروكس" تقريراً للمجلة العلمية Quarterly Journal Of Science قال فيه: "كل ما رأيته منه جرى في النور ولا أتأخر عن الشهادة بأن الظواهر التي شاهتها تناقض تمام التناقض المبادئ العلمية المقررة، كقانون الجاذبية، وتأثرها المطلق الدائم. وإن في رأسي نزاعاً بين عقلي الذي يحكم بأن هذه الظواهر مستحيلة الوقوع من الوجهة العلمية، وشعوري بأن ما رأيته بعيني ولمسته بيدي، لم يكن كذباً".

و: "هوديني" الأمريكي كان يقوم بأفاعيله العجيبة على خشبات المسارح. وكان هوديني يوضع في كيش محكم الشد ثم يوضع بعد ذلك داخل صندوق متين ويقفل عليه الصندوق بقفلين ثم يشد الصندوق بحبل مجدول كثيف. وبعد لحظة يخرج "هوديني" من وراء الستار طليق اليدين والرجلين!

سحر العيون

سحر العيون هو نوع من التنويم المغناطيسي يحدث على الإنسان من غير أن يشعر به. ففيه يكون النائم مدركاً جميع ما يحدث حوله ولا تبدو عليه أعراض غير اعتيادية، ولكن فاعليته تكون شديدة جداً. والساحر يقوم بدور المنوم في هذه الحالة، فهو يوحي للحاضرين بعد تنويمهم بأنهم يشاهدون أشياء معينة فيرونها واضحة وهي في الواقع غير موجودة.

جاء في تقرير أساتذة جامعة "تورني" الذين شاهدوا أفاعيل "بلادينو" ما يلي:

"لا ننكر أن بعض الناس المصابين بخلل في أعصابهم أو الخاضعين لسلطة الوهم يستهوون ويتصورون أنهم رأوا وسمعوا ما لا وجود له إلا في مخيلتهم ويتعذر علينا أن نقنع جميع الناس أننا لم نكن مصابين بهذا الخلل، ولذلك نقصّر بحثنا على الأعمال التي بقيت آثارها بعد انتهاء الجلسة ورأيناها في اليوم التالي على نور النهار وهي مما يرى ويلمس ويستحيل أن يكون للوهم علاقة به. وقد حاول د."راين" أن يضع هذا الموضوع على طاولة التجريب العلمي الذي لا يتطرق إليه الشك. واتخذ "راين" في هذا السبيل طريقة خاصة به. فقد استعمل في تجاربه مكعب النرد المعروف. وكانت النتيجة التي جاء بها مدهشة. وهو يقول في هذا الصدد :"بعد سنوات من البحث الواسع... توصلنا إلى الاستنتاج أن بعض الأفراد يملكون مقدرة بسيطة على التأثير في رمي مكعب النرد. وقد أخذنا بعين الاعتبار طريقة رمي المكعب وكذلك شكله ودقة صنعه، واستعملنا من أجل ذلك وسائل آلية متنوعة لرميه. وقمنا بالاحتياطات اللازمة لكي يكون المكعب متوازناً كل التوازن عند سقوطه...".

ويبدو أن لاعبي القمار قد أدركوا هذه الحقيقة قبل أن يكتشفها "راين" بطريقته العلمية. فهم يشعرون أنهم في حالات معينة يستطيعون أن يؤثروا على سقوط المكعب سلباً أو إيجاباً. فهم يجدون أن أوجه المكعب تظهر على نمط يلائم مصالحهم تارة وتظهر على ما يعاكسها تارة أخرى.

إن "راين" قد توصل إلى نتيجة قاطعة. وهي أن النفس البشرية تستطيع أن تؤثر في المادة الخارجية بدون واسطة حسية. ولكنه يعترف في نفس الوقت أن هذا التأثير ضعيف

جداً إذ هو لا يفوق معدل الصدفة إلا بمقدار قليل. وهذا لا يعني أن الناس كلهم سواء في هذا التأثير. فلا ريب أنهم يختلفون قوة وضعفاً بالنسبة لما يملكون من تفاؤل وتلقائيه واعتقاد.

مهما كان التأثير النفسي في المادة الخارجية ضعيفاً. فهو يؤدي أحياناً إلى عواقب كبرى. ولقد دلّت وقائع الحياة أن قوة صغيرة جداً قد تؤدي في ظروف معينة إلى نسف مدينة ما بأسرها، وتغيير مصير فرد أو حتى أمة.

إصابة العين

إن العين في الحقيقة لا تصيب أحداً، إنما هي النفس وراء العين هي التي تبث الأمواج الكهربائية على الناس. وهذه الأمواج الفتاكة لا تؤثر في جميع الأفراد على حد سواء.

إن العين لا تصيب إلا من يعتقد بها: وهذا الاعتقاد يجعل الأمواج الصادرة من صاحب العين ذات أثر "متسلسل" في أعصاب الضحية فتطرقه أرضاً. لعل كثيراً من أولي الحظوظ السيئة قد جلبوا سوء حظهم على أنفسهم بأيديهم. فهم يرقبون الحوادث ولا يتوقعون منها إلا الشر وبهذا تكون نسبة الحوادث السيئة التي تقع عليهم أكبر من نسبتها على غيرهم من المتفائلين والمنشرحين. فهم يؤثرون في تحوّلها ضد مصلحتهم كما يؤثر لاعب القمار في توجيه مكعب النرد عند رميه.

لعل هؤلاء المتشائمين ليس لديهم يد في خلق هذا التشاؤم في أنفسهم، فهم ضحايا ظروفهم السيئة التي ولدوا فيها، إذ قد اعتادوا منذ طفولتهم أن لا يلاقوا في الحياة إلا كل ظلم واحتقار وطرد. وهم بذلك ينشأون وقد ثبتت في مخيلتهم ورود الخيبة. فشرعوا يسقطون هذه الصورة الداكنة على كل أمر يتصل بهم.

إن توقع الخيبة لا يجلب الخيبة دائماً، ولكنه يزيد عادة من معدّل ظهورها.

لقد دلت تجارب "راين" على أن النفس البشرية تؤثر في سقوط مكعب النرد فتجعل أحد أوجهه يظهر بنسبة أكبر مما تقتضيه الصدفة المجردة. ومعنى ذلك: إن الإنسان يستطيع بقواه النفسية أن يتحدى الصدفة ويغالبها.

وإن القوى النفسية لا تؤثر في سير الأمور فقط بل هي تستطيع أن تطلع على ما يخفى منها وما سوف يطرأ عليها أيضاً. فهي قوى حافزة وحادسة معاً. تغالب الصدفة بتأثيرها وتنافس بحدسها. إن صاحب الحظ الحسن إذن له مقدرتان. فهو بصفاء ذهنه وثقته بنفسه واعتقاده بنجاحه يستطيع أن يؤثر في الأمور بعض التأثير، فيوجهها في سبيل مصلحته قليلاً أو كثيراً. وبذلك يستطيع أن يتكيف لما سيأتي به القدر من الأمور فيبتعد عن الخسارة خطوة ويقترب من الربح خطوة أخرى. فهو يوجه تأثيره النفسي على الأمور من جهة، ويوجد حدسه الكاشف عليها من الجهة الأخرى. وهو بذلك يجعل مكعب مصيره المقذوف في الهواء ميالاً إلى السقوط نحو الجهة التي أرادها أو تنبأ بها.

ليس هناك حد واضح بين الوهم والحقيقة. والوهم كثيراً ما يؤدي إلى خلق الحقيقة. إذا توهمت شيئاً واعتقدت بوجوده كان بحكم الموجود في آثاره المختلفة. أما الحقيقة الموجودة فعلاً فقد لا تكون ذات أثر في الحياة العملية حين يجهل الإنسان وجودها ولا يعترف بها.

من المعروف أن الذي يخاف من مرض يقع فيه. فإن خوفه الدائم يجعل فكرة المرض قوية في نفسه، وبذلك تلقى جراثيم المرض في بدنه تربة خصبة للنمو والتكاثر.

لقد صرح أحد الأطباء المشهورين: "إن مهمة الطبيب أن يساعد المريض على أن يشفي نفسه بنفسه، فالطب لا يشفي أحداً. إن مصدر الشفاء هو النفس، وليس للطبيب من عمل إلا أن يساعد النفس في تأثيرها".

يقول وليم جيمس "هذه آخر كلماتي لك، لا تخف من الحياة، آمن بأن الحياة تستحق أن تعيشها، وسوف يساعدك إيمانك على تحقيق الواقع".

الاعتقاد لا يتطلب أن يكون الشيء حقيقة فعلاً، ولكن كل ما يتطلبه هو الاعتقاد بأنه حقيقة. والاعتقاد هو الأساس الذي نبني عليه كل أفعالنا، كما أنه أهم خطوة على طريق النجاح وتحقيق الأهداف، فلكي ننجح لا بد أولاً أن نؤمن بأننا نستطيع النجاح.

إليك قصة المريض الذي لم تنجح معه أي طريقة في العلاج، حتى لجأ طبيبه إلى فكرة بسيطة وهي أنه قال للمريض: أن هناك دواء اكتشف حديثاً يمكن أن ينجح في علاجه وشفائه في أقل من أربع وعشرين ساعة، وبكل حماس طلب المريض

الحصول على هذا الدواء المدهش، فأعطاه الطبيب قرصين، وأكد له أنه في أقل من أربع وعشرين ساعة سيكون قد شفي تماماً، وقد حدث فعلاً أن المريض زالت كل شكواه، وشفي في اليوم التالي ... لقد كان هذا الدواء المعجز عبارة عن قرصين من الأسبرين! وقد شفي المريض فقط بقوة اعتقاده. فاعتقاد الشخص هو السبب الرئيس للنجاح والصحة الجيدة والسعادة، أو الفشل والمرض والتعاسة والحد من تصرفاتنا في الحياة. فقد كان توماس أديسون قد أجرى ٩٩٩٩ تجربة قبل نجاحه باختراع المصباح الكهربائي إذ ضحك عليه الناس، ومع ذلك لم يتوقف أديسون عن محاولاته الفاشلة، إنه لم ييأس وقد قال :إن كل خطوة فاشلة أستبعدها تجعلني أتقدم إلى الأمام.

لقد ذهب والت ديزني إلى زوجته ومعه رسم كاريكاتيري لفأر صغيرة قائلاً لها : "نحن سنجني ثروة كبيرة من وراء هذا الفأر". وقد كانت زوجته أول من قال له :"أتمنى ألا تكون قد قلت هذا الكلام لأي شخص آخر".

لكن اعتقاد والت ديزني بالنجاح جعله يستمر في أحلامه مقتنعاً أنه سيبتكر شخصية ميكي ماوس ومدينة ديزني، وفي طريقه لتحقيق أحلامه واجه ديزني العديد من العقبات، ولكن بقوة اعتقاده استطاع أن يحقق النجاح، حيث تعتبر مدينة ديزني عملاً فنياً رائعاً يجذب خيال الأطفال وأيضاً الكبار.

قال د .ريتشارد باندلر أحد مؤسسي البرمجة اللغوية العصبية: "إن الاعتقاد قوة كبيرة، فإذا استطعت أن تغير اعتقادات أي شخص فإنك من الممكن أن تجعله يفعل أي شيء".

وقد قال الكاتب الأمريكي روبرت ديلتز في كتابه "الاعتقاد" : "يمثل الاعتقاد أكبر إطار للسلوك، وعندما يكون الاعتقاد قوياً ستكون تصرفاتنا متماشية مع هذا الاعتقاد".

وقال هيرام سميث في كتابه :"عشر قوانين طبيعية للوقت المثمر وتنظيم الحياة" :"لكل اعتقاد مجموعة قوانين مبرمجة في مستوى عميق من العقل الباطن (اللاشعور). وعلى أساس هذه القوانين يتصرف الإنسان".

أشكال أساسية للاعتقاد تؤثر على تصرفاتنا:

الاعتقاد الخاص بالذات

هذا هو أقوى أنواع الاعتقاد ، فكيفية اعتقادك بذاتك يمكنها أن تزيد من قوتك وثقتك بنفسك، وتساعدك في التطور والتقدم لبلوغ أهدافك، أو تكون مدمرة وتبعدك عن أهدافك كما تمنعك من إحداث أي تغيير . وكمثال على ذلك بطل الملاكمة الأمريكي محمد علي كلاي الذي كان يردد دائماً :"أنا أعظم ملاكم، أنا أعظم ملاكم" .

فبسبب اعتقاده العميق بنفسه وإمكاناته استطاع أن يصل إلى درجة الامتياز والتفوق ، وأصبح من أعظم الملاكمين في عصره، وحينما سئل مرة في مقابلة تلفزيونية عن السبب الذي يمكنه أن يصنع بطلاً عظيماً ، قال :"لكي تكون بطلاً يجب أولاً أن تؤمن وتعتقد أنك الأحسن ، وإذا لم تكن الأحسن تظاهر وتصرف كأنك الأحسن" .

امثلة من الاعتقادات السلبية عن الذات:

❖ أنا لا أستحق النجاح .

❖ إذا أصبحت غنياً سأكون وحيداً ، وسأفقد كل أصدقائي .

❖ لو امتنعت عن التدخين سيزيد وزني .

امثلة من الاعتقادات الإيجابية عن الذات:

❖ أنا قوي، وأتمتع بصحة ممتازة .

❖ أنا واثق في نفسي وبقدرتي على النجاح .

الاعتقاد فيما تعنيه الأشياء

هذا النوع من الاعتقاد يمثل ما تعنيه الأشياء بالنسبة لنا إذا غيرت معنى الاعتقاد في شيء —فإنه يمكن تغيير الاعتقاد نفسه، وبالتالي سيأخذ اعتقادك شكلاً مختلفاً تماماً .

الاعتقاد في الأسباب

هذا الاعتقاد يتناول الواقع وراء أي موقف وما يسببه. قد تشمل الاعتقادات السلبية ما يلي:

- ❖ التدخين يسبب لي الاسترخاء.
- ❖ أنا عصبي بسبب الطريقة التي نشأت عليها.

الاعتقاد عن الماضي

إن الذي حدث لك في الماضي سواء كان سلبياً أو إيجابياً قد مدّك بالعديد من التجارب تثير وتنبه الأشكال المذكورة سابقاً من الاعتقاد وتؤثر على سلوكك وتتحكم بتصرفاتك في المستقبل.

إن اعتقادك في الماضي سيؤثر على حاضرك ومستقبل، وسيكون السبب في أن تتحرك باتجاه معين، أو أن تبتعد عن هذا الاتجاه نتيجة للخبرات التي مررت بها في الماضي.

الاعتقاد في المستقبل

يكون المستقبل عند بعض الناس مشوقاً بمعنى وجود فرص أكثر في الحياة. ويكون المستقبل عند البعض الآخر مظلماً مع احتمالات ضئيلة للفرص.

قال روجر بانستر: "كنت واثقاً من أنني أستطيع جري الميل في أربع دقائق". وكتب وليم جيمس: "هذه آخر كلماتي لك، لا تخف من الحياة، آمن بأن الحياة تستحق أن تعيشها، وسوف يساعدك إيمانك على تحقيق الواقع".

التفرد الإنساني العجيب

"أنت إنسان متفرّد ليس ما يشابهك أحد تماماً في الوجود"

كلنا من أصل واحد .. من خامة واحدة .. ولكن لكل إنسان فرديته الخاصة به.

الفرق بين إنسان وإنسان ليس مرده فرق كمي في الذرات، وإنما هناك فرق أكبروأعمق في العلاقات بين تلك الذرات وفي كيفية الترابط بينها وكما تتألف جميع الكتب والمؤلفات من الحروف الأبجدية: فيكون لكل كتاب روحه وطابعه وشخصيته ونوعيته كمخلوق مستقل متفرّد عن بقية المؤلفات مع أن جميع الكتب مؤلفة من نفس الحروف الأبجدية، كذلك فإننا نعلم من توليف الجينات الوراثية في الخلية الأولى أن جميع الأجنة الآدمية يتم توليفها من حوالي عشرين حرفا كيميائياً من بروتينDNA و RNA.

ونعلم الآن أن لكل جسد شفرة كيميائية خاصة به بحيث يصعب ترقيع جسد بقطعة أو عضو من جسد آخر... فالتفرد والفردية حقيقة جوهرية يشهد بها العلم.

لقد خلق الله ملايين البشر، وجعل في هذه المساحة الصغيرة التي هي الوجه ما يّميز بين هذه الملايين بحيث لم تختلط ولم يكرر فيها قط، بل جعل في كل منها شيئا ليس في الآخرين، يتميز به كل إنسان عن الباقين، وكما فعل تعالى في الأشكال فعل في الأصوات، فملايين الناس يتكلمون اللغة العربية، وملايين منهم يتكلمون الفرنسية، وملايين يتكلمون الانجليزية، وهكذا، ولكن الله جعل لكل إنسان بحّة خاصة وصوتاً معيناً، بحيث لا تختلط هذه البحة ولا ذلك الوت بشخص آخر، فإذا سمعنا صوتاً تعوّدنا عليه، عرفنا صاحبه قبل أن نراه. فهنالك شيئاً ميّز الله به بين الأصوات، وذلك الشيء لا ندري كنهه، ولكنه موجود على كل حال، وبه نفرق بين أصوات الناس كما نفرق بين أشكالهم.

ومثل هذا يقال عن اختلاف الخطوط واختلاف البصمات، فلكل إنسـان طابع خاص في خطه، فلا تكاد ترى خطاً أليفاً لك حتى تعرف كاتبه.

أما البصمات فهناك التفرد فيها لدرجة أن يتفرد كل إنسان ببصمة خاصة مختلفة. لا تتشابه بصمات لاثنين ولو كانا توأمين منذ بدء الخليقة إلى اليوم رغم ملايين الملايين من الأفراد.

أنت إنسان متفرد:

عليك أن تكبر في عين نفسك لأنك فعلاً شيء مميز وفريد وبديع أعجوبة الطبيعة. منذ ابتداء الخلق لم يخلق مثلك، قلبك، وعينيك ويديك... لم يخلق شخص مثلك من بدء الخليقة ولا يعيش اليوم شخص مثلك، ولن يأتي غداً مثلك بشكلك صورتك ومشيتك وتفكيرك حتى بصمة أصابعك متميزة عن جميع خلق الله.

أنت إنسان متفرد، ليس هنالك ما يشابهك تمامً. هنالك عدد من المبادئ فقط تنطبق علينا جميعاً نحن بني الإنسان —فمثلاً نحن جميعاً نحتاج إلى الفيتامينات إلا أن مقدار ما نحتاجه منها ليعطي قمة الفاعلية يختلف من شخص لآخر.

ويعتمد هذا على الديناميكا التطورية التي ورثتها عن والديك إضافة لما ورثته من عوامل الضعف والقوة والحيوية، وتفاعل عواملك الوراثية هذه مع بيئتك ابتداء من مراحل تطور الجنين الأولى. إن التفاعلات المختلفة والمعقدة بين العوامل هي التي تؤمن ولادة كل فرد منا وهو متفرد كيميائياً وحيوياً بالرغم من وجود سمات التشابه الظاهرية.

يسمى هذا المبدأ بالتفرد الكيميائي الحيوي (Biochemical Individuality) وقد اقترضه أستاذنا في جامعة تكساس الأمريكية الدكتور Roger Williams لأول مرة عام ١٩٥٦، كما اكتشف فيتامين B5 (Pantothenic Acid) واستخلصه أيضاً.

وقد واصل الدكتور وليامز أبحاثه وكتاباته ومحاضراته بحيوية بارزة حتى التسعينات من العمر. وقد أبرز في كتابه "التفرد الكيمائي الحيوي" كيف تختلف أحجام أعضاء كل منا وكيف نمتلك مستويات مختلفة من الأنزيمات وحاجات مختلفة للبروتين والفيتامينات والمعادن. وإن اختلافا يضاهي العشرة أمثال من الحاجة للفيتامينات بين

الأفراد يعد مقبولاً . فقد وجد على سبيل المثال أن نسبة فيتامين A في دماء ٩٢ فرداً ممن يتناولون غذاء متشابهاً تختلف بنطاق يزيد عن ثلاثين مرة . وقد بنيت الأبحاث والاختبارات المتعددة والمكررة بأن مستوى فيتامين A في دماء الأفراد يبقى ثابتاً ومستقراً بالرغم من أنه يختلف تماماً بالكمية من شخص لآخر، وهذا يؤشر إلى الحاجة الكبيرة لهذا الفيتامين بين أفراد الجنس البشري .

إن بعضنا يعاني من صعوبة في هضم البروتينات أو الدهون أو من حاجة أكثر لفيتامين معين لا نحصل عليه من الغذاء الاعتيادي . ويتوضح هذا المثال جيداً من خلال مرض نقص الفيتامين المسمى بالبلاغرا (Pellagra) . والذي تتلخص أعراضه باعتلال عصبي يرتبط أحياناً بمشاكل هضمية وجلدية، ويكفي ١٠ ملغم من فيتامين (النياسين) لمنع البلاغرا في معظم الناس، وهي الكمية التي تجدها في حفنة من الأرز أو البندق، بينما وجد الدكتور Abram Hopper مدير الأبحاث النفسية في كندا، إن عددا من مرضى الفصام (Shizophmia) يتحسنون عند أخذ ١٠٠٠ ملغم أو أكثر من فيتامين B3 يومياً، أي يحتاج هؤلاء الأفراد إلى مائة مرة أكثر من المعدل العادي للفيتامين للبقاء أصحاء . وهذه الأبحاث والمعلومات تقلل من شأن ما يسمى (Ridiculous Dietary Arbitraries RDA) أي المنسوب اليومي التعسفي من قبل الدكتور Stephan Davies أحد الباحثين ي مجال التغذية بإنكلترا .

يقول د . روجر وليمز : عندما نتعامل مع الناس من خلال الإحصائيات، علينا استعمال وتقدير الإحصائيات بحذر . ذلك أن مجموعة من الناس هي كمجموعة من حجارة الرخام من جميع الأحجام والألوان والتراكيب . فإذا حاولت أن تأخذ المعدل لهذه الأحجار الرخامية فالنتيجة ستكون غير معقولة .

يمكنك مثلاً أن تأخذ معدل اللون بوضع الأحجار على قرص دائري وإدارته بسرعة . اللون الحاصل سيكون رمادي مغبر . ولكن لا يوجد حجر رخام رمادي مغبر في الأحجار فوق القرص : الناس كأحجار الرخام متميزون الواحد عن الآخر، وعندما نحاول أن نأخذ المعدل العام لهم ستكون النتيجة "إنسان" بني مغبر . إن أخذ معدّل صفات الناس بهذه

الطريقة غير دقيق وربما كان خطيراً، ذلك لأننا جميعاً أشخاص متميزون عن بعضنا البعض خارجياً وداخلياً.

يتابع الدكتور روجر وليمز فيقول: خلال سني عملي ككيمائي حيوي، وملاحظتي لردود فعل الناس المختلف للأدوية (Idiosyncrasis) وغيرها من رورد الفعل الخاصة للمحيط والتأثيرات الخارجية أصبحت مقتنعاً أن كل منا مبنياً بطريقة عالية من التمييز في خاصية كل جزء في تركيبنا العضوي والحيوي. وهذا هو أساس الشخصية الفردية.

الإنسان أكرم خلق الله مخلوق غريب عجيب مميز. من المعروف مثلاً، أن الشخص له بصمة أصابع خاصة مميزة وكذلك بصمة صوتية ورائحة طبيعية مميزة كافية لأن تجعل كلب المطاردة يكشفه ويميزه عن غيره من الأشخاص. والعالم الأمريكي لورانس كيرست هو مكتشف النبرة الصوتية "البصمة الصوتية" لكل إنسان لا تتكرر لشخصين في العالم ولا يشاكله فيها أحد.

هذه اختلافات ظاهرية، وإذا نظرنا إلى "داخلنا" فسندهش من الاختلافات الكبيرة فيما بيننا والتي هي ليست ظاهرة أمام أعيننا.

المعدة مثلاً تختلف في الحجم والشكل والوضع ربما أكثر مما تختلف أنوفنا وأفواهنا، وتختلف أيضا في عملها من خلال الهضم وإفرازها لأنزيم البيسين.

في معاينة لحوالي ٥٠٠٠ إنسان ممن ليس لديهم أي معاناة معروفة في المعدة أظهر الكشف أن العصارات المعوية تختلف على الأقل في ألف من المجموعة وذلك بالنسبة لما تفرزه من البيسين. كما أن محتوى حامض الهيدروكلورايد يختلف كذلك. هذه الاختلافات هي المسؤولة جزئياً عن الحقيقة التي مفادها أن عدد مرات الأكل تختلف من شخص لآخر وكذلك كمية الطعام المستهلك مختلفة وأيضاً اختيارنا لنوع الطعام يختلف.

وأيضاً الناس العاديون يختلفون في قلوبهم. فقد أظهرت الدراسات التشريحية أن التركيب الداخلي للقلوب لا يتبع نظام واحد فقط. الأذين في قلب ما ربما يختلف عن مثله في قلب آخر. كذلك هنالك اختلافات في أوعية الدورة الدموية.

اختلافات داخلية:

في الحقيقة هنالك اختلافات في التركيب التشريحي للأشخاص الطبيعين العاديين أينما نظرنا. ومن أهم الأمور بعيدة المرمى بهذا الخصوص هي الغدد الصماء: الغدة الدرقية، الغدة الأدرينالية، الغدة الجنسية، الغدة النخامية وغيرها من الغدد التي تفرز هرمونات مختلفة في الدم. هذه الهرمونات بدورها تؤثر على التمثيل الغذائي في الجسم. وتؤثر على شهيتنا للطعام والشراب والتسلية والجنس والعاطفة والغرائز وعلى سعادتنا النفسية أيضاً.

وجهازنا العصبي يظهر أيضاً تميّز واختلاف. مثلاً يوجد على الجلد الإنساني بقع حساسة للألم. تجربة بسيطة تظهر أن هذه النقط —النهايات العصبية– مختلفة بصورة كبيرة في العدد والتوزيع من شخص لآخر.

تم اختبار واحد وعشرين زوج من الأيدي العادية لحساسية الألم وذلك بوخز الإبرة في نقاط من مربعات معينة على الجلد. وظهر أن كل يد مختلفة من حيث شدّة أو قلة التجاوب للوخز. ومن خلال ٤٩ نقطة في انش مربع، إحدى الأيدي ظهر لديها ٢٥نقطة غير حساسة للألم، بينما غيرها كان لديها نقطة واحدة غير حساسة للألم. ملاحات شبيهة أجريت على نقط من الجلد لمعرفة الحساسية للبرد والحرارة.

في الحقيقة هناك اختلاف في النهايات العصبية من شخص إلى آخر —في العيون، الآذان، الأنوف والأفواه كما في الجلد، وحيث أن النهايات العصبية هي المدرك الوحيد للمعلومات من العالم الخارجي، فهذا يعني أن العالم يختلف بالنسبة إلى كل منا.

والدماغ أيضاً

كتب العالم الشهير المختص بالأعصاب الدكتور كارل لاشلي: "إن الدماغ مختلف بصورة كبيرة في كل شخصية عرضت للقياس، هنالك اختلاف في تركيب الدماغ بين الجنس الواحد كما هو مختلف بصورة عامة بين الأجناس المتشابهة، أو حتى بين الفصائل من الحيوانات.

ربما عقلك يختلف بينك وبين جارك أكثر مما تختلف ملامحك الوجهية -النتيجة أن كل واحد منا له عقل متميز عن غيره.

لذلك عليك أن تفكر وتعي أن هذا العالم مكوّن من شخصيات فردية، كل منها له خواص فطرية مختلفة، إن كل مظهر من الوجود الإنساني مختلف ومتغير من هذه النظرة العميقة.

منذ آلاف السنين لاحظ الآباء والأمهات الاختلاف الفطري بين الأولاد، ومنذ سنوات قليلة لاحظ باحثان مجموعة من الأولاد عددها ١٢٨طفل. كل ١٦ طفل مدة ٤أسابيع وكان مستوى العمر من ٤ إلى ٣٢أسبوع. بعض الأطفال كانوا صلعان، بعضهم خجول، بعضهم يتجاوب بسرعة للمؤثرات الخارجية، وبعضهم يتجاوب ببطئ، بعضهم منتظم في وقت غذائه ونومه ولعبه، وبعضهم غير منتظم. بعضهم يتحمل التوتر بصورة مختلفة، وبعضهم لا يستطيع إن الاختلاف في الشخصية الفردية يظهر منذ ابتداء الحياة، ولهذا فإن على المربين وواضعي برامج التربية أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه الاختلافات الفطرية بين الأطفال والأولاد.

إن المعرفة وتفهم هذه الاختلافات بين الأفراد وخاصة بين الأزواج، هذه المعرفة تساعد كثيراً في نضوج العلاقة المتبادلة بينهم. فكم من الأمور الصغيرة ربما كانت عاملاً في تمزق العلاقة بين الناس بعضهم عن بعض. من الأمثلة الكثيرة رد الفعل المختلف لدرجة الحرارة: ربما كانت القهوة، الطعام أو الشوربة، كثيرة السخونة أو لم تكن ساخنة بما فيه الكفاية، الغرفة ربما كانت مرتفعة الحرارة أو كثيرة البرودة، أو جوّها ربما كان كاتماً، غطاء الفراش ربما كان كثيراً وقليل الدفئ. وغالباً ما تكون مسألة تقدير الوقت مسألة خاصة، فربما كان شخص لديه حاسة قوية للوقت بينما للشخص الآخر فإن مسألة عشرة دقائق هي كستون دقيقة بالنسبة إليه. ربما يبدأ شخص بالنعاس في الوقت الخطأ أو يكون استعداد لترك الآخرين في الوقت الغير مناسب...

أحدهم ربما لا يستطيع التذكر ودوماً يفقد الأشياء، شخص آخر ربما يتذكر الأشياء التي من المستحسن أن تنسى. هكذا فإن معرفة الكيمياء الحيوية للذات الشخصية مهمة جداً بالنسبة للصحة والتغذية أيضاً. يقول بعض الناس: "إن الكفائيين في القهوة لا يؤثر

أنفسنا وغيرها من بني الإنسان، وكيف أن الإنسان يستطيع أن يعمل ويبدع بما لديه من قدرات متميّزة.

لكل إنسان دواؤه:

إن الدواء الذي يتناوله الإنسان يتأثر بالعوامل الوراثية في جسم المريض فقد تكون الوراثة والشخصية الفردية سبباً لضعف التأثير العلاجي لدواء ما عند تناوله بالجرعة المعتادة عند بعض المرضى، وقد تكون سبباً لحدوث أثر سام من الدواء عند تناوله بنفس الجرعات عند مرضى آخرين. وإن الموروثات في التفاعلات الدوائية قد تتأثر بعوامل خارجية مثل الظروف البيئية والنشاطات الإنسانية ونوع العمل ... وتجدر الإشارة إلى أن العوامل الوراثية في التفاعلات الدوائية تزيد عن إطار المستوى الفردي لتصل إلى المستوى العرقي. حيث ثبت أن هناك قدراً من الخصوصية في بعض التفاعلات الدوائية على مستوى الأجناس والأعراف والبيئة الجغرافية. وهكذا نشأ تخصص جديد في الفارماكولوجي (علم الأدوية) يسمى علم الوراثة الدوائي (لفارماكوجنتيكس).

وكان موتولسكي أول من نشر مقالاً في المجلة الطبية الأمريكية عام ١٩٧٥ يشير فيه إلى أن آثاراً جانبية معينة للأدوية تنتج عن اختلافات في أيض الأدوية داخل الجسم بسبب اختلافات وراثية. ومن هنا يجب ضبط الجرعات للأدوية بالنسبة للمستوى العرقي والمستوى الشخصي الفردي وتوقع احتمالات حدوث آثار جانبية لبعض الأدوية.

وقد توصل العلماء إلى العديد من الاختبارات التي تمكنهم من التعرف السريع على التصرفات الوراثية المحتملة لأي شخص إزاء أنواع محددة من الأيض الوراثي مما ساعد على حسن وصف الدواء للمريض.

تميّز النفس الإنسانية

كل ما يوجد أمامنا وكل ما يوجد في غير متناولنا شيء بسيط جداً للغاية إذا ما قورن بما يوجد في أعماق أنفسنا"
"رالف والدو إمرسون"

يتميز الإنسان تكوينياً عن باقي المخلوقات. إذ استحق أن يضاف على وجوده وجود آخر هو روح من روح الله. من المعروف علمياً أن جميع أجنة الحيوانات وأجنة الإنسان متشابهة تماماً في بداية التكوين أي قبل ٢٨ يوماً من التلقيح وذلك قبل أن تدب الروح في جنين الإنسان. ومن المعروف علمياً أن للحيوان نامية حيوانية وكذلك للإنسان أيضاً نامية حيوانية قبل أن تدب فيه الروح كما أن للنبات نامية نباتية. قال تعالى في القرآن الكريم موضحاً تخلق الجنين بدقة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون:١٢-١٤ فهذا الخَلق الآخر الذي أنشأه الله للإنسان من بعد اكتمال نشأته الطّبيعية، باكتسائه لحماً على عظامه، هو إضافة الروح إليه استكمالاً لكينونته الإنسانية. هذا الإنسان تم بنفخ الروح في آدم وتحوله من بعد انقضاء لحظة النفخ إلى مخلوق آخر لا علاقة له بآدم قبل النفخ، إذ إن الإنسان من بعد إنشائه خلقاً آخر، ينفخ الله فيه من روحه، سوف يصبح مخلوقاً آخر لا يكفي علم الإحياء (البيولوجيا) للإلمام بتفاصيل خلقه، فهذا الإنسان مخلوق طيني، يوجد معه مخلوق غير طيني (نفس إنسانية وروح من النفخة الإلهية).

الإنسان من بعد إنشائه خلقاً آخر، ينفخ الله فيه من روحه، كائن عجيب يجمع بين المرئي واللامرئي جمعاً لا تكوينياً، هو لا يتكون من جزئين أحدهما مرئي والآخر لا مرئي، بل يتواجد مرئية ولا مرئية تواجداً يتميز به الإنسان دون غيره من خلق الله.

الإنسان مخلوق جسده من طين هو من طين هذه الأرض. أما روحه السامية فقد كشف الله عن سر أصل هذه الروح التي نفخها في آدم فقال بشأنها إنها روح من روحه، فالروح الإنسانية السامية إلهية المنشأ، فآدم قد نفخ فيه كيان من قبل الله، وهذا الكيان لم يأتِ من مكان آخر سوى الله سبحانه وتعالى. إن الله لم يترك البشر ليقرروا هم بأنفسهم أصل الروح التي نفخت في آدم بل أخبرهم بأنه هو الذي نفخ في آدم من روحه. فهذه الروح لم تأت من عالم الأرواح ولم يخلقها لله من العدم بل جاء بها من عنده، من روحه، منه هو وليس من غيره، لقد كشف الله في خلقه آدم من طين هذه الأرض ونفخه فيه من روحه عن حقائق منها :

- إن آدم ليس مخلوقاً طينياً فحسب.
- إن هناك شيئاً آخر في آدم غير جسده الطيني.
- إن هذا الشيء قد تم نفخه في آدم.
- إنه هو من نفخه فيه.
- وإن هذه الروح هي من روحه هو.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ﴾ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص:٧١-٧٢] لقد كشف الله عن سر عظيم يتعلق بنشأة الإنسان، فجسد هذا المخلوق هو من طين هذه الأرض وهو بعد ليس جسداً فحسب ولكنه جسد تمازجه النفس وأيضاً روح هي من روح الله أصلها.

إن عالم الأرواح هو عالم روحي تقطنه الأنفس التي تمازجت مع أرواحها، والتي تجردت من تواجدها مع أجسادها. إن الإنسان كان نطفة فعلقة فمضغة فعظاماً فلحماً، لم تفارقه الحياة ولكنه ليس بمقدوره أن يكون إنساناً إلا بهذه الروح السامية التي ينفخها الله سبحانه شاهداً عليه ووسيلة له، إذا ما أراد وعزم على تنفيذ هذه الإرادة، للوصول إلى الله. وهذه الروح السامية القدسية أصلها وجوهرها، من أمر الله.

لو تدبرنا آيات القرآن ودرسنا ما تشير إليه الآيات الخاصة بخلق الإنسان... لوجدناها تقرر بوضوح وجود حياة سابقة للإنسان على حياتنا الأرضية... يقول تعالى ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:٦٧] تطالب الآية الشريفة الإنسان أن

يبحث ويجتهد لعله يتذكر. كما أن الآية تقرر أن الخلق المقصود فيها تم ولم يكن الإنسان شيئاً مما يجعله مختلفاً عن الخلق الذي تتم به ولادة الجنين. ولو رجعنا إلى ما قبل النطفة وجدنا أصل الجنين موجودا مجزأ إلى جزأين، أحدهما في الحيوان المنوي والآخر في البويضة، وكلاهما له وجود. فالخلق الذي تشير إليه الآية، هو الذي تم قبل الحياة الدنيا. وتعيد آيات القرآن الكريم وجود خلق أكثر من مرة للإنسان، مما يؤكد الرأي في مثل نص الآية: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت:٢١] وذكر القرآن الكريم للخلق أول مرة يفيد وجود أكثر من خلق. وهذا الخلق الآخر المقصود غير قيام الناس يوم القيامة، إذ أن القرآن الكريم لم يطلق على قيام القيامة بالخلق وإنما أطلق عليه البعث.. في مثل الآية ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٦] وذكر تعالى أن الخلق الأول يتم فيه خلق الإنسان فردياً: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:٩٤] كما أوردت الآيات القرآنية "الرجوع" إلى الله: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم:١١] تقرر الآية الكريمة أن هناك خلقاً للبشر جميعاً وتصويراً كاملاً لهم في حياة سابقة للإنسان، حياة قديمة عن الحياة الدنيا بأزمنة غابرة. وهي تسبق قصة آدم مع الملائكة. ويتأكد وجود حياة سابقة للإنسان إذ يقول تعالى في هذه الآيات الشريفة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ(١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣] لقد كان للإنسان حياة سابقة عن حياة الأرض. والنفس قابلية صرفة تتفاوت عمقاً بين مستويين سمواً انجذاباً إلى الروح أو هبوطاً إلى الجسد وماديته. وإن مصباح النفس ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور:٣٥] إذ أن أنوار الله مطلقة لا تتقيد بالجهة والمكان والمقدار. والعلم ينزل إلى النفس مجملاً ثم ينفصل بعد ذلك بالتذكر والتعليم.. وما تحصله النفس من معارف هو تفصيل ما أجمل من النفخة الإلهية عند التسوية ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩] وهي النفخة التي تتكرر بالنسبة لكل مولود بعد تسويته وحينما يصبح قابلاً لهذا النفخ الإلهي.

النفس مجمع الأضداد لأنها تجمع بين حضيض سُفل العناصر وأعلى عليين الأنوار الإلهية. والإنسان في حالة البعد عن الله تراب وطين وشهوات وغرائز وفي حالة القرب

والجمع على الله نور على نور يرى ببصر ربه ويسمع بسمعه، وهو في الحالتين لا يفارق العبودية لله. والإنسان مجمع البحرين يلتقيان ولا يمتزجان بينهما برزخ لا يبغيان ... بحر المادة وبحر الروح. الروح مجانسة للملكوت والملأ الأعلى في صفاتها ونورانيتها. والجسد مفارق للملكوت والملأ الأعلى بكثافته وظلامه وغلظته. ومجانس للشياطين بناريته ولكنه بالرياضة والمجاهدة يصفو ويرق ويجانس الروح. وهذه الرياضة تزكية النفس بمجاهدة الجسد، ونار المجاهدة نور المشاهدة.

والعكس صحيح فإنه في حالة تدني النفس إلى أوحال الجسد المادية واشتغالها بإشباع شهواته فإنها تثقل وتعتم وتجانس الجسد في كثافته وظلاميته وغلظته وهذا معنى ظلم الإنسان لنفسه. والحركة صعوداً وهبوطاً، هي حركة النفس، أما الروح فهي دوماً في الإطلاق ... الروح في الجسد مثل الشمس في ماء البئر تظهر فيه دون أن تتحيّز ... كذلك النفخة والنور الإلهي.

الروح دوماً مجذوبة إلى الله –إلى أصلها– وهي بالتالي تجذب النفس والجسد إلى العلو بينما الجسد في حالة قصور ذاتي مادي يشد النفس إلى الأسفل إلى ماديته. يفسر العارفون هذه الآية ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين:٤–٥] قبل أن يرد أسفل سافلين في قسوة الطين والماء المهين.

الإنسان عند الصوفية مجمع حقائق (كل ما تراه في اكون مفرقاً تجده في الإنسان مجمعاً فهو الكتاب الجامع والكون صفحاته) ففيه مادة الكون وعناصره، وفيه طين الأرض، وفيه سماوات داخلية لا نهائية وفيه أنوار الشموس وناريتها في غرائزه وإشراقاته وإلهاماته. وفيه الحقائق الغيبية كلها فقلبه عرش الرحمن ونفسه اللوح وعقله القلم وهيكله السدرة ومادته الطور والكرسي منصته التجليات التي تتجلى فيها الأسماء والصفات الإلهية، وهو الرق المنشور الذي سطر الله فيه قدره، وفي داخله البحر المسحور بحر النور المتفجر الفياض بالجود الإلهي.. وجسمه المشكاة، وبصيرته الزجاجة وقلبه المصباح وعبوديته هي مدده الذي يستمد كالزيت النور الإلهي الذي يضيء دون أن تمسسه نار.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥]

نظرية الإنسان الذي يجمع في نفسه كل الحقائق التي يقول بها العارفون تجعل للإنسان سيادة هائلة على الكون والظواهر والأمور الغيبية. وترفع درجته إلى ما يلي الله سبحانه وتجعل كل ما خلق الله يأتي بعده. هذا حال الإنسان إذا أدرك رتبته ووعي حقيقته وتصرف على مقتضى هذا التشريف الرفيع الذي شرفه به خالقه. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٧٠] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣]

يقول الصوفي :

سرّك يرى بدون عين ويسمع بدون أذن

سرّك يعيش في الأبد وجسدك يعيش في المواقيت

سرّك لا تحيط به الألباب ولا تتعلق به الأسباب.. أنت مني ... أنت تليني .. وكل شيء في الوجو يأتي بعدك .. لا شيء يقدر عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك، فأنت أقوى من الأرض والسماء وأقوى من الجن والنار أقوى من الحرف والأسماء ، أقوى من كل ما بدا .. في دنيا وآخره. إذا تحققت بسرّك تحققت بي ... أنا الذي منه كل شيء.

يصف القرآن الكريم الملائكة المقربين: "العالين" ويصف المؤمنين بأنهم "الأعلون" وبذلك يرفع الإنسان المؤمن فوق الملائكة المقربين.. ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٥] والشيطان بحسده وغيرته يحاول دائماً أن يضل الإنسان عن مسيراته الروحية ويحبس انتباهه في طينته الكثيفة وغرائزه حتى يورده مهلكة ويشركه مصيره ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] لا يصح للإنسان أن يقول لله ... "لقد خلقت لي طبعي الشرير" فالأعيان الثابتة (جواهر النفوس) أزلية في العدم غير مخلوقة، وإنما خلق لها

الله لبسة الوجود ألهمها خيرها وشرها في ذات الوقت، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٨] والعدم غير معدوم.

والله عالم بهذه الأعيان وبما ستكون عليه وهو حاكم عليها، ولكنه لا يحكم على أحد إلا بما يجانس ضميره وخفاياه، لا جبر ولا إكراه... وإنما هو يخرج المضمر ويفضح المكتوم والنوايا ويظهر كل واحد على حقيقته لا غير.

التشخيص قديم وأزلي وباق إلى الأبد .. كان في العين الثابتة قبل أن تتسلم من الله وجودها. وهو ابق فيها بعد أن تخلع هذه اللبسة بالموت، وهو ملازم لها في البرزخ ثم هو يعاودها بعد التجسد في البعث، وهو مدخلها إلى جنتها أو نارها ... وهو أبدي مثلما أن الجنة والنار أبديتان، ولا يظهر في مرآة الوجود إلا حكم العين، فالعين قديمة وأزلية في حالة تجديد .. إنما يعطيها الخالق لبستها وحلتها الوجودية فيظهر حكم الله قائم على جميع الأنفس بالتربية والتزكية والإرشاد والإنذار والهداية. فأقبلت تلك الأنفس الهداية ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] والله أعلم ...

العلاقة بين النفس والروح والجسد

إن نصيبنا من الروح هو النفخة التي ذكرها القرآن الكريم في قصة خلقه تعالى لآدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩].

وما حدث من أمر التسوية والتصوير والنفخ في صورة آدم يعود فيتكرر في داخل الرحم في الحياة الجنينية لكل إنسان.. فيكون لكل إنسان تسوية وتصوير ثم نفخة ربانية وذلك حينما تتهيأ الأنسجة ويستعد الجنين لتلق هذه النفخة، يقول تعالى ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]

يبدو أن خلق الحيوانات كافة ومنها الإنسان قد مرّ في ذات الطريق من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى خلق العظام ثم إكسائها لحماً.. إلى هذه المرحلة تتساوى جميع الحيوانات ومنها الإنسان.. إلا أنه سبحانه وتعالى بعد هذه المرحلة أعد وهيأ وأنشأ الإنسان نشأة خاصة تختلف عن جميع الحيوانات حيث قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون:١٤]

والضمير هنا للإنسان فبعد هذه المرحلة من الله على الإنسان وجعله على شاكلة خاصة، تميز بها تميزاً عن غيره من الحيوانات الأخرى. ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة:٨-٩]

فالسمع والبصر والفؤاد هي من ثمار هذه النفخة الروحية وإنه تعالى بهذه المواهب ينقل الإنسان من نشأة إلى نشأة ومن مستوى إلى آخر.

أما علاقة كل نفس منا بروحه وجسده المادي فهي أشبه بعلاقة الحديد بالمجال المغناطيسي ذي القطبين، وما يحدث للنفس دائماً هو حالة استقطاب إما انجذاب إلى الجسد إلى المادة والطين والغرائز والشهوات، وإما انجذاب وصعود وارتفاع إلى الروح وإلى المثل والقيم والأخلاق الربانية، وذلك ما يحدث للنفس حينما تشاكل الروح وتجانسها في لطفها وسموها وشفافيتها.

النفس الإنسانية طوال الحياة في حركة وتذبذب واستقطاب بين القطب الروحي السامي وبين القطب الجسدي المادي.

الحركة صعوداً وهبوطاً هي حركة النفس، أما الروح في الجسد فهي مثل الشمس في ماء البئر تظهر فيه دون أن تتحيز كذلك النور الإلهي.

وتمتحن النفس بقوّتي الجسد والروح الجاذبتين إما إلى أسفل وإما إلى أعلى لتخرج سرها ومكنونها ويظهر خيرها وشرها.

الإنسان ليس جسداً مادياً، وإنما الجسد هو المظهر والأداة. ذاتك ليست جسدك. وأنت لا تغفل عن ذاتك مطلقاً، أما بدنك فما من جزء منه إلا وتنساه أحياناً، وجسدك في تحلل وتغير وتجدد في خلاياه دوماً، أما ذاتك فلا تتبدل.

"الروح" لم يرد في القرآن الكريم إلا بصيغة الإفراد (دون جمع) فلا ذكر في كتاب الله للأرواح أبداً وأما النفس ففيها المفرد والجمع.. وتأويل ذلك عند الأوائل.. أن النفخ يكون من الروح، فإذا خالطت النفخة كائناً هو الجنين في بعض مراحل نموه، وإذا تدرجت هذه النفحة حتى هبطت إلى الأرض (بالميلاد) كانت نفساً تكتسب بالبدن وتقدر على البقاء في الحياة الدنيا بقدر ما يمتد الأجل. فالقرآن الكريم قد قطع في إبانة تامة، فميز بين الروح وبين النفس، وإفراد الروح (Spirit) وجمع الأنفس (Souls)، ودعا إلى تدبر هذا كله، بنصوص صريحة.

البصيرة

إن السمع والبصر والفؤاد التي امتن الله بها على الإنسان هي حواس الروح التي هي النفحة من روح الله في الإنسان وهذه ليست الحواس الظاهرة للجسد، وحواس الروح كامنة في الإنسان بالقوة، وعلى الإنسان أن يخرجها إلى الوجود بالفعل كي يستضيء بها، ولا يفعل ذلك إلا المؤمن المتصل بربه، أما الكافر المحجوب فهو معني بحواس جسده الظاهرة، لا يعرف سواها، فقد عطّل حواس روحه ونسيها، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون.

الحواس الروحية

إن هذه الحواس الروحية كثيراً ما نستند إليها.. ودائماً ما نمارسها ولكن دون أن نتدبرها أو نفكر فيها، فالإنسان بمجرد أن يأخذه النوم، تنطلق روحه انطلاقاً مؤقتاً دون أن يقيدها الجسم بالقيد المادي الذي يحد من حريتها ويشل من حركتها، وما النوم إلا مظهر انطلاق الروح من الجسم.. ولو لم تنطلق الروح لما نام الإنسان، وإنه بمجرد نوم الإنسان يبدأ في الحلم، وكل إنسان يحلم رغماً أنه لا يدرك أنه قد حلم.

إن مدة الحلم تبلغ خمس مدة النوم.. فلو نام الإنسان ثماني ساعات فإنه يحلم مدة ساعة وست وثلاثين دقيقة، ولكنه حلم متقطع إذ تبلغ عدد مرات الحلم في المتوسط خمس مرات في الليلة الواحدة... والإنسان عند نومه يغلق عينيه تماماً.. وبذلك فإن جهاز البصر يتعطل تعطلاً كاملاً أثناء النوم، وبالرغم من ذلك فإن الإنسان يرى في أحلامه رؤية تامة... يميز بها الأشخاص تماماً. ويتضح له المكان وضوحاً شاملاً، يرى كل التفاصيل رؤية شاملة كاملة، ولا شك أن هذه الرؤيا في المنام إنما تتم بحاسة البصر الروحية، فجهاز الرؤية الجسدية مغلق ومعطل تماماً أثناء الرؤية المنامية، وبذلك فإن للروح حاستها البصرية، ولكنها تختلف عن حالة البصر المادية.. فالرؤية في حالة الجسد لا تتم إلا في الضوء.. وبمجرد أن يشمل الظلام المكان يتوقف جهاز الرؤية في الجسم.. بعكس جهاز الرؤية في الروح.. فإنه يعمل نهاراً وليلاً بمجرد أن ينام الإنسان ولا دخل للضوء أو الظلام في الرؤية الروحية.

والرؤية في حالة الجسد محدودة، إذ يرى الإنسان بعينه لمسافة معينة، تختلف باختلاف قوة العين ودرجة إبصارها وعمر الإنسان، وعدم وجود عوائق أمام العين تحجب الرؤية، بينما في حالة الرؤية المنامية أي في حالة الإبصار بالروح يرى الإنسان الأماكن البعيدة والتي بينه وبينها مسافات طويلة، وكذلك ترى الروح ما لا يمكن للجسد أن يراه، لاختلاف طبيعة جهاز البصر في كل شخص عن الآخر، فترى الروح الأرواح رؤية تامة، فالإنسان في نومه يرى صاحبه أو قريبه الذي مات وانتقل إلى البرزخ، بينما يستحيل عليه ذلك في حالة الرؤية بالعين الجسدية، وهناك بعض الأشخاص يمكنهم رؤية الأرواح وهم أيقاظ.. ويقول علم ما وراء الطبيعة (الباراسيكولوجوي) إنهم وهبوا خاصية الجلاء

البصري ... وهو رؤية ما لا يراه الإنسان العادي في حالته الجسدية من سكان عالم الحياة الأخرى.

وكذلك الأمر بالنسبة للسمع.. فرغم أن الأذان بعكس العين لا تغلق ولا تتعطل عند النوم، ولا تتأثر بالضوء أو بالظلام في عملها، فهي تعمل ليلاً ونهاراً إلا أنه بالنوم لا يسمع الإنسان ما يحدث حوله، وما يقال بقربه إذ تتعطل أجهزة الوعي بالصوت ومعرفته، بينما نسمع في النوم ... عند الأحلام الأحاديث والأصوات.. من كل مكان وأياً كانت درجتها وأياً كان مصدرها.. أحاديث من أحياء أو من موتى، وكثيراً ما يسمع الإنسان زميله النائم ... وهو يتحدث إما بألفاظ واضحة أو همهمة أو عبارات مدغومة، إنه يتحدث في منامه مع غيره، ويقرر علم ما وراء الطبيعة إن هناك بعض الأشخاص لهم القدرة على استخدام حاسة السمع الروحية فيسمعون أحاديث الروح وهم في حالتهم الطبيعية، وهؤلاء لديهم خاصية الجلاء السمعي.

الحواس الروحية لا يمكن أن تكون من ضمن حواس الجسم... إذ لا يوجد عضو خاص يمكنه أن يقوم بها، كما أنها ليست خاصة بالإنسان وحده، بل لعلها أكثر وضوحاً وأعم شيوعاً في الحيوان، فمعظم الطيور والحيوانات لها حاسة التنبؤ بأحوال الجو في المستقبل القريب والبعيد، ومما يثير دهشة العلماء معرفة الحيوان بقرب حدوث الزلازل.. قبل وقوع الزلزال بعدة دقائق تضطرب الحيوانات وتصاب بفزع شديد ورعب رهيب فتضرب الأرض بأقدامها، وإن كانت طليقة فإنها تأخذ في الجري في كل اتجاه.. ولا يقتصر الأمر على إحساسها بقرب وقوع الزلزال بل على أية كارثة قريبة الوقوع كما حدث في إحدى الطائرات التي كانت تحمل شحنة من القرود ... وفجأة صاحت القرود جميعها.. واضطربت وهاجت، وأخذت تقفز في وحشية وجنون.. وكادت أن تحطم أقفاصها، وبعد دقائق انفجرت الطائرة بلا سبب. والحوادث المشابهة كثيرة فاضطراب الحصان ليلاً وقلقه وهمهمته واتجاهه ببصره إلى بعيد في الأفق، إنما يعني احتضار إنسان قريباً ... ولو تمكن الإنسان من ترجمة هذه في الطيور وما حوله من كائنات لوجد عجباً.

وحساسية التخاطر التي وضعت موضع التجارب بالجامعات والمعاهد، هي الشعور بنفس الخواطر عن بعد وذلك بانتقال انطباعا من ذهن إلى آخر على نحو مستقل عن المواصلات الحسية المعروفة.

وقد أجريت آلاف التجارب لنقل الخواطر بين أفراد على أبعاد مختلفة تبدأ من بضعة أمتار إلى آلاف الأمتار.. وأجريت على أشخاص لم ير أحدهما الآخر إطلاقاً.. وقد أجريت تجارب بين أشخاص في الفضاء.. في المركبات والأقمار الصناعية وبين آخرين على الأرض...

وقد صرح المهندس أولدن جونسون السويدي المولد بأن التجارب التي أجريت بينه وبين رائد الفضاء الأمريكي أدجار ميتشل أحد رواد أبولو ١٤ كانت ناجحة للغاية.. وكان رائد الفضاء ميتشل قد حمل معه أثناء رحلة أبولو خمس بطاقات اختبار خاصة... وفي أوقات محدودة كان يلتقط إحدى هذه البطاقات ويركز تفكيره فيها لمدة ١٥ثانية في نفس الوقف الذي يكون فيه جونسون قد سبقه في التركيز محاولاً رؤية هذه البطاقة... وتسمى هذه التجارب بتجارب الإدراك الحسي الزائد أو الإضافي، والغريب في الأمر أن جونسون لم يقابل ميتشل في حياته وكان الاتصال بينهما قبل الرحلة مقصوراً على الاتصال التلفزيوني، كما صرح جونسون بأنه استطاع أن يحس بانفعالات رائدي الفضاء ميتشل ولان سترد عندما يتجولان على سطح القمر.

إن حاسة التخاطر لا تتصل بالجسم وليست خاصة به... وهي من حواس الروح، وما ظهر منها يشير إلى ما تفيض به الروح من أسرار ومن عجائب.

تمتلئ كتب التصوف الإسلامي بالحديث عن انكشاف بعض عوالم الغيب للصوفيين ويقولون: إن أي إنسان يفعل ما يفعلونه يصل إلى مثل الذي يصلون إليه من المشاهدات التي تزيد في يقين الإنسان، وهؤلاء الذين يقولون هذا الكلام أناس مجمع على صدقهم وثقتهم.

إن إمكانية رؤية بعض عوالم الغيب ضمن شروط معينة جائزة، قد أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم، ووقعت لبعض الصحابة، فقد روى أحمد قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "لولا تمرّغ قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع"، وقد

روى مسلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وحنظلة: "والذي نفسي بيده لو تداومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فراشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ساعة وساعة".

وأخرج البخاري عن اسيد بن حضير قال: "بينما هو يقرأ الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرست فسكت فسكتت الفرس ثم قرأ فجالت وكان ابنه يحيى قريباً منها فانصرف فأخره ثم رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها امثال المصابيح فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "وتدري ما ذاك؟ قال: لا. قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر إليها الناس لا تتوارى منهم".

وأخرج الشيخان والترمذي عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال: "تلك السكينة تنزلت للقرآن".

إن ظواهر الأحلام والتنويم المغناطيسي والاتصال بعالم الغيب والتجلي وغيرها من ظواهر الغيب قد أخذت محلها في عصرنا الحاضر في معرض الحقائق وكل منها يدعم قضية الإيمان بعالم الغيب الخفي من زاوية من الزوايا، بصرف النظر عن تعليل هذه الظواهر، فهي جميعاً تشير إلى قضية واحدة هي وجود عالم غيبي خفي، تمثل هذه الظواهر جزء منه. إن انكشاف المستقبل البعيد للإنسان وهو في حالة النوم ووقوعه في كثير من الأحيان حرفياً دون أن يكون في بعض الحالات تفكير مسبق عنه، دليل على وجود علم محيط بالمستقبل، هو غيب بالنسبة لنا.

إن ظاهرة التنويم المغناطيسي تدل على وجود الروح وعلى أن لها قوانينها وعالمها الخاص، فالإنسان في حالة النوم المغناطيسي، تكون حواسه كلها معطلة، وحتى الأفعال الانعكاسية تكون في حالة شلل تام، حتى لو وخزت النائم مغناطيسياً بإبرة فإنه لا يظهر عليه أي شعور، ومع ذلك فإنك تسأله عن أشياء بعيدة عنه، فيحدثك عنها وكأنه يراها وهو لا يعرفها في حالة اليقظة ولا يستطيع لو كان مستيقظاً أن يجيب على أي سؤال مما أجاب عليه وهو نائم، فإذا استيقظ من هذا النوع من النوم فإنه لا يذكر شيئاً مما سئل عنه وأجاب.

نقل "بيو" في كتابه "المخاطبات" عن التنويم المغناطيسي هذه المحاورة بين منوم ومنومة كما نقلها "شارول" قالت المنوّمة: هل تسمع ما يأمرني به؟ قال الدكتور: من هو الذي يأمرك؟ فقالت هي ألست تسمعه؟ فقال: كلا لم أسمع شيئاً ولم أرى أحداً. فقالت: حقيقة لأنك نائم وأنا يقظى. مع أنك تحت تأثير إرادتي في الحالة المغناطيسية، إنك تتوهمين أنك يقظى لكونك تكلميني، وإنك متمتعة بنوع من الإرادة، ولكنك في الحقيقة لا تستطيعين أن تفتح جفنيك.

فقالت المنوَّمة: إني أكرر لك القول بأنك أنت النائم وأنا بالعكس اليقظى تماماً على مثل الحالة التي سنكون عليها جميعاً في يوم ما، لأفسر لك ذلك: إن كل الذي تستطيع أن تراه أنت ليس إلا أشكالاً غليظة مادية، فلا يمكن أن تميز إلا أشكالها الظاهرة، ولكن جمالها الحقيقي محجوب عنك تماماً، أما أنا ففي حالة وقوف وظائف أعضائي وفي حالة حرية روحي من علائقها الاعتيادية، فإني أرى ما هو مستور عنك، وأسمع ما لا يمكنك سماعه، وأفهم كل ما هو غير مفهوم لديك. وإني بمجرد الإرادة أستطيع أن أسمع الأصوات البعيدة عني ولو كان بيني وبينها مائة فرسخ، وإني لا أحتاج أن تأتي الأشياء إلي بل أذهب إليها حيثما كانت وأحكم على حقيقتها بطريقة أضبط مما يحكم بها عليها أي إنسان آخر لا يكون في الحالة التي أنا عليها.

نقل "أكتراكوف" في كتابه "ألمذهب الروحي" مايلي: "إن زوجة الإنجليزي الشهير "كوماجان" معتادة على تنويم امرأة وجعل روحها تخرج من جسدها وتذهب إلى المحل الذي تعيّنه لها. فقالت لها يوماً وهي تحت تأثير النوم المغناطيسي: اذهبي إلى منزلي القديم. فقالت المنوَّمة: قد فعلت وطرقت الباب بشدة، قالت الزوجة: فذهبت في اليوم التالي لأتأكد من صدقها، وسألت عما حصل في تلك اللحظة. فأجابني السكان بأنهم سمعوا طرقاً شديداً على الباب فذهبوا إليه فلم يجدوا أحداً، فعلموا أن ذلك فعل الأولاد الأشقياء.

تائية ابن الفارض أو نظم السلوك

تبلغ تائية ابن الفارض ٧٦٠ بيتاً اخترنا منها :

سقتني حُميّا الحب راحة مقلتي وكأسي محيّاً مَن عن الحسن جُلّتِ

فأوهمت صَحبي أن شُرب شَرابهم به سُرَّ سري، في انتشائي بنظرةِ

وبالحق استغنيت عن قدحي، ومن شمائلها، لا من شمولي نشوني [1]

وقلت، وحالي بالصبابة شاهد، ووجدي بها ماحي، والفقد مثبتي[2]

هبي، قبل يُغني الحبُّ مني بقية أراكِ بها، لي نظرة المتلفتِ

ومُني على سمعي بلن، إن منعتِ أن أراكِ، فمن قبلي لغيري لنتِ[3]

فلو كشف الفؤاد بي، وتحققوا من اللوح ما مني الصبابةُ أبقتِ

لما شاهدت مني بصائرهم سوى تخلي روحٍ بين أثواب ميتِ

ولم أحكِ في حُبيك حالي تبرما بها، لاضطرابٍ، بل لتنفيس كُربتي

ويحسن إظهارُ التجلد مدى ويقبح غيرُ العجز عند الأحبة

وكل أذىً في الحب منكِ إذا بدا جعلت له شكري مكان شكيتي

ومن يتحرش بالجمال إلى الردى رأى نفسه من أنفس العيش رُدتِ

وما ظفرت بالوُد روح مراحةً، ولا بالولا نفسٌ صفا العيش وَدت

ولي نفسُ حرٍ لو بذلتِ لها على تسليك ما فوق المُنى ما تسلّتِ

---

(١) سكر الشاعر بخمرة الحب الإلهي، لا بخمرة الكرمة.

(٢) الوجد حالة يغيب معها كل محسوس، والوجود الذاتي نفسه فكأن لا موجود سوى الله. الفقد : زوال الوجد، فالشعور بالوجود الشخصي.

(٣) مني على سمعي بلن : قولي لن تراني "كما قلتِ لموسى عندما طلب رؤية الله، فإن سماع كلامك، عند تعذر الرؤيا، لذيذ.

وعن مذهبي في الحب ما لي مذهبٌ | وإن ملتُ يوماً عنه فارقت ملتي
ومحكم عهدٍ، لم يخامره بيننا | تخيلُ نسخٍ، وهو خير آليةِ[1]
وأخذكِ ميثاق الولا، حيث لم أبن | بمظهرِ لَبس النفسِ في فيء طينتي[2]
وسابقِ عهد، لم يحُل مذ عهدته، | ولا حقِ عقدٍ حل عن حلِ فترة[3]
وسرِ جمال، عنكِ كل ملاحةٍ | به ظهرت في العالمين وتمت،
لانت مُنى قلبي، وغايةُ بغيتي | وأقصى مرادي، واختياري، وخيرتي
خرجتُ بها عني إليها، فلم أعد | إليَّ، ومثلي لا يقول برجعةِ
وها أنا أبدي في اتحاديَ مبدأي، | وأنهي انتهائي في تواضع رفقتي[4]
جلت، في تجليها، الوجودَ لناظري | ففي كل مرئي أراها برؤيةِ
وطاح وجودي في شهوري ونبت عن | وجود شهودي، ما حياً غير مثبتِ
فوصفي، غذ لم تُدعَ باثنين، وصفها | وهيئتها، إذ واحد نحن، هيئتي
فإن دُعيت كنتُ المجيبَ وإن أكن | مناديَ أجابت من دعالي ولبتِ
فقد رفعت تاءُ المخاطب بيننا | وفي رفعها عن فرقة الفراق رفعتي
فإن لم يجوز رؤية اثنين واحداً | حجاك، ولم يُثبت لبعد تثبت،
سأجلو إشارات عليك خفيةً | بها كعبارات لديك جلية،
وابيت بالبرهان قولي ضارباً | مِثال مُحقٍ، والحقيقة عُمدتي،
بمتبوعةٍ يُنبيك في الصرع غيرها | على فمها، في مسّها حيث جُنت،

---

(١) ومحكم عهدٍ: يقسم بحبه الثابت لها.

(٢) ميثاق الولا: هو عهد الحب الذي أخذه الله على مختاريه، قبل خلقهم. إن الله أحضر يوماً أمامه كل الأجيال التي ستلد من آدم، وأخذ عليهم قسماً بطاعته، وعهداً بحبه.

(٣) العهد السابق: العهد الذي أخذه الله على خلقه يوم أسلموا. حَل: حلول. فترة ضعف.

(٤) أخبرك أولاً عن مقام الاتحاد، ثم أحدثك عن مقام التفرقة الذي انتهى إليه تواضعاً.

ومن لغةٍ تبدو بغير لسانها، عليه براهين الأدلة منحتٍ[١]
رجعت لأعمال العبادة عادةً، وأعددت أطوال الغرادة عدتي
ومن لم يرث عني الكمال، فاقصٌ، على، عقبية ناقصٌ في العقوبة
فاتلو علوم العالمين بلفظةٍ، وأجلو على العالمين بلحظةٍ
وأسمع أصوات الدعاة وسائرَ اللغات، بوقت دون مقدارِ لمحة
أحضر ما قد عزّ للبعد حملُه، ولم يرتدد طرفي إليّ بغمضَةٍ
وأنشق أرواح الجنان، وعرف ما يصافح أذيال الرياح، بنسمةِ
واستعرض الآفاق نحوي بخطرةٍ وأخترق السبع الطباق بخطوة
ومنيَ لو قاما بميتٍ لطيفةً لرُدّت إليه نفسُه وأُعيدتِ[٢]
هي النفس إن ألقت هواها تضاعفت قواها، وأعطت فعلها كلَّ ذرة[٣]
بذاك علا الطوفانَ نوحٌ وقد نجا به من نجا من قومه في السفينة
ومن يده موسى عصاه تلقفت من السحر أهوالاً على النفس شقت[٤]
وفي آل إسرائيل مائدة من السما ولعيسى أنزلت ثم مُدتِ
وجاء بأسرار الجميع مقيضُها علينا، لهم ختماً، على حين فترة[٥]
وضربي لك الأمثال مني منةً عليك، بشأني مرةً بعد مرة[٦]

---

(١)غبتُ عن وجودي إذ شهدت المحبوبة، ثم غبت عن الشهود نفسه، فلم أعد أميز بين شاهد ومشهود.

(٢)يتكلم عن كراماته: يتلو علوم العالمين بلفظة، ويرى ما في العوالم بلحظة، ويسمع صوت كل داعٍ وبأي لغة بلمحة، ويحضر ما فصلته المسافة بطرفة عين، ويشم كل رائحة بنسمة واحدة، ويستعرض الأرض والسماء بسرعة، ويقيم الموتى.

(٣)تقوى النفس بالتجرد عن الأهواء، وتصبح كل ذرة قادرة على إثبات الخوارق.

(٤)تلقفت: تبادلت، شقّت: صعبت.

(٥)جاء محمد، خاتمة الأنبياء، بأسرار جميعهم.

(٦)يضرب مثلاً يفهمنا به كيف تستطيع النفس بتجريدها من علائق الحس أن تأتي بغرائب الأعمال والعلوم.

فقـل لـيَ مـن ألقـى إليـك علومـه ... وقـد ركـدت منـك الحـواس لغفـوة
ومـا كنـت تـدري قبـلَ يومـك مـا جرى ... بأمـسك، أو مـا سـوف يجـري بغُـدوة
فأصـبحت ذا علـمٍ بأخبـار مـن مضـى ... وأسـرارِ مـن يـأتي، مـدِلاً بخـبرة[1]
أتحـسب مـا جـاراك في سِنة الكـرى ... سـواك، بـأنواع العلـوم الجليلـة؟[2]
ومـا هـي إلا الـنفس عنـد اشـتغالها ... بعالمهـا عـن مظهـر البـشرية؛
تجلـت لهـا بالغيـب في شـكل عـالمٍ ... هـداها إلى فهـمِ المعـاني الغريبـة[3]
ولـو أنهـا مثـل المنـام تجـرّدت ... لـشاهدتها مثلـي بعـين صـحيحة[4]
وتجريـدها العـاديُّ أثبـت أولاً ... تجردهـا الثـاني المعـادي فأثبـتِ[5]
ولاتـكُ ممـن طيـشته دروسـه ... بحيـث اسـتقلت عقلَـه واسـتقرت
فـثم وراء النقـلِ علـمٌ يـدُق عـن ... مـدارك غايـات العقـول الـسليمةِ[6]

---

(١) في النوم تتصل النفس بعالم الغيب وتطلعك على أسراره.
(٢) أتظن شخصاً آخر أطلعك على ما عرفته في المنام؟
(٣) لأنها النفس انصرفت عن المظاهر البشرية إلى عالم الروح، فتجلت لذاتها عالمة بكل شيء.
(٤) لو تجردت النفس في اليقظة من عوائق الجسد لشاهدت ما تشاهد في المنام.
(٥) وتجرد النفس من علائق الجسد واتصالها بعالم الروح برهان على خلودها ومعادها.
(٦) ما تراه النفس في حالة الإلهام الصوفي أجلّ من كل علم عقلي أو شرعي.

الحياة ما بعد الحياة

في كتابه "الحياة ما بعد الحياة" يعرض الدكورريموندا مودلي أبحاثه التي تشير وتؤكد أنه يوجد حياة بعد الموت. وهو لا يدعي أنه درس الموت بحد ذاته، لكن من الواضح من أبحاثه أن المريض المحتضريبقى لديه معرفة وإدراك واعي بمحيطه بعد إعلان موته سريرياً (فيزيولوجياً) وهذا يتفق مع ما وجدته الدكتورة إليزابث كبلر من خلال عملها مدة عشرين سنة مع مرضاها الذين مروا بحالة الموت السريري ثم رجعوا إلى الحياة بدون توقع مفاجئة للأطباء المعروفين بتفوقهم الطبي.

إن جميع هؤلاء المرضى مروا بتجربة الخروج من جسدهم والطواف في الهواء مع تمتعهم بسكينة وسلام وكمال. وأغلبهم قد عرفوا شخصاً ساعدهم في انتقالهم إلى مستوى ثاني من الوجود. أغلبهم استقبلوا بترحاب من محبيهم الذين سبقوهم في العالم الثاني، أو من قِبل شخص ديني كان مهماً في حياتهم ومتوافق مع اعتقادهم الديني.

ظاهرة الموت الطبيعية

يقول د. مودلي: باختصارنواجه بجوابين متناقضين لسؤالنا الأصلي عن طبيعة الموت، والاستنتاجين كلاهما من الزمن القديم، ولا زالا معتبرين حتى لزماننا الحديث. قد يقول البعض إن الموت إفناء للوعي؛ لكن الكثرة الآخرون يقولون بثقة إن الموت هو انتقال النفس "الروح الإنسانية" أو العقل إلى مستوى آخر من الواقع والإدراك. وفيما يلي أرغب ببساطة أن أعطي تقريراً عن بحث قمت به بنفسي.

يقول د. مودلي: خلال السنوات القليلة الماضية التقيت بعدد كبير من الأفراد مروا بما أسميه "تجارب قريبة من الموت". قابلت هؤلاء الأشخاص بطرق عديدة. أولاً كان بالمصادفة في سنة ١٩٦٥، عندما قابلت رجلاً كان أستاذاً (بروفسوراً) نفسياً في مدرسة الطب. من البدء تعجبت من لطفه ومقابلته الحميمة، وفكاهته. وجاءت المفاجئة عندما

علمت أخيراً بحقيقة ممتعة، وهي أنه مرّ بحالة الموت -ليس مرة واحدة لكن مرتين، بفترة عشرة دقائق، وأنه أدلى بشرح ممتع لما حدث له عندما كان "ميتاً" وبعدها سمعته يقص ما حدث له إلى مجموعة صغيرة من الطلاب المهتمين بالموضوع. في ذلك الوقت كنت متأثراً جداً، لكن حيث كان لدي خبرة قليلة لتقدير تلك الخبرات، فقد وضعتها في ملف عقلي وبشكل تسجيل لحديثه.

بعد سنوات، وبعد أن أخذت درجة دكتوراه في الفلسفة، كنت أدرّس في جامعة شرق كارولينا في أحد المساقات الدراسية جعلت طلابي يقرأون بلاتو "Plato Phaedo"، حيث أن الخلود من جملة المواضيع التي شرحت. وفي محاضراتي كنت أؤكد المذاهب والعقائد الأخرى التي قدمها بلاتو، ولم أوجه البحث عن الحياة بعد الموت.

في أحد الأيام بعد الدرس توقف طالب لرؤيتي والتحدث معي. وطلب إذا أمكن بحث موضوع الخلود. وله اهتمام بالموضوع لأن جدته قد "ماتت" خلال عملية جراحية ولكنها استعادت الحياة وذكرت خبرة مدهشة. سألت هذا الطالب أن يخبرني عنها، وللمفاجأة الكبيرة لي، ذكر تقريباً سلسلة الحوادث نفسها التي سمعتها والتي وصفها البروفسور النفساني قبل بضع سنوات.

في هذا الوقت أصبح بحثي الحالات أكثر نشاطاً، وبدأت أضيف موضوع العيش والحياة بعد الموت العضوي في مساقات الدراسة الفلسفية. مع ذلك كنت حريصاً ألا أذكر الخبرتين السابقتين للرجوع للحياة بعد الموت في دروسي وقد تبنيت بالنتيجة حالة انتظر وأنظر. إذ كانت مثل هذه التقارير والأخبار شائعة بصورة معتدلة، من المحتمل أن أسمع عن أحوال وخبرات أكثر إذا أثرت فقط الموضوع العام للخلود في أبحاث الفلسفة، وقد أظهرت موقفاً وحالة من التعاطف مع السؤال، وانتظرت. ولدهشتي وجدت تقريباً في كل صف من ثلاثين طالباً، على الأقل طالباً واحداً يأتي لمقابلتي بعد المحاضرة ويذكر حالة شخصية عن تجربة القرب من الموت.

ما أدهشني منذ بدء اهتمامي التشابه الكبير في التقارير، بالرغم من حقيقة أن هذه التقارير أتت من أناس ذو اختلاف كبير في خلفيتهم الدينية، والاجتماعية، والثقافية. وخلال الوقت الذي دخلت كلية الطب سنة ١٩٧٢، وجمعت عدداً كبيراً من تلك

الخبرات وابتدأت ذكر هذه الدراسة الغير رسمية التي أقوم بها إلى بعض معارفي المختصين بالطب. وبالنهاية أقنعني صديق لي على إعطاء تقرير إلى مجتمع طبي. وتابعت الحديث والمحاضرات العامة للجمهور. وأيضاً وجدت بعد كل حديث عام يأتي أحدهم ويذكر خبرة خاصة جرت له.

وعندما أصبحت معروفاً بهذا الاهتمام، ابتدأ الأطباء بإحالة أشخاص قد أنعشوهم خلال موتهم السريري (Clinicel Death) والذين أبلغوا بما حدث لهم من خبرات غيرطبيعية، كما أن آخرين كتبوا إليّ بعد أن قرأوا مقالات في الجرائد عن أبحاثي.

ويقول د. مودلي: "في الوقت الحاضر لدي معرفة بـ١٥٠تقرير عن ظاهرة الموت الطبيعية. والخبرات التي بحثتها تقع في ثلاثة أنواع مميزة:

١. خبرات الأشخاص الذين أنعشوا واستعادوا الحياة بعد أن أطلق عليهم أمواتاً سريرياً من قبل أطبائهم.

٢. خبرات الاشخاص خلال الحوادث أو الجراح الشديدة أو المرض، والذين وصلوا إلى درجة كبيرة من الموت الفيزيائي العضوي.

٣. خبرات الأشخاص الذي بعد موتهم البيولوجي عادوا للحياة، وذكروا هذه الخبرات لأناس آخرين، وهؤلاء الآخرين اخبروا بما ذُكر لهم.

خبرة الموت

يقول مودلي: بالرغم من الاختلاف الواسع في الأحوال القريبة المحيطة بالموت ومن أنواع اختلاف الأفراد الذين تعرضوا لها، الحقيقة الباقية هي وجود تشابه مدهش ملفت للنظر بين الخبرات نفسها. بالحقيقة المتشابهة بين التقارير المختلفة كبيرة، بحيث يستطيع الواحد بسهولة أن يحصل منها باستمرار على خمسة عشر عنصر منفصل تقريباً من خلال الروايات التي جمعها، وعلى أساس هذه النقاط المتشابهة. دعني الآن أكوِّن "فكرة" أو "خبرة كاملة" تحتوي كل العناصر المشتركة، في ترتيب نموذجي لحدوثها.

رجل يحتضر، وعندما يصل نقطة الضيق المادي الأعظم يسمع انطلاق عبارة موته من

قِبل طبيبه. ويبدأ بسماع صوت غير مريح، قرع أو طنين، وبالوقت نفسه يشعر نفسه يتحرك بسرعة خلال نفق معتم طويل. بعد ذلك فجأة يجد نفسه خارج جسده المادي، لكنه لا يزال في المحيط المادي الفيزيائي المباشر، ويرى جسده الخاص من مسافة، كأنه متفرج. يراقب محاولة الإنعاش من هذا الوضع الغير عادي وهو في حالة عاطفية مضطربة.

بعد لحظة، يجمع نفسه ويصبح أكثر اعتباراً لحالته الغريبة، يلاحظ أنه لا يزال له "جسم" لكن جسم بطبيعة مختلفة وبقوى مختلفة جداً عن الجسم الذي تركه خلفه.

حالاً تحدث أشياء أخرى. يأتي آخرون للقائه ومساعدته. يلاحظ أرواح أقارب وأصدقاء من الأموات، وروح حبيبة دافئة ممن لم يقابله أو يصادفه أبداً -كائن نوراني- يظهر أمامه. هذا الكائن يسأله سؤال، بدون كلام، يجعله يقيّم حياته، ويعرض له منظر بانورامي فوري شامل للحوادث الرئيسية لحياته. في نقطة ما يجد نفسه يقترب نوع ما من الحاجز أو الحد، من الظاهر أنه يمثل الفصل بين الحياة الأرضية والحياة الثانية. للآن يرى أنه يجب أن يرجع للأرض، وأن وقت موته والانتقال للحياة الثانية لم يحن بعد. في هذه اللحظة يقاوم، لأنه الآن قد أخذ تجارب من الحياة الأخرى ولا يريد العودة للحياة الأرضية. إنه مغمور بمشاعر شديدة من السرور، والحب، والسلام. بالرغم من حالته هذه، بكيفية ما يرجع إلى جسمه المادي ويعيش. فيما بعد يحاول أن يخبر الآخرين، لكن لديه مشكلة تمنعه من القيام بهذا العمل. من الناحية الأولى، لا يستطيع أن يجد كلمات بشرية مناسبة لوصف تلك القصص أو الأمور الهامة الغير أرضية. كذلك فإنه يجد الآخرين يسخرون ويتهكمون، لذلك يتوقف عن إخبار الناس الآخرين. تبقى التجربة التي مرّ فيها مؤثرة على حياته بعمق، خاصة آرائه في الموت وصلته بالحياة.

الكائن النوراني

يقول د. مودلي: ربما أن أكثر العناصر دهشة هو العنصر العام المشترك في التقارير التي درستها، وبالتأكيد كان له تأثير عميق على الشخص هو ظهور ومقابلة نور ساطع جداً. عند أول ظهور لهذا النور يكون معتماً، لكن بسرعة يصبح أكثر إنارة حتى يصل إلى تألق غير أرضي. حتى ولو كان هذا النور (عادة يقال أنه أبيض أو شفاف) يتألق

بشكل لا يصدق، الكثيرين يعطون التعبير أنه لا يؤذي عيونهم (بأي شكل أو يزغلل أو يخطف أبصارهم، أو يمنعهم من رؤية أشياء أخرى حولهم (ربما لأنه في هذه اللحظة لا يملكون أعين مادية للزغللة).

هكذا، بالرغم من الظهور غير العادي للنور، لم يعبر أي شخص عن أي شك كان بأنه كائن، كائن من النور، ليس فقط ذلك، بل كائن شخصي. له شخصية محددة. الحب والدفء الذي ينبعث من هذا الكائن للشخص المحتضر لا يمكن التعبير عنه بالكلمات، وهو يشعر بإحاطته به مأخوذ به، براحة تامة وقبول في حضرة هذا الكائن. ويشعر بجاذبية لا تقاوم إلى هذا النور. وهو مجذوب إليه بانشراح.

النور وصلته بالموت

قصص عديدة ذُكرت من قبل الباحثين الذين بحثوا موضوع الروح والانتقال إلى العالم الآخر، والقصة النموذجية بعد موت الإنسان هي: يظهر أحياناً كرة من نور خافت وقد صوّر فوق الراس وهذه الكرة من النور موصولة بالراس بخيط رفيع، يصبح أرفع عندما تطفو كرة الضوء إلى أعلى وأخيراً ينقطع هذا الخيط عندما تطفو كرة الضوء بعيداً، هذه الكرة من النور تعتبر من بعض المشاهدين الروح الإنسانية (النفس).

عندما تنتقل النفس من العالم المادي إلى عالم الأرواح (البرزخ)، هنالك ممر يشبه الخيط الرفيع من الضوء. ربما عللنا أن النفس الشخصية ترحل إلى عالم الروح بواسطة طريق النور وعندما يختفي النور فإن النفس تكون قد وصلت إلى منطقة البرزخ، وإذا رجعت إلى العالم المادي، فإنها ترجع بظهور النور. ربما أن بعض الأنوارالتي تظهر أحياناً هي أرواح داخلة إلى العالم المادي لاصطحاب من سيذهب إلى عالم الروح (البرزخ)، بينما بعض الضوء الآخر هو الواسطة -المركبة- للمخلوقات الروحية.

الأطباق الطائرة ربما كانت صور وخيالات مسلطة من العالم الأثيري تثير انتباه البشر في العالم المادي على أن هناك عالماً آخر، والضوء بحد ذاته ربما هو الصلة بين العالم المادي والعالم الروحي.

الملائكة

تقوم بعض الملائكة في معاونة بعض الصالحين وسعادتهم نفسياً إذ تتنزّل على المؤمنين بالله الذين استقاموا على الطريق المستقيم تشجعهم وتعينهم على تقبل أحداث الحياة وتبعد عنهم الخوف من كل ما يخيف الإنسان في الحياة الدنيا أو الخوف من الآخرة، كما أنها تثير في المؤمنين البشرى بالجنة وذلك بنص الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

وكل إنسان لا بد له من رؤية الملائكة وذلك في لحظات انتقاله إلى الحياة الأخرى، إذ يرى الملائكة ببصره وبصيرته، وتظل الملائكة مع الإنسان طول لحظات انتقاله كما تيسِّر له طريق الخروج إلى الحياة الثانية، كذلك تقوم بمساعدته وتحاول أن تبصِّر المنتقل إلى الحياة الثانية بما هو مقبل عليه، وتعمل على مساعدته وتحاول التعرف على المستوى الجديد الذي أصبح فيه... وتحاول أن تحشد معها أحبته من الأهل والأقارب والأصحاب الذين سبقوه إلى البرزخ حتى يستأنس بمشاهدتهم ويطمئن بلقائهم... ولذلك فإنه من المشاهد المألوفة على المحتضرين أنهم في لحظات انتقالهم تعلو وجوه المؤمنين منهم ابتسامة السعادة وإشراقة النعيم يقول تعالى ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]

كن إيجابياً وواجه مخاوفك

" حياتي هي صلاتي، والذي يعيش عيشة صالحة، لا يخاف على الإطلاق "الحكم كونفوشيوس"

" لكي تصبح شجاعاً تصرف كما لو كنت شجاعاً وعندها فإن الشجاعةتطرد الخوف من نفسك وتصبح شجاعاً فعلاً". "وليم جيمس"

مخاوف الجماعة الإنسانية المتمثلة في آفات حياتها، حواجز تقدمها كجماعة، هي مخاوف نافعة وحافزة فالإحساس بها جماعي. ومقاومتها مقاومة جماعية، والجهود الإنسانية كلها في تعبئة مستمرة لمناهضتها وتلافيها، ومن ثم فهي لا تنال من طمأنينتنا، لأن الإجماع الإنسان على مجاوزتها، يحمل إلينا الإيناس.. أما المخاوف المهلكة، فهي تلك التي تنتاب الأفراد، وتنهش أفئدتهم. تلك التي يحملون وحدهم مقارعتها، وتجعل منهم مأساة محزنة. صحيح أن في طبيعتنا الإنسانية قدراً من الحاجة إلى الخوف، نحاذر به الأخطار ونتقيها، ونتوخى به سلامة خطانا وأمن مصيرنا. لكن هذه الحاجة ينبغي أن تلبى بحكمة، وعلى أضيق نطاق، حتى لا تتحول إلى آفة مهلكة.

ما تحتاجه نفسك من الحذر، يجب ألا يجاوز حده. وعليك أن تفرق دائماً بين الحذر النافع الذي تقتضيه غرائزنا السوية، والخوف المقلق الذي تفرزه الأوهام وتعقيدات العيش.

فلا تخش انفعالاتك أو عواطفك، ولا ترهبها، حتى ولو كانت متعبة مكدورة. لكن أدرسها، وابحثها وفكر فيها. سيطر عليها واحكمها، وتحكّم فيها، ثم حولها لمنفعتك ولنفع الآخرين.

يقال أن رجلاً كان يخاف البرق ويخشى رؤيته. فبدأ يدرس الكثير عن البرق. وشيئاً فشيئاً عرف كيف يصوره من زواياه المختلفة. فتعلم كيف يفرق بين الومضات المتكررة الأخاذة، عمودية كانت أم أفقية. وبذلك تلاشت مخاوفه من شر أنواع العواصف البرقية- وأصبح الشيء الذي يخشاه ويرهبه، هوايته المفضلة. ولشدّ ما كان يسرّه ويثلج صدره أن يخرج إلى شرفة منزله في أثناء العواصف الرعدية الرهيبة ويصور وميضها وبريقها، حتى لقد ظنه أحد أصدقائه أنه أصيب بلوثة في عقله. ولكن كان العكس هو الصحيح لأنه بعد ذلك أخذ يكتب ويبيع لمجلات مختلفة موضوعات شائعة عن البرق والرعد. لقد حوّل خوفه إلى هواية فيها كثير من النفع، وفيها ربح وفير.

وكان هناك شاباً أخوف ما يخافه هو أن يفقد وظيفته، مع أنه كان على درجة من الثقافة لا بأس بها. ولكنه راح يدرس الإجراءات والشؤون التي تتعدى حدود اختصاصه. واشترك في تدريب بالمراسلة خاصة بالمحاسبة وطرق التجارة. وقد أصبح بعد ذلك رجلاً حراً يستمتع بعمله كأحسن ما يكون الاستمتاع. لا يوهمه خوف، ولا يخيفه وهم. وقد تعلم فيما تعلمه أنه في حالة ما إذا فقد عمله أو وظيفته -وهو الرجل الحاذق- فإنه حتماً سيجد وظيفة أخرى أحسن وأفضل في انتظاره، وبأسرع مما ينتظر.

وبنفس هذا الأسلوب يمكن التغلب على جميع الذهانات العقلية الانفعالية والسيطرة عليها. إنك لن تحتاج إلى أكثر من أن تدرس الأشياء التي تخافها وترهبها. جزئها وخذ كل جزء منها على حدة. ابحثها وافحصها، ودقق الفحص فيها. عندئذ ستتحوّل أحزانك ومتاعبك ومخاوفك إلى ما يفيدك ويعود عليك بالنفع الجزيل.

وفي إمكـان كـثير مـن العُصابيين أن يبنـوا مـن جديـد خلقهـم وطبـاعهم. وفي إمكانهم أن يعيشوا عيشة هنية رضية إذا عرفوا كيف يكشفون عن الحقائق التي توضح لهم تركيب المخ والأعصاب، ووظائفها، ومبادئ عمل العقل الظاهر والعقل الباطن بمستوياته المختلفة.

إن التقلب العاطفي، والطيش، والتردد، كثيراً ما يكون ملفتاً للأنظار. وبوسع المرء أن يوفّقها مع طول موجة ذهنية أخرى، كي يمضي باتجاه النجاح. ويبدو أن بعض الناس سرعان مايتألمون ويتوجعون، وتتفجر دموعهم حزنا وكمداً، ويطفقون يبكون ويعولون لأخف لوم، ومن أقل تأنيب. ثم يظهرون من جديد الاحتقار والازدراء والتشفي. ثم يخفون عن أنفسهم ويفرجون عنها بعصفات عنيفة، وهبات قاسية من السخط والحنق والغضب. وهكذا ينقلب السرور إلى حزن، والبهجة إلى هم وكرب، والفترات الطوية من السعادة تتبعها غمرة من المكاره، وحالة من حالات اليأس وانقباض النفس. هذا الضرب من الطبع المتقلب، الدائم المتغير، يتكشف دائماً في نواحي نشاطهم. إنهم إما أن يكونوا سعداء دائبي الحركة، وإما أن يكونوا غير قانعين، بطرين، مع خمول وعدم حركة. إنهم عطوفون ودودون في بعض الأحيان، نفورون، ثقيلو الدم أحياناً أخرى. إنهم على حالات وأمزجة تدعو إلى عدم الاعتماد عليهم، أو الوثوق بهم، أو الركون إليهم. بسماتهم يعقبها عبوس ويتبعها تجهم. ويقف أصدقائهم ومعارفهم حائرين حيالهم لا يستطيعون لهذا التقلب تفسيراً. وهكذا يتحول الكثير من أمثال هؤلاء الناس إلى "خلان يتلونون مع الزمان"، إنهم لا يكادون يحبون بدون معيار، حتى يكرهوا بأسرع ما يمكن بدون سبب أو مبرر.

من الخير أن نذكر جيداً أن شيئاً تافها قد يحطم كيان الإنسان ويضعضع بنيانه. ولذلك ينبغي علينا أن نتحاشى إثارة أصدقائنا ورفاقنا، ونتجنب استفزازهم، أو تجريحهم أو خدش شعورهم ما دام ذلك في وسعنا.

حين تصادف شخصاً مغيظاً فقد اتزانه، عليك أنت أن تظل رزيناً ثابتاً، عديم الاكتراث، وأن تضع أعصابك في ثلاجة —إن اضطرك الأمر لذلك.

إنه من الخير لنا، بل المحتم علينا، أن نسمو بعقولنا، ونرتفع بمشاعرنا، حين نحاول أن نوفق بين مشاكلنا في الحياة، وبين أسلوبنا في المعيشة بالنسبة إلى الحياة العاطفية لمن نعاشرهم أو نعيش معهم أو نرتبط بهم في المعاملات.

والأمراض العقلية العاطفية كالخوف والبغض والكراهية والحب والتآمر والتظاهر الكاذب، مدعاة للحيرة والارتباك والوهم. والخوف على رأس القائمة، فعند كثير من الناس أوهام من الخوف تملأ أذهانهم، وتسيطر على رؤوسهم، كالخوف من الإخفاق، وضياع المستقبل، والخوف من الزحام، والخوف من الجراثيم، هذه المخاوف بجميع صنوفها وأشكالها، يتحتم علينا أن ننتزعها من نفوسنا. ونتخلص ونتحرر منها جميعاً. كما يتحتم علينا أن نعمل على ألا يكون للبغضاء مجال في نفوسنا.

قوة هائلة كامنة في قرار الاختيار

"اختيارك لهذه اللحظة هو بداية حياتك الجديدة"

"اينشتاين"

"أعظم قوة في الحياة هي قوة الاختيار"

"كونفوشيوس"

"الاختيار وليست الظروف هي التي تحدد مصيرك "

"برناردشو"

من سنين قليلة ماضية، جاء شاب إلى هوليود في عربة صناديق فارغة لقطار شحن. لم يكن لديه نقوداً فقط الملابس القليلة على ظهره. غسل الوسخ عن وجهه في غرفة استراحة محطة بنزين، وذهب حالاً إلى "ستوديو فوكس القرن العشرين" حيث طلب الاجتماع بالسيد "دارل زانوك" مدير الإنتاج في الأستوديو نظر البواب إلى ملابسه المبللة، وعدم لبسه جاكيت وربطة عنق. امتلأ وجه البواب بالغضب وصاح "أخرج من هنا"، "لا يسمح للمعتوهين والزعران هنا!". ترك الشاب المكان وهو مطأطأ الرأس ذليلاً. لقد كان متأكداً أن ثقته بنفسه، وآماله الكبيرة ستعطيه المقابلة المطلوبة حتى أنه لم يخطر بباله احتمال الفشل. إنه لم يستطع حتى دخول أبواب الأستوديو! لقد اهتزّ كيانه مرارة حتى أنه لم يحاول الرجوع مرة ثانية، لكن تلك الليلة اتخذ قراراً حاسماً. إنه سيصبح ممثلاً مهما كانت الصعوبات وخيبة الآمال. لن يدع شيئاً يمنعه أو يقف في طريقه، أو يثبط عزمه. سوف يشتغل سوف يتعلم، سوف يدرس، وفي النهاية سوف يصبح ممثلاً.

في اليوم الثاني وجد عملاً في مطعم يقوم فيه بغسل الصحون وثم سجل في مدرسة تعلم التمثيل ودرس وعمل جيداً في هذه المدرسة وعندما اكتشف أنه لا يملك نقوداً، أعطي له عملاً كحارس للبناء مقابل قسط دراسته. كما سمح له أن ينام في المسرح.

لقد أمضى ثلاث سنوات على هذه الحالة عاملاً بحماس وثبات على تحقيق عزمه وطموحه كي يصبح ممثلاً.

في أحد الأيام عندما كان يمشي في الشارع، أوقف من قبل أحدهم وسأله إذا كان ممثلاً. أجابه نعم أنا ممثل. طلب منه هذا الشخص أن يؤدي اختبار وتجربة. بعد الاختبار أعطي له عقداً، ومن ثم دوراً بسيطاً في التمثيل، وبعده دوراً أكبر، ومن ثم دور رئيسي كنجم. اليوم هو واحداً من أهم نجوم هوليود الكبار، في مركز عالي من مهنته لأنه يعرف عمله جيداً. الكثيرون يصرون أن هذا الشاب سيوقف في الشارع ويسأل عما إذا كان ممثلاً بالرغم من أنه كان قد أمضى تلك السنوات يعمل ويدرس كي يجهّز نفسه، لكن يجب أن نصر خلاف ذلك. لم تكن صدفة أن يوقف في الشارع ويسأل إن كان ممثلاً. إن نوعية وعيه قد جذبت هذه الحالة والحادثة إليه ووعيه قد عُدّل وغُمر بتلك الصفة من خلال سنوات التدريب والدرس والنظام الذي خضع له.

هكذا فنحن دائماً نجلب وندعوا للوجود حولنا تلك الصور والخيالات التي نتصورها في أعماق وجودنا وعقلنا الباطن، وإن أي إنسان بقوّة قراره، لديه الإمكانية لتغيير وعيه ومن ثم تغيير حياته.

إنه بتوسيع وتغيير وعينا وحالتنا الفكرية والنفسية، نؤثر وحتى نتحكم في مصائرنا، والآلة التي بموجبها يمكننا عمل ذلك هي بالتخلي عن الـ"أنا Ego" الذات الكاذبة السلبية السفلية وربط أنفسنا بالنفس الحقيقية السامية وما يغمرها من النفخة الروحية الإلهية في أعماقنا وعقلنا الباطن.

الإنسان ليس العقل الظاهر والنفس السفلى "الأنا" بل هو النفس السامية المغمورة والمرتبطة بالنفخة الإلهية القدسية. والإنسان ليس منفصلاً عن الله سبحانه.

إن الله يتجلى كروح دائم موجود في حقيقة كل شيء نوره موجود في كل نقطة من الكون وفي كل لحظة من الزمان. إن كل ما يحدث في حياتك سواء كان واعياً أو غير واعٍ هو من اختيارك. فالطريقة التي تمشي بها، وتجلس بها، وتنام بها، وتتحدث بها، وتتصرف بها، وتأكل بها هي من اختيارك ووعيك الباطن. فمعظم سلوكياتنا نعملها

تلقائياً بدون تفكير. فلو نظرت إلى حياتك الآن وفي كل ركن من أركانها ستجد النتائج التي وصلت إليها سببها اختياراتك الشخصية.

إن كل شيء تفعله هو اختيار تم حدوثه أولاً في ذهنك فكرت فيه ثم وضعته موضع التنفيذ والفعل وكررته حتى أصبح عادة تفعلها تلقائياً بدون تفكير. فأنت حر في اختيار أفكارك ونواياك، وفي الطريقة التي تعالج بها أمور وتحديات الحياة.

كتب جاك كاتفيلد ومارك فينس في كتابهما عامل أينشتاين أن الإنسان يستقبل يوميا آلاف الأفكار وكل مايحتاجه من هذه الأفكار هو اتجاه يسير فيه، وهذا الاتجاه يحدده الشخص نفسه، فلو كان قرار الاختيار هو اتجاهاً سلبياً تكون النتائج سلبية، وإذا كان قرار الشخص اتجاهاً إيجابياً تكون النتيجة إيجابية. وحيث أن من أفعال وقوانين العقل الباطن أن يجعل الفكرة تتسع وتنتشر في نفس نوعها، لذلك يتعين عليك أن تنتبه وتلاحظ أفكارك واختياراتك وتقرر إذا كانت الفكرة التي ستزرعها وتغذي بها ذهنك وعقلك الباطن إيجابية تستحق استخدامها أم سلبية يجب نبذها وعدم الاحتفاظ بها.

كما أن قوة التركيز تعتبر من أهم قوانين العقل الباطن، لأن أي شيء تركّز عليه يقوم العقل بتعميمه وإلغاء أي معلومات أخرى لكي يتمكن من التركيز على هذه المعلومات، فلو كان تركيز الشخص على الفشل سيجد أن العقل الباطن يحذف أية معلومات أخرى، ويعمم الفشل ويدعمه لكي يستطيع أن يتعامل معه، بينما لو كان التفكير إيجابياً سيسري نفس الشيء على التفكير الإيجابي، فمثلاً لو فكرت في النجاح سيقوم العقل بحذف الفشل وتعميم النجاح. لذلك يجب أن تقرر ماذا تضع في ذهنك وتركيزك، ولكي تستخدم قوة التركيز بحكمة ولصالحك يجب أولاً أن تدرك إين تضع انتباهك أو اتجاهك الفكري وتركز على الحل والنتيجة المطلوبة وعلى البدائل. وأما قوة الأحاسيس فهي وقود الإنسان. فلو كانت سلبية تؤدي إلى الأمراض النفسية وأيضاً الأمراض العضوية، لذلك لاحظ أحاسيسك وركّز على الأمور والأشياء الإيجابية.

يقول بنجامين دزرائيلي: " ليس الإنسان هو مخلوق الظروف لكن الظروف نتيجة تفكيره"، لذلك ركّز على الأمور والأشياء الإيجابية.

يبدو أن أقوى طريق لتشكيل حياتنا هي أن نحمل أنفسنا على القيام بالعمل مقارنة مع آخرين في نفس الوضعية. فالأفعال المختلفة تنتج نتائج مختلفة. وذلك لأن كل فعل هو سبب تم وضعه على التنفيذ، وتأثيره مبني على تأثيرات سابقة وتحركنا في اتجاه محدد. كما أن كل اتجاه يؤدي إلى وجهة نهائية: هي قدرنا.

إن جوهر المسألة هو أن علينا أن نسيطر على أفعالنا الدائمة والمستمرة إذا كنا نريد أن نتولى زمام المبادرة في توجيه حياتنا. إذ أن ما يشكل حياتنا ليس ما نفعله بين حين وآخر، بل ما نفعله بصورة دائمة مستمرة. فمفتاح الأمور هو قوة اتخاذ القرار، فكل شيء يحدث في حياتك سواء أكان يسعدك أم يحزنك -بدأ بقرار. فاللحظات التي تتخذ فيها قراراتك هي التي تشكل ماهية شعورك، وما ستصبح عليه في هذا العقد، وما بعده من الزمن.

يبدو بكل وضوح بأن قراراتنا، وليست ظروف حياتنا هي ما يقرر مصيرنا أكثر من أي شيء آخر. إننا نعرف أن هنالك من ولوا وهم يتمتعون بامتيازات خاصة، غير أننا نلتقي أو نسمع أو نقرأ عن أشخاص تجاوزوا بالرغم من كل شيء كل الحدود التي تفرضها عليهم ظروفهم باتخاذ قرارات جديدة حول ما سيفعلونه بحياتهم. لقد أصبحوا أمثلة للقوة اللامحدودة للروح الإنسانية.

إننا سوف نجعل حياتنا أحد تلك الأمثلة، وذلك باتخاذ قرارات هذا اليوم حول كيفية تسيير حياتنا في العقد المقبل وما بعده. فإذا لم تتخذ أي قرارات فإنك في الواقع قد اتخذت قراراً. ستكون قد اتخذت قرارا بأن يوجهك محيطك بدلاً من أن تتولى أنت تشكيل حياتك ومصيرك.

هناك فرق بين أن تكون مهتماً بأمر ما وبين أن تكون ملتزماً بهذا الأمر. عليك أن تقرر بالإضافة إلى النتائج التي تلتزم بتحقيقها نوعية الشخص الذي تلتزم بأن تكونه. عليك أن تحدد مقاييس لما تعتبره سلوكاً مقبولاً من قبلك. وأن تقرر ما يجب أن تتوقعه من الذين يهمونك. فإن لم تتخذ مقاييس أدنى ما يمكنك أن تتخيله في حياتك فسوف تجد أنك ستنزلق بسهولة إلى أنماط السلوك ومواقف، أو نوعية حياة هي أدنى بكثير مما تستحقه في الواقع.

إن معظم الناس يقضون وقتهم وهم يحاولون ابتداع الأعذار لأنفسهم. أما السبب في عدم تحقيقهم لأهدافهم أو في عدم ممارستهم نوع الحياة التي يرغبون فيها، فيعود، حسب زعمهم لأن والديهم عاملوهم بطريقة معينة، أو بسبب عدم توفر الفرص أمامهم أثناء فترة شبابهم، أو بسبب عدم تلقيهم التعليم المناسب، أو لأنهم تقدموا في العمر، أو بسب صحتهم الرديئة أو بسبب ذكائهم الضعيف، أو بسبب حظهم التعيس، أو لأنهم ما زالوا حديثي السن. إن كل هذه الأعذار لا تمثل عوائق فقط من الفرص المتوفرة لك في حياتك، بل إنها في الواقع أعذار لحفظ ماء الوجه (alibi) وهي أعذار مدمرة.

إن استخدام قوة القرار يعطيك القوة على تجاوز أية أعذار تحول دون إجراءك تغييرات في أي جانب من جوانب حياتك في التَّو واللحظة، إذ يمكن قوة القرار أن تبدل علاقاتك، وبيئة عملك، ومستوى لياقتك البدنية، ودخلك، وحالتك العاطفية والنفسية. وهذه القوة هي التي ستقرر إن كنت سعيداً أم حزيناً، إن كنت محبطاً أم تتفجر طاقة وحيوية ونشاطاً، تستعبدك الظروف أم تعبّر عن حريتك. إنها بالواقع مصدر التغيير في داخل أي فرد أي فرد وعائلة ومجموعة ومجتمع وبلد، بل في العالم أجمع.

اليوم في هذه اللحظة، يمكنك أن تقرر أن تفعل شيئاً آخر، شيئاً جديداً، عُد للدراسة، اعمل على السيطرة على أمورك المالية تعلم مهنة جديدة، تعلم لغة جديدة، ابدأ في الجلوس مع أطفالك فترة أطول أو في قضاء وقت أطول في العناية بالحديقة، يمكنك أن تفعل أي شيء إذا قررت ذلك فعلاً.

أيقظ القوة الهائلة في داخلك لاتخاذ القرار ولكي تطالب بحقك الطبيعي –الذي وهبك إياه الله سبحانه وتعالى– من القوة اللامحدودة والحيوية المتألقة والعاطفة الممتعة التي تستحقها. عليك أن تدرك أن بإمكانك اتخاذ قرار جديد قد يغير حياتك على الفور، قراراً حول عادة ترغب تغييرها، أو مهارة ترغب إتقانها، أو قراراً حول كيفية تعاملك مع الناس أو قرار حول اتصال تجربة مع شخص لم تكلمه منذ مة طويلة. اتخذ الآن القرار الذي سيسير بك في اتجاه جديد إيجابي يصل بك إلى النمو والتطور والسعادة، فحياتك ستتغير حالما تتخذ قراراً جديداً مناسباً تلتزم به.

القرارات هي التي تقف وراء المشاكل كما تقف وراء السعادة والفرص العديدة. القرارات هي القوة التي تضيء الطريق التي تحول اللامرئي إلى حقائق واقعية مرئية. القرارات الصادقة هي الوسيط الكيماوي (Catalic) الذي يحوّل الأحلام إلى حقيقة.

هذه القوة الدافعة موجودة لديك بالفعل. والأمر المفجر للقرار لا يقتصر على فئة محددة مختارة من الذين يمتلكون المال والامتيازات أو الخلفية العائلية، بل هي تتوفر للعامل البسيط تماماً كما تتوفر لكبار الشخصيات. وهي تتوفر لك الآن في هذه اللحظة ويمكنك الآن أن تستخدم هذه القوة الدافعة الهائلة التي تنتظر كامنة في داخلك بمجرد امتلاك النية والشجاعة الكافية لاستدعائها. إبدأ الآن وأعلن هذا ما ستكون عليه حياتي، وهذا ما سأفعله لن يقف في وجهي ما يحول دون تحقيق قراراتي لن يقف في وجهي عائق بإذن الله.

المهم ليس الموقع الذي تبدأ منه. بل القرارات التي تتخذها حول الموقع الذي تصمم على الوصول إليه. وليس المهم في البداية أن تعرف كيف تتوصل إلى نتيجة بل أن تصمم على التوصل غلى سبيل لذلك، مهما كانت التحديات.

صيغة النجاح النهائي

- ❖ قرّر ماذا تريد.
- ❖ أقدم على العمل.
- ❖ راقب النواحي التي تنجح والتي تفشل.
- ❖ غيّر اتجاهك إلى ان تتوصل لتحقيق ما تريد.

إن اتخاذ قرار بالتوصل إلى نتائج يؤدي إلى تحريك الأحداث. فإذا قررت ما تريد وحملت نفسك على اتخاذ الإجراء اللازم وتعلمت منه، وغيرت اتجاهك أو طريقة تبادلك للموقف فإنك ستخلق بذلك قوة الدفع اللازمة لتحقيق النتائج والأهداف المطلوبة. إذ أنك بمجرد أن تلزم نفسك بصدق بأن تعمل على حدوث أمر ما فإن موضوع "كيف" سوف يكشف نفسه بنفسه".. وكما يقول "غوتيه": "هنالك حقيقة مبدئية واحدة تتعلق بكل

أعمال المبادرة والإبداع، وهي أنك في اللحظة التي تلتزم فيها التزاماً كلياً فإن العناية الإلهية ستهب لمساندتك".

عندما تقرر بصدق بأنك لن تدخن السجائر بعد اليوم فإن الأمر يكون قد انتهى، إذ إنك لن تفكر حتى في إمكانية التدخيل. إننا بعد أن نتخذ قراراً صادقاً قاطعاً، فإن معظمنا يشعر بقدر هائل من الراحة. لقد قفزنا أخيراً فوق السور. وكلنا يعرف مدى لذة شعورنا حين يكون لدينا هدف واضح لا مجال للتساؤل بشأنه.

إن مثل هذا الوضوح يمنحنا القوة. ونستطيع التوصل إلى النتائج التي نرغب أن نحققها فعلاً بحياتنا. يتمثل التحدي لمعظمنا في أننا لم نتخذ قراراً منذ فترة طويلة بحيث إننا نسينا كيف يكون شعورنا حينذاك. يبدو أن عضلات اتخاذ القرار لدينا قد ترهّلت. إن بعض الناس يجدون صعوبة في اتخاذ قرار حتى حول ما سيتناولونه من طعام وشراب. عليك أن تدرك بأن عملية اتخاذ القرار هي، شأنها شأن كل مهارة أخرى تركّز كل جهودك على تحسينها، إنما تصبح أفضل فأفضل بتكرارها مرة دون أخرى. وكلما اتخذت قرارات أكثر كلما ازداد إحساسك بأنك تسطير سيطرة أفضل على حياتك. وتذكر أن اللحظات التي تتخذ فيها قراراتك هي تلك التي تقرر مصيرك.

إن القرارات الثلاثة التي تسيطر على مصيرك هي:

❖ قراراتك حول ما ستركز عليه.
❖ قراراتك حول معنى الأشياء بالنسبة لك.
❖ قراراتك حول ما الذي ستفعله لتحقيق النتائج التي ترغبها.

وهكذا ترى أن ما يقرر من ستصبح ليس ما يحدث لك الآن أو ما حدث لك في الماضي. بل إن قراراتك حول ما ستركز عليه وما تعنيه الأشياء بالنسبة لك، وما الذي ستفعله بشأنها هو ما يقرر مصيرك النهائي. يقول هنري ديفيد تورو: "لست أعرف حقيقة مشجعة أكثر من قدرة الإنسان التي لا جدال فيها على رفع مستوى حياته بسعيه الواعي لذلك".

إن أعداداً كبيرة من الناس لا تتخذ غالبية قراراتها عن وعي، ولذا فإنها تدفع ثمناً غالياً، فمعظم الناس يقفزون إلى وسط نهر الحياة دون أن يقرروا في الواقع إلى أين يتجهون. ولذا فإن التيار سرعان ما يمسك بتلابيبهم، تيار الأحداث، تيار المخاوف، وتيار التحديات. وحين تصل بهم الأمور إلى مفترق طرق في ذلك النهر فإنهم لا يقررون بطريقة واعية في أي اتجاه يتجهون أو أين هو الاتجاه الصحيح بالنسبة لهم، بل إنهم يكتفون بالإندفاع مع التيار –تيار الحياة. ولذا فإنهم يشعرون بأنهم فقدوا السيطرة. ويظلون في تلك الحالة اللاواعية إلى أن يوقظهم صوت المياه الهائجة في يوم من الأيام، وهم يكتشفون بأنهم أصبحوا على مسافة مترين من الشلالات الهادرة على متن قارب دون مجاديف. وحينذاك يتأهبون للعمل، ولكن بعد فوات الأوان، إذ لا بد لهم من أن يسقطوا. وهذه السقطة أحياناً عاطفية، أو بدنية أو مالية أو غيرها.

في عقلك الباطن نظاماً داخلياً مبرمجاً لاتخاذ القرارات:

قد ركّب في عقلك الباطن نظاماً داخلياً لاتخاذ القرارات، الحسنة والسيئة، في كل لحظة تعيشها، وهو يتحكم في طريقة تقييمك لكل أمور حياتك، إن معظم الناس لا يحاولون إعادة برمجة وضبط هذا النظام الداخلي. وقد ركّب وزرع فيه عبر السنين من قبل مصادر مختلفة متعددة مثل الأبوين والزملاء والمعلمين والتلفزيون ووسائل الإعلام العديدة والثقافة، يتكون هذا النظام من:

- ❖ معتقداتك والمبادئ غير الواعية لديك.
- ❖ قيم الحياة.
- ❖ مرجعيتك.
- ❖ الأسئلة التي توجهها عادة إلى نفسك.
- ❖ الحالات العاطفية التي تخضع لها في كل لحظة.

إن العلاقة بين هذه العناصر تؤدي إلى جهد يعتبر هو المسؤول عن دفعك أو إيقافك عن القيام بالعمل. ويشعرك بأنك محبوب أو مكروه، كما يقرر مستوى نجاحك وسعادتك. وقد يسبب لك القلق من المستقبل وبعض الأمور الأخرى. إنه هو

ما يقرر لماذا تقدم على فعل ما تفعل ولماذا لا تفعل بعض الأشياء التي تعرف أن عليك أن تفعلها .

بتغيير أي من هذه العناصر الخمسة سواء أكان ذلك معتقداً جذرياً أساسياً أم قاعدة أم قيمة أم مرجعية أم حالة عاطفية فإنك ستحدث على الفور تغييراً محسوساً في حياتك. والأهم من ذلك أنك ستقاوم وتغير السبب الحقيقي بدلاً من النتائج . فإذا كنت مثلاً تبالغ في تناول الطعام فإن الطعام السبب الحقيقي في ذلك هو عادة مسألة قيم أو قناعات أكثر من كونها مسألة تتعلق بالطعام بالذات .

إنه بإمكانك أن تتجاوز هذا النظام المبرمج في عقلك الباطن وذلك باتخاذ قرارات عن وعي في أي لحظة من لحظات حياتك إذ عليك أن لا تسمح للطريقة التي برمجت ماضيتك بأن تتحكم في حاضرك ومستقبلك .

هناك عائق يحول دون استخدام قدرتنا على اتخاذ القرار ، التغلب على مخاوفنا من اتخاذ القرار الخاطئ. لا شك بأننا سنتخذ قرارات خاطئة في حياتنا . لذا ينبغي أن تكون مرناً مهما اتخذت من قرارات، وأن تتمعّن في النتائج ، وتتعلم منها ، وأن تستخدم تلك الدروس لاتخاذ قرارات أفضل في المستقبل .

عليك أن تتذكر أن النجاح هو في الحقيقة نتيجة الحكم السليم . والحكم السليم هو نتيجة التجربة ، والتجربة كثيراً ما تكون ناتجة عن حكم خاطئ. فالتجارب التي تبدو ظاهرياً سيئة أو مؤلمة هي الأهم في بعض الأحيان . علينا أن نلتزم بالتعلم من أخطائنا بدلاً من أن نلطم وجوهنا ، وإلا فإننا سترتكب نفس الأخطاء في المستقبل . يقول توماس أديسون : "لست أشعر ببرود الهمة، لأن كل محاولة خاطئة أتخلى عنها هي خطوة أخرى تقودني نحو الأمام" .

بالإضافة إلى التجربة الشخصية في الأهمية ، من المهم أن تقتدي في شخص ركب موجات البحر ولديه خارطة جيدة ويمكن أن نسير على هداها . يمكنك أن تجد قدرة لك في أي سمة من السمات التي تريد أن تتعلم كيف تتقنها في حياتك. حيث أن من شأن هذا أن يوفر عليك سنوات من الألم وتحميك في الانجراف في تيار شلال الحياة .

لكي تنجح، لا بد أن تكون لديك نقطة تركيز بعيدة المدى. فمعظم التحديات التي تواجهها في حياتك الشخصية -مثل أن تسمح لنفسك بالشراهة بالطعام والتدخين والشعور بالارتباك والتخلي بالتالي عن أحلامك - إنما تنبع من نقطة تركيز قصيرة الأجل. فالنجاح والفشل ليسا نتيجة تجارب تحدث بين يوم وليلة.

إن قرارك بأن تلتزم بتحقيق نتائج طويلة الأجل وليس إجراءات قصيرة الأجل هو أمر مهم، مثل أي قرار تتخذه في حياتك: وحين تتأخر هبات وبركات الله سبحانه وتعالى فإن هذا لا يعني أن الله تعالى يمنعها عنا. إذ إن ما يبدو مستحيلاً على المدى القصير يصبح ممكناً على التفكير في المدى الطويل. مثل فصول السنة، فأي فصل من فصول السنة لا يستمر إلى الأبد، فالحياة هي عبارة عن دورة طبيعية تشمل الزرع والحصاد والراحة والتجديد.

الحقائق نسبية متغيرة

"الحق الذي لا يأتيه باطل، أمر متروك للخالق، وليس هو من نصيب الإنسان" "المؤلف".

المقاييس التي نميّز بها بين الممكن والمستحيل من الأمور هي في الواقع مقاييس نسبية. إذ هي منبعثة من التقاليد والمصطلحات والعادات الاجتماعية التي تعود عليها الفرد أو أوحي بها إليه في بيته أو مدرسته أو ناديه.. فالفرد الذي لم ير مذياعاً ولم يسمع عن الإذاعة شيئاً من قبل لا يصدق إذا أخبره أحدهم بأن هناك آلة يسمع بها الإنسان صوت غيره على بعد آلاف الكيلومترات.

لقد كان الغزالي يردد في كتبه قوله: "إن الإنسان يستغرب ما لم يعهده، حتى لو حدثه أحد، أنه لو حك خشبة بخشبة، لخرج منها شيء أحمر، بمقدار عدسة، يأكل هذه البلدة وأهلها، ولم يكن رأى النار قط، لاستغرب ذلك وأنكره".

ويبدو أن كل واحد منا يشابه هذا الذي ينكر المذياع أو ينكر النار. إن تركيب العقل البشري متماثل في جميع الناس المتعلمين منهم وغير المتعلمين. فكل إنسان على عقله منظار أو إطار ينظر إلى الكون من خلاله، وهو لا يصدق بالأمور التي تقع خارج هذا الإطار. فالإنسان اعتاد أن ينظر إلى الكون من خلال إطار فكري يحدد مجال نظره، وإنه يستغرب أو ينكر أي شيء لا يراه من خلال ذلك الإطار أو المنظار. فالإنسان بهذا المعنى يشابه الحصان الذي يجر العربات حيث قد وضع على عينيه إطار لكي يتوجه إلى الأمام فلا يرتبك في سيره.

قد يختلف اثنان على حقيقة من الحقائق: هذا يؤمن بها كأنه يراها رأي العين وذلك ينكر وجودها إنكاراً تاماً. فإذا فحصنا مصدر الخلاف وجدناه كامناً في الإطار الذي ينظر به كل منهما إلى الحقيقة. ربما كانا على درجة متقاربة من الذكاء وقوة

التفكير ولكن الإطار الذي وضع على عقل كل منهما جعل أحدهما ينظر إلى الحقيقة من زاوية تختلف عن زاوية الآخر.

إن من الشجاعة أن نحاول إقناع غيرنا على رأي من الآراء بنفس البراهين التي نقنع بها أنفسنا. فيجدر بنا أن نغير وجهة إطاره الفكري أولاً ومن ثم نجده قد مال إلى الإصغاء إلى براهيننا بشكل عجيب.

لقد دأب المعلمون والكتاب والخطباء على وعظنا وتعليمنا على أن "من جد وجد" وأن "كل من سار على الدرب وصل" وأن المرء يستطيع أن يصنع نفسه حسب ما يشاء بحزمه وإرادته واجتهاده وعمله المتواصل.

إن هذه النصيحة لا بأس بتلقينها للأطفال والتلاميذ الصغار حيث تحرضهم بها على العمل والدأب ومواصلة الدراسة ثم ردعهم بها عن اليأس والخمول. هذا ولكن التطرف فيها وتلقين الكبار والراشدين إياها قد يؤديان إلى عكس النتيجة المتوخاه منها.

إن الإنسان يسمع دائماً بأن النجاح والرزق والتفوق هو من نتائج السعي والتدبير والمثابرة، فيأخذ بالسعي والجد لكي ينال النجاح على زعمه، ولكنه يرى نفسه قد تخلف عن الركب بالرغم من ذلك بينما سبقه غيره ممن هم أقل منه جهداً أو أضعف إرادة، فيعزو ذلك إلى الحظ، ويأخذ عندئذٍ بالشكوى من سوء حظه.

مما لا ريب فيه أنه ليس هناك حظ بالمعنى الذي يفهمه الناس عادة من هذه الكلمة. فهناك بالأحرى قوى باطنية لا شعورية تنبثق من أغوار النفس ويكون لها أثر في نجاح الفرد أو تفوقه أو نبوغه. ويبدو أن الفرق الذي نراه أحياناً بين فرد وآخر في مبلغ النجاح رغم أنهما متشابهين في السعي والذكاء ناتج في الأغلب من كون أحدهما يسمع لقواه الباطنة اللاشعورية بالانبثاق ويستفيد منها في حياته العملية، بينما يكدح الشخص الآخر طول وقته ويجهد نفسه فيكبح بذلك تلك القوى ولا يصغي لحوادسها وحوافزها الخارقة، ولذا نجده قد ابتعد عن طريق

النجاح. فكثيراً من أسباب النجاح آتية من استلهام اللاشعور (العقل الباطن) والإصغاء إلى وحيه الآني.

فإذا تعجل المرء أمراً وأراده وأجهد نفسه في سبيله قمع بذلك وحي العقل الباطن (اللاشعور) وسار في طريق الفشل والإخفاق.

لا ريب أن هناك أهمية للإرادة والجهد والسعي ولا أحد ينكر أثرها في النجاح. ولكن علينا أن نعين لهذه الأمور حدها الذي تقف عنده ومجالها الذي ينبغي أن لا تتعداه. فهناك أوقات يحتاج فيها الفرد إلى السعي والجهد. وهناك أوقات أخرى تقتضي من الفرد الانسياب والاسترسال والاسترخاء واللامبالاة وقلة الحرص. والإنسان السعيد هو من استطاع أن يفرّق بين هذه الأوقات وتلك، ثم يسلك في كل حين حسبما يقتضيه المقام والظرف.

ولا ريب بأهمية العامل الاقتصادي والنظام السياسي وبأثرهما في حياة الفرد. فالنظام الفاسد والمتفسخ من الناحية الاقتصادية والسياسية كثيراً ما يقضي على المواهب ويمنع الفرد من استثمار قواه النفسية استثماراً صحيحاً.

إننا في بحثنا هذا نريد أن نتغلغل في أعماق النفس الإنسانية ونتعرف عليها وعلى إمكانياتها وإلى الأسباب الباطنة اللاشعورية التي تؤدي إلى النجاح والتفوق وإلى الظواهر الخارقة التي ينطلق منها.

إن النجاح الذي نقصده ونسعى إليه هو الذي يستفيد منه الفرد والمجتمع معاً. وهذا النجاح الذي يبقى أثره على مرور الأجيال.

إنه نجاح الباحث والمستكشف والمخترع والتاجر والقائد والكاتب والمؤلف والخطيب والمهندس والمعلم والطبيب والفنان وغيرهم من أولئك الذين يضيفون إلى تراث الحضارة الإنسانية أشياء جديدة.

إن موضوع القوى النفسية موضوع جديد بدأ بشكله التجريبي الراهن حوالي سنة ١٩٣٠م، حيث أسست جامعة "ديوك" في الولايات المتحدة الأمريكية فرعاً خاصاً لدراسة النفس البشرية وهذه القوى دراسة مختبرية تحت إشراف البروفسور

"داين"، والذي ألف كتب لخص فيها نتائج بحوثه حيث أثار بذلك ضجة كبرى عالمية في الأوساط العلمية، إذ تبين تجريبياً وعلمياً أن الإنسان يملك في أعماق عقله الباطن قوى نفاذة تخترق حجب الزمان والمكان. فالإنسان مخلوق عجيب يحتوي بدنه على غرائب لا تحصى.

وحديثاً بدأ العلماء يكتشفون في بدن الإنسان ما أذهلهم من أعاجيب الكهرباء والأمواج الكهربائية والمغناطيسية. وربما استطاعوا في المستقبل أن يعثروا فيه على أنواع من الأجهزة العصبية الدقيقة التي تكون أجهزة الرادار والتلفزيون والحاسوب بالنسبة لها أجهزة بسيطة. وقد قيل في هذا الجرم الإنساني الصغير قد انطو العالم الأكبر.

لقد أنكر علماء القرن التاسع عشر كل ظاهرة لا يمكن تفسيرها تفسراً ماديا. فقد أصدر "بوخنر" كتاباً سماه "القوة والمادة" حاول فيه أن يفسر الكون كله، من أبسط الأشياء فيه إلى أكثرها تعقيداً، بتفاعل المادة والحركة. وقد أصبح هذا الكتاب مرجع الماديين في ذلك القرن إذ اعتبروه إنجيلهم الذي لا يتطرق إلى براهينه الشك.

إن مشكلة هؤلاء لم تنشأ من نظرتهم المادية المتطرفة، إنما نشأت من أنهم كانوا يفهمون المادة على غير حقيقتها. فلو سألت أحدهم عن ماهية المادة لعجبوا من سؤالك، إذ كانوا يصورون المادة شيئاً لا يحتاج إلى تعريف. لقد كانت المادة في نظرهم هذه التي نراها ونلمسها فيما حولنا. إنهم كانوا في ذلك الحين قد توصلوا إلى نظرية الذرة. ونظريتهم تلك كانت مقتبسة من نظرية يونانية قديمة. ولم تكن إذن تختلف في جوهرها عما سماها العرب قديماً بنظرية "الجوهر الفرد".

وهذه النظرية تعد اليوم ساذجة ومؤداها أن المادة مؤلفة من ذرات أو جسيمات بلغت الغاية في الصغر. وماهية هذه الذرات في نظرهم لا تختلف عن أي قطعة مادية أخرى إلا في كونها صغيرة جداً لا تقبل التجربة أو القسمة.

لقد ظل العلماء جاهلين حقيقة المادة حتى عام ١٨٩٦م، إذ حدثت أول خطوة في سبيل استكشاف ما في داخل الذرة من خفايا مدهشة. حيث اكتشف العالم "هنري بكرين" نوعاً من الإشعاع ينبعث من أحد المركبات الكيميائية. ثم اهتدى الباحثون أخيراً إلى أن هذا "الجوهر الفرد" الذي كانوا يظنون أنه لا يتجزأ ولا ينقسم هو عبارة عن عالم آخر زاخر بالقوى الهائلة وهو مؤلف من أمواج كهربائية تدور على نسق غريب حول نواة كما تدور الكواكب حول الشمس.

يبدو أن العلماء اليوم متفقون على أن "المادة ليست مادة". فهذه المادة التي نلمسها بيدنا ما هي إلا وهم من أوهام الحواس، إنها أمواج كهربائية قد كوّرت في حيّز ضيق.

ويقول بعض العلماء: ليس هناك من فرق جوهري بين قطعة المادة التي نتناولها بأيدينا وشعاع الضوء الذي نلمحه بأبصارنا، كل منهما عبارة عن أمواج كهربائية، وأما الفرق الظاهري بين المادة والشعاع فهو ناشئ من كون أمواج المادة معبأة أو مجمدة حيث هي تدور في دوائر صغيرة داخل الذرة بينما أمواج الشعاع منطلقة في الفضاء إذ تسير فيه بسرعة قصوى.

لقد كان علماء القرن التاسع عشر لا يؤمنون إلا بما هو محسوس على اعتبار أن الحس هو المقياس الوحيد الذي يفرق بين الحق والباطن من الأمور والأشياء.

أما علماء العصر الحديث فهم يشكون من مقياس الحس حيث علموا بما وراء الحس من عالم خفي جبار مدهش لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق المعادلات الرياضية والفرضيات.

لقد جاء "بلانك" و"أينشتاين" بنظريات مدهشة عن طبيعة المادة. وهذه النظريات مناقضة في الواقع للأسس المنطقية التي نستند عليها في تفكيرنا. مما يدعونا إلى ابتداع "منطق جديد" غير ذلك "المنطق العتيق" الذي تعودنا أن ننظر من خلاله إلى الكون والحياة.

ومن الصدف المدهشة أنه في نفس الوقت الذي أخذ علماء الفيزياء والرياضيات يتغلغلون في أعماق المادة ويستشفون بعض أسرارها المدهشة، بدأ علماء آخرون يتغلغلون في أعماق النفس ويتطلعون إلى ما فيها من قوى نفسية خارقة.

منذ أعلن "ماكسويل" نظريته المعروفة حول طبيعة الضوء الكهربائية، أخذ الباحثون يكتشفون أمواجاً كهربائية جديدة. فقد اكتشف "هرتز" في سنة ١٨٨٣م الأمواج اللاسلكية، واكتشف "رونتجن" في سنة ١٨٩٥م الأشعة السينية. وفي سنة ١٩٠٠م اكتشفت "مدام كوري" عنصر الراديوم حيث اتضح أخيراً أنه يبث ثلاثة أنواع من الإشعاع. ثم اكتشف "مليكان" بعد ذلك الأمواج الكونية.

وقد أصبح العلماء اليوم يعتقدون بأن هذا الفضاء الذي نعيش فيه مملوء بأمواج غير متطورة يعجز العد عن إحصائها وهي تتراطم على أجسامنا في كل لحظة تمر علينا من غير أن نحس بها أو ندرك مبلغ أثرها على المجريات الحيوية والنفسية فينا.

واليوم أصبحت الأمواج هي الأصل في الكون بينما أصبحت المادة تعتبر عرضاً أو وهماً. وقد ضعفت الثقة من كفاية الحس البشرية الذي لا يطلع الإنسان إلا على سبعة سلالم من الأمواج فقط، إذ هو يعمى عن البقية الباقية الهائلة التي يصل عددها إلى مئات البلايين.

لقد حار العلماء حين اكتشف "ماكسويل" موجة الضوء وتساءلوا: كيف يستطيعون أن يفسروا سير هذه الأمواج الضوئية في الفراغ بين النجوم والكواكب. وقد افترضوا شيئاً وهمياً سموه بالأثير وملأوا به الفضاء. وجمعوا في هذا الأثير الموهوم ما استطاعوا من صفات متناقضة لكي يفسروا بذلك سير الضوء مسافات شاسعة من غير أن يفقد شيئاً من طاقته. فقالوا عن الأثير أنه ألطف من أي غاز معروف وأشد صلابة من الحديد، وأنه مرن لا يقاوم أي شيء يمر فيه. وهذا الأثير يشغل الفراغ بين الأجرام السماوية من ناحية والذرات المادية من ناحية أخرى.

لكن حينما جاء "أينشتاين" نسف فرضية الأثير من أساسها حيث يقول: إنه لا حاجة لنا أن نفترض فكرة الأثير في سبيل أن نفهم كيف تسير الأمواج الضوئية وغيرها في الفراغ.

فالفراغ نفسه قد أمسى في عرف "أينشتاين" شيئاً له كيانه وصفاته الخاصة به. فهذا الفراغ أو الفضاء الموجود بين الأجرام السماوية ليس فراغاً بالمعنى الذي نفهمه عادة من هذه الكلمة، إنه بالأحرى شيء حقيقي له وجوده الذاتي وفيه أربعة أبعاد: الطول والعرض والارتفاع والزمان. وقد سماه ألبرت أينشتاين بالزملكان أو متصل الزمان والمكان.

إذا أضفنا إلى ما تقدم النظرية القائلة بأن القوى النفسية تبعث أمواجاً من أنواع شتى، يمكننا أن نتصور هذا الكون المحيط بنا متزاحماً بالأمواج التي تؤثر في الأشخاص والأشياء على نسق لم يتصل العلم حتى الآن إلى معرفته معرفة تامة. ونحن اليوم لا يجوز لنا أن نتعصب إلى أي رأي من الآراء مهما بدا هذا الرأي قوياً أو مؤيداً بالبراهين العلمية. فالبراهين أمور تتغير بتغير الأزمان. والبرهان الذي نقبله اليوم ربما بدا لنا سخيفاً غير مقبول غداً.

إن القوى النفسية موجودة في جميع الناس تقريباً لكنها لا تظهر منهم على درجة واحدة. فأغلب الناس يملكون منها قسطاً ضئيلاً لا يكادون يحسون به في أنفسهم، وهم قد ينتفعون منها من حيث لا يشعرون.

وهذه القوى النفسية قد تظهر في غاية الوضوح لدى بعض النادرين من الناس فتجعلهم يأتون بالغرائب ويقومون بالخوارق المدهشة، ولا يخفى ما لعب هؤلاء في التاريخ من أدوار شتى. فمنهم ظهر عدد كبير من الأنبياء والقديسين والأولياء والمتصوفة والكهان والسحرة والعباقرة وغيرهم. وقد ذهب "برغسون" و"تونيبي" وغيرهما إلى أن الطفرات الحضارية قد قام بها في الغالب بعض هؤلاء النادرين.

وإن هذه القوى النفسية كغيرها من مواهب الإنسان يمكن استخدامها في سبيل الخير والشر معاً. وإن الفرق الذي نلاحظه بين بعض الناس وبعضهم الآخر بخصوص

القوى النفسية هو فرق بالدرجة لا بالنوع. كما أن التجارب المختبرية التي أجراها "داين" وغيره مع مئات الألوف من الأفراد دلت على أن كل فرد يملك في أعماق نفسه انبثاقات نفاذة مبدعة تفوق في مبلغ إدراكها للمغيبات نسبة الإصابة في الصدفة المحضة.

وفي الحقيقة أن القوى النفسية الخارقة لا تستطيع أن تصيب في حدسها دائماً وبصورة كاملة. فهي كغيرها من مواهب الإنسان ليست مطلقة إنما يعتريها النقص والزيادة والخلل والخطأ في كثير من الأحيان.

وهذه القوى النفسية في الحقيقة لا تأتي الفرد طوع إرادته، وهي قد تضعف أو تزول حين يريد الفرد أن يقويها في نفسه. إنها قوى لاشعورية تنبعث من أعماق العقل الباطن ولذا فهي قد يعرقلها التفكير ومستوى العقل الظاهر ويضعفها أيضاً. وقد نجد من كانوا يتحدثون بلباقة وفصاحة طبيعية ثم نراهم تشوهت لغتهم بعدما تعلموا النحو ومارسوا قواعده العويصة. كأن الملكات التي تنبعث من أعماق العقل الباطن "اللاشعور" تضعف إذا خالطها العقل الظاهر ووقعت في طريقها قواعد التفكير.

يمكن تشبيه عقل الإنسان بجبل الجليد الطافي في البحار القطبية لا يظهر منه إلا جزء صغير فوق سطح الماء أما الجزء الأكبر فقد انغمس في الماء لا يرى منه شيئاً. إن أغلب حركات الإنسان وسكناته يسيرها ذلك الجزء المنغمس من العقل. والإنسان يسير بوحي العقل الباطن أولاً ثم يأتي العقل الظاهر أخيراً لكي يبرّر ما فعل ويبهرجه ويطليه فيظهره أمام الناس بالمظهر المقبول واللائق.

إن العقل الباطن –أو اللاشعور– هو اصطلاح يراد به الإشارة إلى ما يحدث في داخل النفس من مجريات لا يشعر بها الفكر (العقل الظاهر) ولا تدخل في مجال الوعي والتأمل.

لقد كان المفكرون قبل "فرويد" متأثرين بالفلسفة القديمة التي كانت تؤمن بالعقل الظاهر كل الإيمان وتعتبره المسيطر الأكبر على جميع تصرفات الإنسان. فلم

يكن يخطر ببالهم أن هنالك في باطن النفس منطقة غير شعورية تعمل وتؤثر من غير أن يشعر بها الإنسان. ولذلك كانوا يفسرون كل حركة أو سكنة من سلوك الإنسان تفسيراً منطقياً مستنداً على الوعي الظاهر والتفكير. ففرويد ألقى قنبلته الهائلة قائلاً: للإنسان عقلين: ظاهر وباطن، وأن أغلب أعمال الإنسان مسيّرة بعوامل منبعثة من العقل الباطن الذي لا يشعر الإنسان به ولا يدري ماذا يحدث فيه.

يبدو اليوم أن عدداً كبيراً من الباحثين يميل إلى الأخذ بنظرية العقل الباطن رغم اختلافهم مع "فرويد" على محتويات العقل. فالمفكرين اليوم يميلون إلى موافقة "فرويد" على هيكل أو تكوين العقل الباطن ويخالفونه على طبيعة ما في داخل هذا الهيكل من محتويات ينتقدونه على تطرفه في التأكيد على العامل الجنسي. فلم يعد العقل الباطن في نظرهم مخزناً للرغبة الجنسية المكبوتة وحدها كما كان يتصور "فرويد". فالعقل الباطن يعتبر مخزناً لجميع الرغبات المكبوتة جنسية أم غير جنسية.

يبدو أن المنشغلين بحيث القوى النفسية الخارقة انقسموا إزاء نظرية العقل الباطن إلى جماعتين متضادتين: الجماعة التي تعتقد بروحية تلك القوى مالت إلى إنكار وجود العقل الباطن وأخذت تعتبر تلك القوى منبعثة من مصدر خارج النفس البشرية، أي أنها صادرة من روح الكون أو سرّه الخلاق.

أما الذين اعتبروا تلك القوى من خصائص الشخصية (النفس) البشرية فقد أخذوا يثبتون وجود العقل الباطن ويصرون على أنه المنبع الذي تنبثق تلك القوى منه. فالجماعة الأولى تتصور العقل البشري متجهاً في طبقاته (مستوياته) الخفية إلى الأعلى أي نحو ملكوته أو الروح، أما الجماعة الثانية فترى عكس ذلك وتعتقد بأن العقل متجهاً نحو الباطن حيث تغور طبقاته أو مستوياته في أعماق النفس. وقد قال أحد الحكماء قديماً: "من عرف نفسه فقد عرف ربه".

ويبدو أن أغلب الباحثين يميلون إلى الاعتقاد بوجود العقل الباطن وأنه مصدر القوى النفسية الخارقة. ومعنى ذلك أن العقل الباطن أصبح في نظرهم مجالاً لنوعين من القوى الخفية:

فهو مخزن للرغبات المكبوتة من جهة، وهو منبع للقوى الخارقة من الجهة الأخرى (نفس دنيا ونفس سامية Lower Self & Higher Self). إنه مكان للخير والشر معاً، إنه مكان للنفس (الروح) السامية وللشيطان معاً. فهو يدفع الإنسان في سبيل الخير والإبداع أحياناً، ويدفعه في سبيل الشر والاعتداء أحياناً أخرى. ففيه قطب سالب وقطب إيجابي. يقول "مابرز": "إن العقل الباطن يحتوي على "منجمَّ ذهب وكومة من الأقذار".

يجب على الإنسان أن يكون حذراً كل الحذر من حوافز عقله الباطن إذ لا يجوز له أن ينجرف بما توحي به إليه إنجرافاً تاماً. فكثيراً ما يخطر ببال الإنسان خاطر أو تلمع في ذهنه فكرة، وهو يقف عند ذلك حائراً لا يدري هل أن هذا الخاطر قد انبعث من قواه الكاشفة السامية أم من رغباته المكبوتة. إنه يحتاج في مثل هذه الحالة إلى مفتاح يحل هذا اللغز ويفرق له بين الصالح والطالح من حوافز اللاشعور (العقل الباطن).

إن الفرد الناضج قادر إلى حد ما أن يكشف ما في عقله الباطن من عقد ورغبات مكبوتة، وهو بعد مروره بتجارب متعددة عليه يستطيع أن يفرق، قليلاً أو كثيراً ما هو ضار وما هو نافع من حوافز نفسه.

حين عرض الحاكي الذي اخترعه "أديسون" لأول مرة في أكاديمية العلوم بباريس أعلن العلماء الحاضرون جميعاً أنه مستحيل حيث لا يمكن في زعمهم أن يسجل صوت الإنسان على إسطوانة من المعدن. وقد اتهموا حينذاك صاحب الحاكي بأنه يخفي تحت المنصدة رجلاً ينطق من حنجرته ليخدع الحاضرين.

وحين سمع البروفيسور "تيت" من جامعة "أدنبرة" عن اختراع التليفون قال: "إن كل ما في الأمر هو طنين، ذلك أن اختراع مثل هذا الشيء مستحيل فيزيائياً".

وعندما اكتشف "مسمر" طريقته المعروفة في التنويم المغناطيسي (التنويم الإيحائي) في أواخر القرن الثامن عشر ونبه الأذهان إلى أهمية الإيحاء في شفاء بعض الأمراض قابله العلماء بالسخرية والأذى.

ويبدو أن كل جديد في العلم يقابله المتعلمون وغير المتعلمين من الناس بالهزء والسخرية. والتاريخ مملوء بقصص العلماء والمخترعين والمكتشفين الذين قاسوا من الاضطهاد والحرق والاستهزاء والتحقير من جراء ما جاء به من جديد في خدمة التطور العلمي والإنساني.

إن المقياس الذي نقيس به ثقافة شخص ما هو مبلغ ما يتحمل من آراء غيره المخالفة لرأيه، فالمثقف الحقيقي يكاد لا يطمئن إلى صحة رأيه، ذلك لأن المعيار الذي يزن به صحة الآراء غير ثابت لديه، فهو يتغير من وقت لآخر. وكثيراً ما وجد نفسه مقتنعاً برأي معينٍ في يوم من الأيام لا يكاد يمضي عليه الزمن حتى تضعف قناعته بذلك الرأي، وقد تنقلب أحياناً ضده.

إن الإطار الفكري الذي ينظر الإنسان من خلاله إلى الكون والحياة مؤلف جزؤه الأكبر من المصطلحات والمألوفات والمفترضات التي يوحي بها المجتمع إليه، ويفرزها في أعماق عقله الباطن.

والإنسان متأثر بها من حيث لا يشعر. فهو حين ينظر إلى ما حوله لا يدرك أن نظرته مقيدة ومحدودة. وكل يقينه أنه حر في تفكيره. فهو لا يكاد يرى أحداً يخالفه في رأيه حتى يثور غاضباً ويتحفّز للاعتداء عليه. وهو عندما يعتدي على المخالف له بالرأي لا يعد ذلك شيئاً ولا ظلماً إذ هو يعتقد بأنه يجاهد في سبيل الحقيقة ويكافح ضد الباطل. فأغلب الحروب والاضطهادات التي شنها البشر بعضهم

على بعض في سبيل مذهب من المذاهب الدينية أو السياسية ناتجة عن وجود هذا الإطار الفكري اللاشعوري على عقل الإنسان.

ليس بسهولة يستطيع الإنسان أن يتخلص من إطاره الفكري. فهذا الإطار الفكري شيء كامن في اللاشعور في أعماق العقل الباطن. والإنسان لا يستطيع أن يتخلص من شيء لا يشعر به.

إن الباحث أو المبدع يمتاز عن الرجل العادي بكونه يعترف بإطاره الفكري، ولذا فهو أقدر على مواجهة الحقيقة والأفكار الجديدة من غيره.

يعتقد "وليم جيمس" بأن العقل البشري "جزئي ومتحيز بطبيعته"، وهو يرى أن العقل لا يستطيع على التفكير المثمر إلا إذا كان جزئياً في نظرته ومتحيّزاً في اتجاهه. ذلك لأن الحقيقة الخارجية في رأيه تحتوي على نواحي وتفاصيل متعددة. فإذا لم يركز العقل انتباهه على ناحية ويترك النواحي الأخرى يصعب عليه الوصول إلى فكرة عملية واضحة عنها. ويقول جيمس أن العقل لا يكون ذا مقدرة وكفاية إلا بتخيره ما ينتبه إليه، وبتركه ما عداه، أي بتضييقه وجهة نظره، وإلا توزعت قوته الضئيلة وضلّ في تفكيره. وكل امرء ينظر إلى الدنيا من خلال إطار (إطار) خاص به، ويلونها بلون ما في نفسه ويقيس الأمور حسب المقاييس التي نشأ عليها.

قد نجد إحدى الشخصيات التاريخية أصبحت في نظر بعض المؤرخين هامة جداً وفي نظر آخرين فاسقاً دنيئاً لا يستحق المدح والاهتمام. فكل مؤرخ حين يدرس الأخبار عن تلك الشخصية التاريخية يركز بؤرة نظره على جزء منها ويهمل الأجزاء الأخرى. وهو حين يمر على الأخبار التي تخالف وجهة نظرته يعتبرها مكذوبة ويتركها. فإذا سألته عن السبب في تركه لبعض الأخبار دون البعض الآخر قال: إنها غير معقولة. وهو يعني أنها خارجة عن إطاره الفكري. فالمقياس الذي يفرق به بين المعقول وغير المعقول، هو مقياس ذاتي ونسبي. ولكن بعض المؤرخين يعتبرونه مطلقاً وخالداً. ولذا تراهم لا يفهمون في دراسة الشخصيات التاريخية إلا تلك الناحية التي يميلون إليها ويريدونها.

منذ أيام الإغريق القدماء وقع اختلاف بين المفكرين حول موضوع الفكر البشري: هل الفكر هو الذي يخلق الحقيقة أم أنها هي التي تخلق الفكر؟ وقد انقسم المفكرون في هذا الموضوع إلى فريقين: فريق وهم الذين سمو أحياناً بالأفلاطونيين يقولون بأن العقل البشري ليس إلا مرآة للحقيقة حيث هو يعكس صورتها من غير تغيير أو تشويه. والفريق الآخر يرى بأن الحقيقة بنت العقل وأن ليس هناك حقيقة خارجة عنه، ومن هؤلاء ظهر السومسطائيون. ففي رأيهم أن الإنسان هو مقياس الحقيقة، وأنه هو الذي يخلقها برغبته وهواه ومصلحته، ولذا فالحقيقة تتغير من شخص إلى شخص ومن حضارة إلى أخرى. فما يكون صحيحاً في يوم قد يكون خطأ في يوم آخر، وما هو حق في رأي فريق ربما كان باطلاً في رأي آخرين.

في عصرنا الحاضر يعتبر كلا الفريقين على خطأ، فالمنطق الحديث لا يميل نحو فريق منهما دون الآخر، إذ هو يكاد الآن يحكم بأن الحقيقة ذاتية وموضوعية في آن واحد: أي أن الحقيقة، على هذا الاعتبار الحديث تخلق الفكر ويخلقها الفكر في نفس الوقت، فكل منهما سبب للآخر ونتيجة له أيضاً.

يرى "ماتهايم"، أن الحقيقة موجودة خارج العقل البشري، أي أنها ليست من خلق هذا العقل، ولكنها مع ذلك ذات أوجه متعددة. فالعقل ينظر للحقيقة لا يستطيع في الغالب أن يطلع إلا على وجه واحد منها، ولذا فهو لا يأخذ عنها صورة كاملة. وبعبارة أخرى: أن العقل يقتبس من الحقيقة الخارجية جزءاً ثم يضيف غليها من عنده جزءاً آخر ليكمل بذلك صورة الحقيقة كما يتخيلها. وهذا هو الذي جعل كل فرد منا يحمل معه حقيقته الخاصة كما يحمل حقيبته.

يمكن تشبيه الحقيقة بالهرم ذي الأوجه المتعددة إذ لا يرى الإنسان منه إلا وجهاً واحداً في آن واحد. وقد يرى أحدنا وجهاً معيناً من وجوه الهرم هذا اليوم ثم يتحول عنه إلى غيره غداً: وهو في كل يوم مغرور بما يرى متعصب له إذ يعتبر كل الناس ما عداه مخطئين.

يعتقد "ديوي" بأن العقل البري ليس مرآة للحقيقة كما كان الأقدمون يتصورون. إن العقل في نظره لم يخلق من أجل الحقيقة. ويقول "ديوي" "إن العقل أداة الحياة" إن العقل تطور في الإنسان لكي يساعده في كفاح الحياة وتنازع البقاء. فهو لا يفهم الحقيقة إلا بمقدار ما تنفعه في هذا السبيل. إن العقل مقيد بالرغبات المعاشة والاجتماعية والجنسية وغيرها.

قيل في أحد الأمثال: "غيّر معيشة الإنسان يتغير بذلك تفكيره". فالفقير الجائع يكاد لا يفهم الحقيقة إلا على شكل رغيف. أما المدلل المتخوم فتراه هائماً بالمثل العليا مثل الجمال الكامل أو الحق المطلق وغيرها.

قد يطلب المثالي من خصمه أن يفكر على أساس المنطق لكي يصل إلى الحقيقة، وهو يقصد حقيقته الخاصة التي تنفعه. فهو يريد من خصمه أن ينحاز إلى جانبه ويكون عوناً له على الحياة. أما خصمه فيناور ويراوغ لأنه هو نفسه يحمل حقيقته الخاصة به ويريد الانتصار لها.

دلّ التاريخ على أن كل دين، لا يكاد ينتشر حتى ينشق على نفسه، أي أنه لا يكاد ينتصر وينجح حتى تظهر فيه الفرق المتطاحنة والشيع المتنابذة. وكل فرقة تدعي أنها هي الأحق والأعدل وأنها وحدها الناجية من دون الفرق الأخرى. ونرى المؤرخين يعزون سبب التفرق في دين من الأديان إلى فلان أو فلان شخصيات التاريخ ثم يأخذون بذمه على اعتبار أنه قد فرق الأمة. والواقع أن التفرقة طبيعة من طبائع العقل البشري. والتفرقة لا تبدأ عادة إلا بعد النصر لأن نزاع المصالح يأخذ عند ذلك بالظهور للعيان. فالجماعة تكون في فترة الكفاح الأولى متكتلة لا اختلاف فيها لأن مصلحة الفرد ومصلحة المجموع تكون كذلك واحدة. أما حين يبدأ النصر وتنهال الغنائم، وحين يترف بضعة أفراد على حساب الآخرين، تجد غول التفرقة قد أخذ يكشر عن أنيابه.

العقل البشري ميال إلى جعل مصلحة صاحبه الخاصة والمصلحة العامة واحدة. فكل شيء ينفع صاحبه يصبح في نظره حقاً مطلقاً يجب أن يتبعه الناس جميعاً

يقال إن قضية الخلافة كانت المنبع الرئيسي لجميع أنواع الفرق الإسلامية. فالخلافة في أول أمرها عندما كانت زهداً وتقوى وخشونة كان الخلاف عليها ضعيفاً جداً يكاد لا يشعر به أحد. لكن حيث بدأ الترف يأخذ مأخذه فيها وصفت بها الأبهة وشاعت فيها شتى اللذات، تحرقت الأنفس وأخذت العقول تنشئ المذاهب والفرق الدينية في سبيل الظفر بها.

إن الإنسان لا بد له أحياناً في صنع إطاره الفكري أو في تغييره، فإطاره يتطور حسب نواميس خاصة به لا يستطيع هو أن يتحكم فيها إلا قليلاً. فالإطار الفكري لا شعوري والإنسان لا يستطيع التحكم في شيء لا يشعر به.

ما هي القيود التي تقيد عقل الإنسان في نظره إلى الحقيقة، أو ما هي العناصر التي يتألف منها إطار الإنسان الفكري؟

إن هناك ثلاثة أنواع من القيود موضوعة على عقل الإنسان عند تفكيره أو عند نظره في الأمور وهي:

١. القيود النفسية: فالإنسان يملك نفساً معقدة فيها كثير من الرغبات المكبوتة والعواطف المشبوهة والاتجاهات العميقة. ففكر الإنسان إذن مقيد بهذه القيود النفسية التي لا يجد عنها بديلاً إلا نادراً. والإنسان قد يدعي أنه يفكر تفكيراً حراً لا تحيز فيه ولا تعصب، وهو صادق أحياناً في ما يقول؛ لأنه لا يعلم ماذا يكمن في عقله الباطن من عقد وعواطف ونزوات خفية باطنة.

٢. فكر الإنسان مقيد بقيود اجتماعية أيضاً. فالإنسان ينتمي إلى جماعة أو طبقة أو بلد أو طائفة وغير ذلك. فهو يتعصب لجماعته في الحق والباطل كما كان عرب الجاهلية يفعلون حين قالوا: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً".

٣. العقل البشري له قيوده الحضارية، وهي القيود التي تشترك بها كل الجماعات في داخل حضارة معينة. فالبدو مثلاً لهم قيم ومثل وأهداف في الحياة عامة يؤمنون بها جميعاً رغم اختلافهم في تعصبهم القبلي أو الطبقي أو الاجتماعي. وهذه القيم

الحضارية تتغلغل في اللاشعور عميقاً إذ ينشأ عليها الفرد ويعتاد عليها حتى تصبح جزءاً من منطقه وأسلوب تفكيره وحياته.

إن المنطق الحديث لا يؤمن بالعدل المطلق أو بالحق المطلق. فليس في نظر هذا المنطق عدل يمكن أن يشمل الناس جميعاً. وكل من يدعو إلى الحق المطلق إنما هو يريد، من حيث يشعر أو لا يشعر، أن يخدع الناس أو أن يجذبهم لجانبه وجانب جماعته، فالحياة في الواقع هي نزاع بين المصالح المختلفة.

إن المنطق الحديث لا يعترف بوجود خير مطلق أو عدل مطلق. فكل إنسان ينظر إلى العدل أو الخير من ناحيته الخاصة من خلال إطاره الفكري.

أنت ترى فقط حالتك التي انت عليها:

كتب هنري ديفيد ثورو: "ما يفكر الإنسان بنفسه، ذلك ما يقرر أو بالأخرى يدلّ على مصيره. الـ"أنا EGO" الذات الكاذبة الوهمية السفلى، فقط تستطيع أن ترى حالتها التي هي عليها، من السلبية والوهم والكذب، مما يعمينا عن إدراك إمكانيات حياتنا الهائلة. إذا شعرت الـ"أنا" أنها غارقة ومتورطة فقط في الأشياء، فإنها تجد فقط عالماً غير مُحب. إذا كرهت يكرهها العالم. إذا كانت ضاربة إلى المرارة وساخرة، ستعرف فقط عالماً مريراً وساخراً. فنادراً وجود الرجل الحكيم الذي يدرك أن كل الإمكانيات صحيحة وخيرة حيث هو كائن. إنه يحتاج فقط إلى تغيير إدراكه وشعروه كي يرى تلك الإمكانيات الإيجابية الخيرة. فبتغيير الإطار أو المنظار الفكري يتغير الواقع. فالإنسان لا يخلق تلك الأوضاع الجديدة بتغيير أفكاره وإدراكه. إنه فقط يصبح مدركاً أنها موجودة هناك؛ إنها وجدت في كل الأوقات.

إنه هذا القانون الروحاني والسيكولوجي، "إن كل تغيير يجب أن يقع أولاً في الواقع قبل أن يتمكن إدراكه في العالم الخارجي" كما يعطي إمكانياته المثيرة. كل منا يستطيع عمل تغيير في قراره الفكري، ومن ثم يغير وعيه وبذلك يغير حياته. هذا لا يعني القول، كمثال، أنك بمعجزة ما يوماً لا تستطيع أن تفهم حساب التفاضل

والتكامل العالي وفي اليوم الثاني تفهمه ببساطة لأنك قررت فهمه وأنك تزيل الحواجز التي تمنع فهم هذا الحساب. ربما كان من الضروري أولاً تعلم وفهم الحساب، والجبر، والهندسة، وأيضاً عدداً من الأدوات المشابهة، لكن إذا كان قرارك قطعياً ستجد نفسك ذات يوم أنك تفهم حساب التفاضل والتكامل (Calculus). فبذور جميع الإمكانيات موجودة داخلك. لا يوجد شيء كبير جداً. هائل، لا تحلم به، لا تطمح لتحقيقه، وفي الوقت المناسب ينمو إلى تصوّر أحلامك وخيالاتك الخلاقة.

غيّر قناعاتك السلبية إلى إيجابية

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[الرعد:١١].

كل عمل شخصي مهم تحققه يبدأ بتغيير في قناعاتك. فكيف يمكنك أن تغير قناعة لك؟ إن أكثر الأساليب تأثيراً هو أن يربط ذهنك قناعتك القديمة بألم شديد. عليك أن تشعر في أعمق أعماقك بأن هذه القناعة لم تسبب لك ألماً في الماضي فحسب، بل في الحاضر أيضاً، وقد تسبب لك الألم في المستقبل. وينبغي بعد ذلك أن تربط الغبطة الهائلة بفكرة تبني قناعة جديدة تمنحك القوة والقدرة. تذكر أن كل شيء نفعله في حياتنا إنما نفعله نظراً لحاجتنا لأن نتجنب الألم أو رغبة منا في تحقيق المتعة. وإذا ما ربطنا قدراً كافياً من الألم بأي شيء فلا بد لنا من أن نتغير. والسبب الوحيد الذي يحملنا على الاقتناع بشيء ما هو أننا نربط الألم الشديد بعدم قناعتنا به أو المتعة الشديدة بإبقاء هذه القناعة حية لدينا.

إغرس الشك، إذا كنت صادقاً مع نفسك ألا تعترف بأن هنالك قناعات كنت تدافع عنها بكل قوة قبل سنوات، فسيحرجك أن تعترف بها الآن؟ ماذا حدث؟ إن شيئاً ما دفعك إلى الشك: ربما كان ذلك تجربة جديدة قد تدفعك للتساؤل وتزعزع أنماط اليقين بما كنت تعتقده من قبل مما يدفعك للبدء بتغيير المرجعيات التي تسند قناعاتك.

لكن التجارب الجديدة لا تضمن تغيير القناعات. فقد يواجه بعض الناس تجارب معاكسه تماماً لقناعاتهم ولكنهم يعيدون تفسيرها بالطريقة التي تناسبهم والتي يريدونها لكي يدعموا معتقداتهم القائمة.

إن التجارب الجديدة تحدث تغييراً إن أدت إلى تساؤل حول قناعاتنا. يبدو أننا حين نقتنع بشيء ما فإننا لا نخضع لأي تساؤل على الإطلاق. وفي اللحظة التي نبدأ فيها بالتساؤل بصدق حول قناعاتنا فإننا بذلك لا نشعر باليقين الكامل بها، بل نأخذ في هز مرجعيتنا الإدراكية وبذلك نفقد شيئاً فشيئاً إحساسنا باليقين المطلق. إن الأسئلة قد تمنحك قوة هائلة إن استخدمتها لاختبار صحة قناعات ربما كنا قد تقبلناها بصورة عمياء وبدون تمحيص. وفي الواقع فإن الكثير من قناعاتنا يستند على معلومات تلقيناها من آخرين ولم نحاول التساؤل حولها في ذلك الوقت. غير أننا إذا فحصناها فقد يتبين لنا أن ما اقتنعنا به في اللاوعي (العقل الباطن) لسنوات إنما بني على مجموعة زائفة من الافتراضات.

ربما نستطيع أن نقسّم القناعات لثلاثة أنماط هي: الآراء، والقناعات، والمعتقدات.

الرأي –أمر نشعر نسبياً باليقين به، غير أن هذا اليقين يبقى مؤقتاً. إذ إن من الممكن له أن يتغير بسهولة. فالآراء قابلة للتحول، وهي تبنى عادة على مرجعيات قليلة يركز عليها المرء في لحظة ما من لحظات حياته.

القناعة – تتكون حين نبدأ في تطوير المزيد من المرجعيات المساندة، خاصة المرجعيات التي تسندها عاطفة جياشة. وهذه المرجعيات تعطينا شعوراً شديداً باليقين بشيء ما. وهذه المرجعيات قد تكون بأشكال متنوعة بحيث تشمل تجاربنا الشخصية والمعلومات التي استيقناها من مصادر أخرى، بل وحتى أشياء تخيلناها وتصوّرناها بشفافية.

العقيدة – تتغلب على القناعة، وذلك لأن الناس يربطون فكرة ما بقوة عاطفية جديدة. فالشخص الذي يحمل عقدية لا يكتفي بالإحساس باليقين بها بل يغضب إذا وضعت هذه العقيدة موضع التساؤل، وهو لا يقبل أن توضع مرجعياته موضع التساؤل ولو للحظة واحدة. فالمتعصبون على مدى التاريخ يتمسكون بما يعتقدون به إلى حد الهوس بحيث إنهم يبدون إستعداداً للقتل دفاعاً عن قناعاتهم.

التحسين المستمر (Kaizen)

من أقوال "بوذا": "نحن ما نفكر فيه"، فكل ما فينا ينبع من أفكارنا وبأفكارنا نصنع عالمنا. في برنامجه Living Health تناول أنتوني روبنز العلاقة المباشرة بين ارتفاع نسبة البروتين الحيواني في النظام الغذائي بالولايات المتحدة وبين النسبة الكبيرة من الإصابة بالمرضين القاتلين الرئيسيين في الولايات المتحدة وهما أمراض القلب والسرطان. وبذلك كان يعارض أحد أنظمة القناعات التي شكلت إلى حد كبير مصائر البشر البدنية خلال السنوات الخمس والأربعين الماضية: وهي القناعات المتعلقة "بمجموعات الطعام الأربع" التي تنصح بتناول حصص كبيرة من اللحوم أو الدجاج أو الأسماك. غير أن العلماء قد توصلوا إلى قناعات لا يشوبها الشك حول وجود علاقة مباشرة بين تناول البروتينات الحيوانية والتعرض لخطر الإصابة بداء في القلب أو داء السرطان. والحكومة الأمريكية تنظر في تبديل برنامج مجموعات الطعام الأربع وتحويلها إلى ست مجموعات بحيث تحتل اللحوم أو الدجاج أو الأسماك جزءاً يسيراً من أنظمة الطعام. وهذا التحول في القناعات أثار غضباً شديداً في العديد من الأوساط، وربما أن هذا هو نفس النمط مما شهدناه عبر التاريخ وهو يسير على النحو التالي:

يقول الفيلسوف الألماني شوبنهور كل حقيقة تمر بثلاث مراحل:

١ . تكون موضع سخرية.

٢ . تتم معارضتها بعنف.

٣ . في النهاية يتم تقبلها على أنها واضحة ولا تحتاج لدليل.

فهذه الآراء حول البروتين الحيواني كانت موضع سخرية، أما الآن فهي محل معارضة عنيفة. غير انه سيتم تقبلها في النهاية.

القناعة الأساسية لكل القرارات التي تتخذها الشركات اليابانية الكبرى متعددة الجنسيات، وهي الشركات الرئيسية الناجحة في اليابان، هي ببساطة التزام مستمر ودائم برفع نوعية أعمالهم في كل يوم من الأيام، باعتباره العنصر الذي يضمن لهم السيطرة على أسواق العالم والنجاح.

لماذا تضع الشركة اليابانية منتجاتها في مستوى أعلى من النوعية التي ينص عليها العقد مع عملائها؟ كانت قناعتها أن تكلفة النوعية أقل، وأنهم إذا صنعوا منتجات من نوعية عالية فإنهم لن يرضوا العملاء فحسب، بل سيتمسك عملاؤهم بهم، أي أن هؤلاء العملاء يرضون أن ينتظروا ويدفعوا ثمناً أعلى. لقد كانوا يعملون من نفس المنطلق لدى رفعهم أساساً إلى أعلى قمة في السوق العالمي: التزام بتحسين مستمر لإنتاجهم وزيادة مستمرة في نوعية الحياة لعملائهم.

إن القناعات التي نحملها فيما يتعلق بممارسة الأعمال وفي الحياة تتحكم في كل قراراتنا، وبالتالي في مستقبلنا، وإحدى أهم القناعات الشاملة التي يمكنك، كما يمكنني تبنيها هي القناعة بأن علينا لكي ننجح ونكون سعيدين، أن نحسّن باستمرار نوعية حياتنا وأن ننمو ونتوسع باستمرار.

إن مستوى النجاح الذي نحققه في الحياة يتناسب بصورة مباشرة مع مستوى التزامنا بمبدأ "التحسين المستمر اللانهائي". وهذا المبدأ لا يتعلق بالعمل فقط، بل بكل سمة من سمات حياتنا. وربما علينا أن نتحدث عن "تحديث مستمر لا نهائي" في أعمالنا، في علاقاتنا الشخصية، في علاقاتنا الروحية، فيما يتعلق بصحبتنا وأمورنا المالية، كيف يمكننا أن نحدث تحسيناً مستمراً لا نهائياً في كل هذه الميادين؟ كل هذا يجعل من الحياة مغامرة نتطلع فيها دائماً إلى المستوى التالي.

إن الأمان الوحيد في الحياة ينبع من معرفتك أنك تستحدث تحسينات على نفسك بطريقة ما في كل يوم من الأيام، أنك تزيد من قدراتك الذاتية، وأنك إنسان له قيمته بالنسبة لعمله، وأصدقائه وعائلته. لن أعاني من القلق إزاء الحفاظ على نوعية حياتي، لأني أعمل وأجتهد لتحسينها يوماً بعد يوم. إذ إنني أجاهد باستمرار لكي أتعلم وأعزز من قدرتي على تمييز طريقتي في تعزيز قيم الحياة لدى الآخرين. وهذا يمنحني إحساساً بالثقة واليقين بأني سأتعلم وأتوسع، وأني سأتطور باستمرار.

إن مفتاح النجاح هو تنمية الشعور بالثقة –تلك القناعة التي تسمح لك بأن تتوسع كشخص وأن تقوم بالعمل اللازم لكي تجعل حياتك وحياة من يحيطون بك أكثر عظمة. قد تعتقد أن شيئاً ما صحيح الآن. غير أن عليك وعليَّ أن نتذكر أننا

ننمو بمرور السنين ونتعرض لتجارب جديدة. وقد نكتسب قناعات تمنحنا قوة أكبر ونتخلى عن أمور كنا نشعر أنها مؤكدة من قبل. عليك أن تدرك بأن قناعاتك قد تتغير بتجميع المزيد من المرجعيات المساندة. المهم في الأمر هو فيما إذا كانت القناعات التي تحملها الآن تمنحك القوة أم تسلبك القوة. ابدأ منذ اليوم باكتساب عادة التركيز على النتائج الناجمة عن قناعاتك. فهل هي تكبح جماحك وتجرك إلى الخلف، أم هي تعزز من قواعد بحثك على التحرك في اتجاه الفعل لتحقيق ما ترغب فيه. ومن الأقوال المأثورة: "كما يفكر المرء في أعماق قلبه، هكذا يكون".

حدّد أهدافك والتزم بالامتياز في عملك

"هناك شيئان تصوب عليهما في هذه الحياة: الأول: أن تحصل على ما تريد، والثاني: أن تتمتع به"

لوجان بيرسيل سميث.

يبدو أن النجاح الوحيد في الحياة هو أن تستطيع أن تحيا حياتك بالطريقة التي تريدها، ويقول "فينس لومباردي": "تتمدد جودة حياة المرء بمدى عمق التزامه بالتفوق، بصرف النظر عن المجال الذي اختاره للعمل به".

إن تحقيق النجاح أو الفشل في حياتك يتوقف على الاعتقاد بأحدهما. فسواء كنت تعتقد بقدرتك أو عدم قدرتك على تحقيق شيء ما، فأنت على حق. حتى لو كنت تملك المهارات والإمكانات التي تساعدك على تحقيق شيء ما، وقلت لنفسك إنك لن تستطيع تحقيق هدف ما، فإنك بهذا تغلق جميع السبل التي تجعل تحقيق هذا الهدف ممكن وإذا قلت لنفسك إنك تستطيع تحقيق هدف ما، فإن بذلك تفتح كل الطرق التي تمدك بوسائل تحقيق هذا الهدف.

وإن الوصفة المثلى لتحقيق أقصى نجاح تريده هي: في البداية، حدد النتائج أو الأهداف التي تبغي الوصول إليها، وقم بتنمية إحساسك بما يتحقق، ثم زِدْ مرونتك في تغيير سلوكياتك حتى تجد أفضلها، وثق أنك ستتوصل إلى النتائج أو الأهداف المحددة.

يبدو أن أجسامنا وعقولنا وحالاتنا النفسية كشوكة رنانة في تآلف مع المستويات المرتفعة من الوجود. لذا، فكلما كنت أكثر تناغماً، وأكثر توافقاً، فمثلما تأتي إلينا المعلومات من اللاوعي (العقل الباطن)، يمكنها أن تأتي إلينا من خارج أنفسنا لو كنا في حالة استعداد لتقبل هذه المعلومات.

عند معرفتك ماذا تريد ، يقوم العقل الباطن (اللاوعي) بإعطاء المعلومات بشكل متواصل بالطريقة التي تحركنا في الاتجاهات والتوجهات المعينة. وحتى على مستوى العقل الباطن (اللاوعي)، فإن العقل الباطن يحرف ويحذف ويعمم. لذا فقبل أن يعمل العقل بفاعلية، علينا أن ننمي إحساسنا وتصورنا للنتائج التي نتوقع الوصول إليها . ويسمي د . ساكسويل مولتز هذه العملية بـ"الانضباط النفسي" في كتابه الذي يحمل هذا الاسم. فعندما يكون العقل هدف محدد ، فإنه يركز عليه حتى يتحقق. أما إذا لم يكن لديه هدف محدد ، فإن طاقته تتشتت. ويكون مثل الشخص الذي يملك أكبر منشار ولا يعرف لماذا يقف في وسط الغابة. فالاختلاف في قدرات الناس على الخوض والاستقاء من مصادرهم الشخصية يتأثر بشكل مباشر بتوجهاتهم وأهدافهم التي يجدونها .

كيف تصنع في ذهنك، ما تريد وكيف تحصل عليه:

إنك عندما تعرف أهدافك المحددة ونتائجك، فإنك بذلك تعطي عقلك صورة واضحة عن نوعية المعلومات التي يستقبلها من الجهاز العصبي. وإنك تعطيه الرسائل الواضحة التي يحتاجها لكي يصبح مؤثراً وفاعلاً. فالتفوق والتميّز والنجاح يبدأ مع البداية. ولا يمكنك التصويب تجاه هدف أو غاية ما إذا لم تكن تعرف أين هو الهدف بالضبط.

عليك أن تحلم. ولكن من الضروري جداً أن تحلم بطريقة مركزة. ولا تضع حدوداً أو قيوداً على ما يمكن تحقيقه. وهذا بالطبع لا يعني تخليك عن ذكائك وإحساسك وملكاتك الأخرى. فليس هناك حدود للنتائج المتاحة لك. فكن منفتحاً فكل ما تحتاج إليه هو تقديرك لما تريد . ومن المستحسن أن تتبع بعض القواعد الهامة في صياغة أهدافك ومنها :

- قم بصياغة هدفك بكلمات واضحة، وحدد ما تريد . فغالباً ما يذكر الناس ما لا يريدون فعلاً حدوثه.
- عليك أن تكون دقيقاً بقدر الإمكان، ضع مواصفات الهدف الذي تريده. فكلما كانت مواصفاتك دقيقة، كلما استطاع عقلك تحقيق رغباتك. وتأكد من وضع تاريخ محدد لإتمام وتحقيق أهدافك.

- لتكن إجراءاتك وأفعالك واضحة، واعرف ماذا سيكون شعورك مستقبلاً، وكيف ستبدو، وماذا سترى وتسمع في العالم الخارجي عندما تحقق أهدافك.

ينبغي أن تبدأ أهدافك وتبقى بيدك أنت. لا تدع تحقيقها يتوقف على آخرين، يغيرون من أنفسهم من أجلك.

- أثبت أن أهدافك سليمة ومقبولة، ومفيدة لك وللآخرين.

إن معرفتك لما تريد تحدد بشكل كبير النتائج التي ستتوصل إلى تحقيقها. وقبل أن يحدث أي تغيير في حياتك، لا بد أن يحدث أولاً في داخلك في عقلك الباطن (اللاوعي). وهناك شيء آخر مدهش بشأن ما يحدث عندما تصل إلى تفسير داخلي واضح في عقلك الباطن لما تريد، فإن عقلك الباطن وجسمك يتم برمجتها لتحقيق هذا الهدف. وهكذا، لكي نتخطى حدودنا الحالية ينبغي أولاً أن نتخطى هذه الحدود داخل عقولنا. ومن ثم، فإن حياتنا سوف تتغير، ولذا، ينبغي معرفتك أهدافك الحقيقية.

- اكتب قائمة بالمصادر المهمة التي تملكها بالفعل، ويمكن أن تعمل (لصالحك)، كالصفات الشخصية، الأصدقاء، المصادر المالية، التعليم، الثقافة، الوقت، الطاقة ... الخ. وحاول أن تستخرج القوى والمهارات والمصادر والأدوات التي تمتلكها.

- فكر في المرات التي استخدمت فيها هذه المصادر بمهارة تذكر المرات التي أديت فيها مهمات ناجحة سواء في شؤون العمل أو المال أو العلاقات الشخصية والاجتماعية. اكتب ما فعلته حتى نجحت في هذه المهمات، وما هي المصادر والصفات التي قمت باستغلالها أحسن استغلال. وما الذي جعلك تشعر بالنجاح.

- حدد المواصفات الشخصية التي لا بد أن تملكها حتى تحقق هذه الأهداف التي وضعتها.

إن أهم شيء يحدد لنا في النهاية نجاحنا أو فشلنا في تحقيق أهدافنا، هو تصرفاتنا. ولكي نتصرف بوعي، ينبغي أن نضع خطتنا خطوة خطوة. فلكي تبني بيتاً، فإنك تحتاج إلى رسم تخطيط، وتحتاج إلى ترتيب ونظام كي تكمل إجراءاتك ومن ثم تقوم بالبناء.

ما هي أسلم طريقة لتحقيق التفوق؟ إن أسلم طريقة لتحقيق التفوق هي تقليد شخص يكون قد حقق ما تتطلع أنت إلى تحقيقه، لذا، عليك أن تختار بعض النماذج، يمكن أن تكون هذه النماذج أشخاصاً في حياتك، أو أشخاصاً حققوا نجاحات عظيمة. اكتب أسماء بعضهم، ثم حدد في عبارات بسيطة الصفات والسلوكيات التي تميزوا بها وجعلتهم ناجحين.

لا شك أن لديك صورة داخلية لما تود أن تكون عليه، يمكن توفير الوقت والجهد وتتجنب ضياع مجهودك في أساليب وطرق خاطئة بإتباعك نموذجاً من الناس قد حقق نجاحاً من قبل. تذكر أن الأهداف مثل المغناطيس تجذب كل الأشياء التي تساعد على تحقيقها.

إذا لم يكن لديك تصور واضح لما تريد أن تكونه، فكيف تكون لديك فرصة لتحقق هذا التصور؟ وإذا لم تكن تعي الجو والبيئة الملائمة التي تحتاج إليها، فكيف يمكنك صنعها؟ كيف تستطيع أن تصيب هدفاً إذا لم تكن تعرف هذا الهدف؟ إن عقلك لديه القوة لإعطائك كل شيء تريده، ولكن لا يفعل ذلك إلا إذا كان كل شيء أمامه واضحاً. فأنت لا يمكنك تحقيق هدفك إذا لم تكن تعرف ما هو هذا الهدف بالضبط.

من المهم أن تراجع نتائجك بشكل منتظم. فأحياناً نحن نتغير، ولكن تظل أهدافنا كما هي لأننا لا نحاول أن نعرف ما إذا كنا لا نزال نريد تحقيق نفس هذه الأهداف أم نريد غيرها. لذلك، راجع نتائجك وأهدافك كل عدة أشهر بشكل منتظم. ومن المستحسن أن تحتفظ بدفتر تسجل فيه أهدافك في أي فترة من حياتك.

إن نقطة الانطلاق نحو الإنجاز الكبير تتمثل في تحررك من القيود العقلية التي تعيقك عن التقدم إلى الأمام. فاحلم بأحلام كبرى، وتحديد أهداف كبرى يشكلان نقطة الانطلاق للتفكير، والرؤية والشعور بنفسك كشخص قادر على تحقيق ما هو أكثر بكثير مما حققته قبل ذلك من أهداف. وبدرجة كبيرة، تتحدد طريقة تفكيرك بنفسك وشعورك بشأنها بحسب مدى فعالية ما تشعر به حيال ما تفعله من أمور مهمة، وخاصة فيما يتعلق بعملك أو بمسارك المهني. فمن غير الممكن أن تشعر بالسعادة والثقة بالنفس، إذا كنت غير فعال في مناحي حياتك التي تعتبر ذات أهمية حيوية بالنسبة لشخصيتك. فإحدى

أقوى الطرق لتغيير تفكيرك بشأن نفسك هي أن تلتزم بالتفوق. أي أن تلتزم وتتخذ القرارات الآن، بأن نكون أفضل. حيث أن فعل التفكير في حد ذاته في إمكانية أن نتفوق ونتميز في ما تفعله من شأنه أن يغير حالتك العقلية، وأن يحسن من شخصيتك، كما أنه يجعل منك شخصاً أسعد، ويزيد من تقديرك لذاتك إنك بذلك تحب ذاتك وتحترمها بدرجة أكبر، فقط باتخاذك قرار بأن تكون الأفضل.

الطموح:

لعل أهم السمات التي يتحلى بها الأشخاص الأعلى إنجازاً هي الطموح. إنهم ينظرون إلى أنفسهم، ويفكرون بها، ويتعاملون مع أنفسهم كل يوم كما لو أنهم بين النخبة في مجالاتهم. ويحددون لأنفسهم أهدافاً سامية، ويعملون على الدوام لتجاوز تلك الأهداف.

ويعتبر كل من تقدير الذات وفاعليتها وجهين لنفس العملة وهي الشخصية. ويمكن لك أن تحب ذاتك وتحترمها فقط عندما تعرف وتؤمن أنك تجيد ما تقوم به حقاً. فإحساس الإتقان الشخصي أساسي بشكل كبير لشخصية إنسانية تتحلى بالصحة. فكل شيء تنجزه بطريقة فائقة يرفع من تقديرك لذاتك ويحسن من شعورك حيال نفسك.

ميزة الفوز:

إن أحد أهم مبادئ النجاح على الإطلاق هو مفهوم "ميزة الفوز" وهذا المفهوم يقدم تفسيراً للنجاح والفشل. وينص هذا المبدأ على أن: **"الاختلافات الصغيرة في الكفاءة بوسعها أن تؤدي إلى اختلافات هائلة في الإنتاج"**. إذ يبدو أن أهل القمة في كل مجال عادة لا يتميزون إلا بفارق طفيف عن المتوسط فيما يقومون به من أمور حاسمة.

ولكن أن ما تتميز ولو بفارق طفيف في نواحي المهارات الأساسية على نحو ثابت ينتهي بك إلى مراكمة فارق هائل على مستوى النتائج.

إن كل ما تحتاج إليه هو أن تكون أفضل قليلاً جداً بدرجة ثلاثة بالمائة فقط من كل ناحية أساسية من نواحي عملك أو وظيفتك من أجل اكتساب ميزة الفوز والتفوق. وهذه الميزة البسيطة تتيح لك أن تتحرك قدماً في سباق الحياة. وما إن تتقدم قليلاً حتى تستطيع أن تحافظ على هذه المساحة من التقدم عن الآخرين، وأن تزيدها عن طريق التحسين التدريجي المستمر للذات. ويمكن أن تواصل التحسن والتقدم عن طريق التعلم والتمرن. وبهذه الوسيلة البسيطة الفعالة، سرعان ما تندرج في نسبة العشرة بالمائة من شاغلي القمة أو التقدم والنجاح، وحتى قد تندرج ضمن نسبة الخمسة بالمائة لأفضل الأشخاص في مجالك.

المهارات الأساسية وتحديها:

إن النجاح في أي عمل أو وظيفة يقتضي مستوى الحد الأدنى من الأداء في واحدة، أو أكثر من المهام والاختصاصات. وتلك المهام هي النواحي الأساسية للنتائج الخاصة بالرتبة الوظيفية. وهي تلك المهام التي يتوجب عليك القيام بها بشكل مطلق وإيجابي. ويجب أن تقوم بها على خير وجه لكي تكون ناجحاً في وظيفتك على وجه العموم. ومهمتك هي تحديد النواحي الأساسية، ثم رسم خطة لتحسين كل منها.

يمكن تعريف كل وظيفة أو عمل أو نتيجة مطلوبة وفقاً للمهارات الأساسية الضرورية لإنجازها. على سبيل المثال هناك سبع نواحي أساسية في عملية "البيع"، وضعف أي ناحية منها من شأنه أن يعيقك عن تحقيق مبيعات بالقدر الذي تبغيه. وهذه النواحي الأساسية هي:

- التوقع.
- تأسيس مبادئ الثقة والوفاق.
- تحديد مشكلة العميل أو احتياجاته.
- عرض السلعة أو الخدمة كحل مثالي للمشكلة.
- الجواب على الاعتراضات وأوجه القلق.
- الوصول إلى نقطة اتفاق من أجل التقدم للأمام.

- الحصول على اتفاق لإعادة البيع، أو التوجه لعميل محتمل آخر.

إذا كان أداؤك حسناً في هذه النواحي جميعها، فسرعان ما تصعد وتتربع على قمة مجالك. أما إذا كان أداؤك ضعيفاً في أية ناحية سيتحدد دخلك بأدائك في هذه الناحية.

مهارات الإدارة الرئيسية:

- التخطيط.
- التنظيم.
- اختيار الأشخاص المناسبين.
- التفويض.
- الإشراف.
- القياس.
- إعداد التقارير.

إذا كنت متفوقاً في كل مهارة أساسية عدا واحدة فقط من المهارات المذكورة، فإن نقطة الضعف الوحيدة هذه سوف تعيقك في مسارك المهني كمدير.

هناك أربعة عوامل حاسمة للنجاح تحدد مدى صحتك البدنية، وهي:

١. الغذاء السليم المتوازن.
٢. الوزن السليم.
٣. التمرينات البدنية السليمة.
٤. الراحة الجسمية والنفسية.

يكاد يكون من الممكن الكشف عن جذور جميع مشكلاتك الصحية لتجد أصلها متعلقاً بمشكلة، أو قصور في إحدى تلك النواحي المذكورة الأربعة.

أنت تحدد دخلك:

إذا لم تكن سعيداً بأي جانب من جوانب عملك أو حياتك، فالأمر يتوقف عليك لكي تغيره. قال أحد رجال الاقتصاد ذات مرة: "إياك والشكوى، إياك واختلاق الأعذار". إذا وجدت ناحية من نواحي حياتك العملية أو الشخصية لا تحوز رضاك، فلا تضع الوقت في الشكوى بصددها. وبدلاً من ذلك، قم وتحرك. وافعل كما عبر عن ذلك "هاملت" في مسرحية "شكسبير": "قد جيوشك نحو بحر المشكلات والمتاعب، ثم أقض عليها بالمواجهة".

تصور نفسك كرئيس شركتك الخاصة للخدمات الشخصية، حيث ينبغي أن تحمل المسئولية الكاملة عن كل ما أنت عليه، وكل ما ستكونه في المستقبل القريب. تخيل فقط، إنك ما أنت عليه الآن في موضعك الحالي هو كنتيجة لما اتخذته من قرارات سابقة لأن تكون هناك. وإن كل ما ستنجزه في حياتك سيتحدد بدرجة كبيرة بالأفعال التي قمت بها. أو أخفقت من القيام بها. إنك المسئول. إنك من يمسك بزمام الأمور. وإنك المتحكم. أنت رئيس نفسك. وليس من حدود أمامك عدا تلك الحدود التي تسمح للعالم الخارجي بوضعها أمامك.

غرض التخطيط الاستراتيجي:

حين تفكر وتتصور نفسك باعتبارك شركة خدمات شخصية، فإنك تفضل نفسك على أولئك الأشخاص الذين يعتقدون أنهم يعملون الصالح شخص آخر. فحين تضطلع بمسئولية مسارك المهني، تبدأ في التفكير بالتخطيط الاستراتيجي الشخصي، مثل مشروع تجاري كبير. وتبدأ في وضع خطط للمدى البعيد.

إن التخطيط الشخصي وتخطيط الشركة متشابهاً تماماً. والغرض من التخطيط الاستراتيجي في مشروع تجاري هو تحقيق أعلى عائد ربحية مستثمر في هذا المشروع. كما أن جميع الخطط الاستراتيجية تستهدف تنظيم الموارد، والنشاطات الخاصة بالشركة على النحو الذي يحقق أعلى نسبة من العائد المالي على مواردها، وأعلى مما سبق تحقيقه. ويهدف التخطيط الاستراتيجي إلى زيادة نسبة الناتج إلى

المستثمر (المدخلات). كما أن كل الممارسات الإدارية، الشائعة اليوم، مثل إعادة الهيكلة، وإعادة التنظيم، وإعادة الابتكار، تستهدف تحسين الاستغلال بحيث تجني الشركة أو المؤسسة المزيد من المال.

يركز التخطيط الاستراتيجي الشخصي على تنظيم، وإعادة تنظيم حياتك، وإعادة هيكلة نشاطاتك، من أجل رفع النوعية والمقدار لما تحصل عليه من عوائد لاستثمار ساعات أيام حياتك أو عوائد طاقتك المصروفة فيما تقوم به من عمل. وتأتي الثمار المالية كنتيجة لأداء وظيفة ما أو عمل ما، أو إنتاج بضائع وخدمات ذات قيمة، ويوجد من يستعد للدفع في مقابلها. فإذا أردت أن تزيد من مقدار ما تحصد، ينبغي أن تضع خطة لتزيد مقدار ما تزرع.

مجال التفوق والامتياز:

إن "الميزة التنافسية"، أو "منطقة التفوق"، هي العامل الحاسم الذي يحدد نجاح أو فشل أي شركة. وتبزغ كل شركة للوجود وتستمر، لأنها تحوذ على إمكانية فريدة لتقديم شيء ما للسوق يعتبر أفضل من ناحية أو أخرى من أي شيء آخر يعرضه المنافسون. وإنها تبقى في السوق أو في مجال الأعمال بمقدار ما تستمر في إرضاء عملائها في منطقة محددة أفضل من أي شخص آخر.

يحدد عرض البيع الفريد أو الميزة التنافسية للشركة معدل نموها، ومستوى مبيعاتها وربحيتها، وحتى استمراريتها نفسها. والشركات التي تفتقر لميزة تنافسية سرعان ما تختفي من السوق، ليحل محلها شركات أخرى لها مزايا تنافسية واضحة وصريحة ومميزة. بحيث يمكن للعميل أن يدفع في مقابلها.

كما يتوجب على رئيس إحدى الشركات أن يضع ميزة تنافسية ذات شأن ويحافظ عليها، يتوجب عليك أنت أيضاً. فينبغي عليك اكتساب مجال "تفرد". لا بدّ أن تكون متفوقاً بشكل مطلق فيما تقوم به من عمل، بحيث تستطيع الارتقاء لقمة مجالك. وخياراتك وقراراتك بشأن طبيعة ميزتك التنافسية هي العامل الحاسم في تحديد نجاحك المالي في حياتك ومسارك المهني وتفوقك.

ينتج نجاحك الدائم من عملك، أو مسارك المهني عن قيامك بشيء ما بكفاءة عالية، شيء يقدره الآخرون، ومستعدون للدفع نظيره. وإن أي شيء يمكن لأي شخص آخر القيام به بطريقة فائقة ومميزة، فإن بوسعك أن تتعلم القيام به بنفس الكفاءة.

إن الطريقة الفعالة للتقدم نحو الصفوف الأمامية للحياة بسيطة، وهناك تتوافر كل الأشياء والأمور الطيبة. أولاً عليك أن تدخل الصف واتخذ قراراً بالانضمام إلى نسبة العشرة بالمئة من أهل القمة والتفوق، ثانياً: ابق في الصف ما إن تبدأ التحرك صوب التفوق الشخصي، واصل التعلم والتمرن حتى تحقق ذلك.

إن المصاف الأمامية للحياة تتحرك إنها لا تنغلق أبداً أمامنا. وهي مفتوحة دوماً يومياً ليلاً ونهاراً. وكل شخص يدخل الصف ويبقى فيه يصل للمقدرة في نهاية الأمر. ولا شيء بوسعه أن يوقفك عن الوصول إلى نسبة العشرة بالمئة من أهل القمة والتفوق فيما عداك أنت نفسك، فأنت وحدك المسئول.

اجعل ميزتك التنافسية واضحة:

اسأل نفسك: "ما هي ميزتك التنافسية؟" "أين يكمن تفوق أدائك بالتحديد؟" "ما الشيء الذي تقوم به أفضل من أي شخص آخر في مجال عملك؟" "ما هي المهارات الفريدة التي لديك، ويعود إليها أغلب نجاحك؟".

إن معظم الناس يواجهون مشكلة في الإجابة عن هذه الأسئلة، فهم غير متأكدين بشأن ما هي ميزتهم التنافسية اليوم، وبالتالي ليس لديهم أدنى فكرة عما ستكون عليه في المستقبل.

حدد وقم بما تستمتع بالقيام به:

إن الأشخاص الناجحون يقومون بما يحبون أن يقوموا به. يؤدون عملهم أو وظيفتهم لما فيها من فن وبهجة ومتعة. وسيقومون بما يقومون به حتى ولو لم يتقلوا عنه مالاً.

يقول الأثرياء جداً وأصحاب الملايين إن سر نجاحهم هو أنهم عثروا على الشيء أو الأمر الذي يستمتعون بالقيام به، ثم قاموا بممارسته بكامل جوارحهم. لا يشعر أغلب الناجحين أنهم يعملون حقاً. يقول بعضهم: "إني لم أعمل ليوم واحد في حياتي". فعملهم يمتزج بلعبهم، فهم لا يدرون أين يبدأ هذا وينتهي ذاك. وعندما لا يكونون منشغلين بالعمل فهم يفكرون فيه ويتحدثون عنه. وحينما يكونون في حالة العمل فإنهم ينسون أنفسهم وهم يعملون.

من بين آلاف الوظائف الموجودة، هناك عدد كبير منها يمكن لك العمل به، وكسب رزق ممتاز. فليكن هدفك هو إنتقاء الأعظم من المتعة والعوائد المالية، ومن ثم توجه كل طاقتك نحو التميز والتفوق في تلك الناحية.

إن احد الاختبارات التي تحدد ما إذا كان أحد الأمور مناسباً لك أم لا هو رغبتك في تعلم المزيد بشأنه. إنك سوف تستمتع بالقراءة بشأنه، والتحدث عنه، والتعلم فيه. وليس هذا فقط، بل إنك ستعجب بالأشخاص الأكثر نجاحاً في المجال الذي يناسبك بشكل مثالي.

شعورك بالمتعة والأهمية:

لقد كتب "ديل كارنجي": "قل لي ما الذي يمنح أحد الأشخاص أعظم شعور بالأهمية، وسوف أقول لك ما هي فلسفته الكاملة في الحياة". ما الذي يمنحك أعظم قدر من الشعور بالأهمية؟ وما الذي يمنحك إحساساً عالياً من تقدير الذات عندما توفق في القيام به؟ ما الذي تستمتع بالقيام به أكثر من سواه، بحيث تعود للعمل به باستمرار؟.

وقد قال "نابليون هيل": "إن أحد الأسرار الكبرى للنجاح هو أن تقرر ما الشيء الذي يقدم لك أقصى متعة عند القيام به، ثم توجد وسيلة لكسب رزق لا بأس به من خلاله. أغلب الناس يقومون بنقيض هذا. فهم يفعلون ما يشعرون أنه ينبغي عليهم القيام به، لكي يوفروا في النهاية الوقت والمال اللازمين للقيام بما يميلون إليه حقاً.

ليكن هدفك أن تقوم بما تستمتع حقاً به منذ البداية. على هذا، ستستمر في التحسن، والتحسن في القيام بالمزيد من الأمور التي تمنحك أقصى شعور بالأهمية والمتعة أيضاً.

إن مفتاح النجاح والسعادة في الحياة "أن يُلبي المرء رغباته الخاصة" بمعنى أن يقوم بأكثر ما يحب القيام به. أي أن تطل على المنظر العام لحياتك، ثم تحدد تلك الأعمال والنشاطات التي تستمتع بها أكثر من أي شيء آخر، أي الأمور التي سوف تقوم بها إذا لم يكن أمامك أية حدود، ومن ثم تبني حياتك بناءً على تلك الأعمال والنشاطات.

الرغبة الباطنة الكامنة:

إن رغبتك الكامنة في داخلك هي الشيء الوحيد الخاص الذي خلقت لتقوم به. وما من أحد يمكنه القيام به على النحو الذي تستطيعه أنت، إنه الشيء الذي طالما دعاك لسنوات عديدة. إنه الشيء الذي يستولي على اهتمامك، ويجذبك إليه منذ الطفولة.

ربما لم تخبر أي شخص بشأن هذا الشيء أبداً. وقد تشعر في أعماقك بالخوف من التغييرات الكبيرة التي ينبغي عليك القيام بها وإدخالها من أجل السعي وراء رغبتك الكامنة الباطنة. لكن الحقيقة أنك لن تنال أبداً سعادة حقيقية، أو رضا فعلياً قبل أن تسمح لنفسك بالمضي والانخراط بهذا الشيء مهما كان.

تخصص في مجالك:

إن المقصود من التخصص هو أن تقرر ما الذي ستعمله على خير وجه، في مجال عملك. والناجحون في كل مجال يميلون للتخصص وليس للتعميم. إنهم يقومون بتركيز وقتهم ومواهبهم بدلاً من محاولة القيام بأمور أكثر من اللازم. وإنهم يجتهدون لاكتساب سمعة البراعة الفائقة والتميز في ناحية بعينها. إنهم لا يحاولون إتقان جميع المهام والوظائف والصنائع الموجودة في العالم.

وإن المشروع التجاري الناجح قد يتخصص في نمط بعينه من العملاء، أو في سوق

محدد. وقد يتخصص في منتج محدد، أو في خدمة محددة لهذا النمط من العملاء، كما أن رجل الأعمال الناجح سوف يتخصص في بيع منتج أو خدمة محددين لنمط بعينه من العملاء. وسوف ينفق الشخص الناجح في أي مجال المزيد من وقته في القيام بأمور أقل تنوعاً مما يضيف له قيمة أعلى في أحد التخصصات على وجه التحديد.

التمايز:

التمايز هو العامل الرئيسي الذي يحدد نجاح أغلب أعمال المبيعات، والتسويق، ونمو المشاريع التجارية. ويحدد بشكل مبدأي نجاحك في مسارك المهني.

يعرّف "التمايز" بأنه يميزك عن الآخرين في مجالك ممن يقدمون أشياء مماثلة لما تقدمه. وبالحقيقة فإن مجال تمايزك هو نفسه مجال تفوّقك، ومنطقة التفرد بداخلك. إنه ما يعطيك ميزة تنافسية على الآخرين في مجال تخصصك.

عند القيام بالتخطيط الاستراتيجي الشخصي لمسارك المهني، لا بد أن تسأل نفسك، ماذا لديك من مهارات فريدة تجعلك متفوقاً عن أي شخص آخر يقوم بالوظيفة نفسها التي تقوم بها؟ ما المهارات التي سيكون من المفيد لك اكتسابها؟ إذا لم تكن متفوقاً في مجالك الحالي، فما الخطوات التي تحتاج لإنجازها على الفور لتصل بنفسك في نقطة تضعك خارج المنافسة مع الآخرين؟

حدد عملاءك النموذجين:

في اختيار القطاع قم بتحديد عملائك النموذجين. من هم؟ أين هم؟ ما لقاسم المشترك فيما بينهم؟ ما أعمارهم، دخولهم، مستويات تعليمهم، خلفياتهم، مكاناتهم، تجاربهم، وخبراتهم؟ ..الخ. اليوم هناك المزيد والمزيح من آليات التسويق وترتكز على قطاعات ضيقة في السوق وقطاعات شديدة الصغر والتحديد والتخصص. إن كلاً من المبيعات والتسويق أمران فرديان وشخصيان، ويستهدفان مجموعات محددة بدقة من العملاء المحتملين، ولهم صفات وسمات وميزات خاصة بهم. وعليك أن تتعرف على عملائك النموذجين.

تكثيف الطاقات:

لعل الاستراتيجية الأهم على الإطلاق في مجال المبيعات والتسويق، هي مبدأ "التكثيف". وهي قدرتك على تركيز كل طاقاتك ومواردك على أولئك العملاء المحددين أو الأسواق المحددة، حيث تكون أمامك أعظم الفرص للنجاح في أقصر الفترات الزمنية.

إن القدرة على التركيز بعقل صافي غير مشوش على الفرص ذات القيمة الأعلى، من شانه أن يزيد مما تحصل عليه من عوائد على طاقتك، أكثر مما يفعل أي عامل آخر. فالتركيز من مبادئ النجاح الأساسية في كل المجالات المتعددة.

إن مهمتك الضرورية هي التأكد من مستوى المبيعات العالي لخدماتك الشخصية التي يمكن لك إنجازها. وهذا يقضي منك القيام بك من التخصص، التمايز، اختيار القطاع، والتركيز. وباعتبارك رئيساً لحياتك الشخصية والمهنية، ينبغي أن تصير متفوقاً لأقصى حد في القيام بأمر أو أمرين يمكن للسوق أن يدفع في مقابلهما. ومن ثم تقوم بتحسين نفسك باستمرار من هذين المجالين.

أنت إنسان متفرد وفائق:

إنك إنسان فائق متميز ومتفرد. لقد ولدت وبداخلك مواهب وقدرات متفردة تجعلك مختلفاً عن سائر البشر أجمعين الذين وجدوا على الإطلاق.

فما من أحد لديه ما لديك من المزيج المتميز والفريد لكل من التجارب، والأفكار، والمشاعر، والخيال.. الخ. إن بداخلك —في هذه اللحظة– القدرة على أن تكون، وأن تملك، وأن تقوم بأي شيء فعلياً يمكن لك تخيله.

كلنا من أصل واحد.. من طاقة واحدة... ولكن لكل إنسان فرديته وتمايزه الخاص به. الفرق بين إنسان وإنسان ليس مجرد فرق كمي في الذرات، وإنما هناك فرق أكبر وأعمق وأعقد في العلاقات بين تلك الذرات وفي كيفية الترابط بينها.

كما تتألف جميع الكتب والمؤلفات من الحروف الأبجدية، فيكون لكل كتاب روحه وطابعه وشخصيته ونوعيته كمخلوق مستقل متفرد عن بقية المؤلفات مع أن جميع

الكتب مؤلفة من نفس الحروف الأبجدية، كذلك فإننا نعلم من أمر توليف الجينات الوراثية في الخلية الأولى أن جميع الأجنة الآدمية يتم توليفها من حوالي عشرين حرفاً كيميائياً من بروتين RNA, DNA.

ونعلم أن لكل جسد شفرة كيميائية خاصة به بحيث يصعب ترقيع جسد بقطعة أو عضو من جسد آخر... فالتفرد والفردية والتميز حقيقة جوهرية يشهد بها العالم.

لقد خلق الله ملايين البشر، وجعل في هذه المساحة الصغيرة التي هي الوجه ما يميز بين هذه الملايين بحيث لم تختلط ولم يكرر فيها قط، بل جعل في كل منها شيئاً ليس في الآخرين، يتميز به كل إنسان عن الباقين، وكما فعل الله تعالى في الأشكال فعل في الأصوات، فملايين الناس يتكلمون اللغة العربية، وملايين منهم يتكلمون الفرنسية، وملايين يتكلمون الإنجليزية، وهكذا، ولكن الله جعل لكل إنسان بحّة خاصة وصوتاً معيناً، بحيث لا تختلط هذه البحّة ولا ذلك الصوت بشخص آخر، فإذا سمعنا صوتاً تعودنا عليه، عرفنا صاحبه قبل أن نراه. فهناك شيئاً ميز الله به بين الأصوات، وذلك الشيء لا ندري كنهه، ولكنه موجود على كل حال، وبه تفرق بين أصوات الناس كما تفرق بين أشكالهم.

ومثل هذا يقال عن اختلاف الخطوط واختلاف البصمات. فلكل إنسان طابع خاص في خطه، فلا نكاد نرى خطاً أليفاً لك حتى تعرف كاتبه.

أما البصمات فهذا التفرد فيها لدرجة أن ينفرد كل إنسان ببصمة خاصة مختلفة. لا تتشابه بصمتان لاثنين ولو كانا توأمين منذ بدء الخليقة إلى اليوم رغم ملايين الملايين من الأفراد.

إن النجاح والسعادة يتأتيان حين تستطيع معرفة قدراتك الطبيعية، وتركز على تطويرها جنباً إلى جنب مع مواهبك الفطرية. ويبدو الأمر كما لو أنك مصمم من أجل النجاح والتميز بطريقة معينة، وإذا استطعت إيجاد الناحية التي صممت النجاح فيها على وجه الخصوص، فسوف تنجز في بضعة أعوام أكثر مما ينجزه الناس عبر عمرهم كله.

كتب "أنتوني روبنز" في كتابه "قدرات غير محدودة": منذ ثلاث سنوات جلست مع نفسي ووضعت تصميماً للشكل الذي أريد أن يكون عليه يومي وبيئتي، والآن، إنني أحيا حياة رائعة.

في ذلك الوقت، كنت أعيش في منزل أنيق في "مارينا ديل راي" بولاية كاليفورنيا، ولكني كنت أريد مكاناً أفضل لذا، فقد قررت أن أقوم بورشة عمل لأضع وأصمم أهدافي الخاصة بي. قررت أن أضع تصميماً ليومي، ثم أعطي إشارة لعقلي الباطن لأخلق لنفس هذه الحياة المثالية عن طريق ممارستها في خيالي بالأسلوب الذي أرغب فيه تماماً، هكذا بدأت. كنت أعلم أني أريد الاستيقاظ مبكراً لأرى منظر المحيط في الصباح، ثم أردت أن أجري على الشاطئ، كان بخيالي صورة ولكنها لم تكن تامة الوضوح -لمكان فيه ماء وخضرة.

وبعد أن مرنت نفسي، أردت أن يكون لديّ مكان رائع أعمل فيه. تخيلت هذا المكان مرتفعاً ورحباً. تخيلت شكله أسطوانياً بالدور الثاني أو الثالث في منزلي، وتمنيت أن يكون لي سيارة ليموزين بسائقها. تمنيت أن أعمل مع أربعة أو خمسة شركاء نشطين وطموحين مثلي، شركاء يمكنهم تفهمي ويمكنني طرح أفكاري الجديدة عليهم دائماً. حلمت بإنسانة مثالية لتكون زوجتي. لم يكن لديّ أي أموال، ولكني قررت أنني أريد أن أكون مستقلاً من الناحية المادية.

وبالفعل، لقد حصلت على كل شيء كما رسمته في مخيلتي. كل ما تخيلته تحقق. فقلعتي هي المكان الذي حلمت به بالضبط عندما كنت أعيش في "مارينا ديل راي". وقد قابلت فتاتي المثالية بعد ذلك بستة أشهر لقد هيأت لنفسي الجو الذي يغذي عقلي وقدرتي على الخلق والابتكار، الجو الذي يقوي رغبتي في أن أكون ما أريد، والذي يخلق بداخلي الرغبة الدائمة ي الامتنان لما أنا فيه، لماذا حدث كل هذا؟. لقد حددت هدفاً لنفسي، وكل يوم كنت أعطي عقلي رسائل واضحة ودقيقة ومباشرة تقول: إن هذا هو واقعي الذي أعيش فيه، ولأني لديّ الهدف الواضح المحدد، فإن عقلي الباطن قاد أفعالي وأفكاري إلى تحقيق الأهداف التي كنت أبغيها. لقد نجحت هذه الطريقة معي بالفعل، ويمكنها أيضاً أن تنجح معك.

والآن، عليك القيام بشيء واحد أخير. اكتب قائمة بالأشياء التي تملكها الآن، وكانت أهداف لك في الماضي. كل الأشياء التي تستطيع القيام بها، وكل الأنشطة، وكل الناس الذين تشعر بالامتنان لهم، والمصادر التي أصبحت متاحة أمامك. إنني أسمي هذه القائمة "أجندة الامتنان"، أحياناً، يتوقف الناس عند الشيء الذي يريدونه ولا يقدرون على استغلال الأشياء التي حصلوا عليها بالفعل. والخطوة الأولى نحو تحقيق هدف ما هي إدراك ما نملكه فعلاً، والامتنان لذلك، ثم تطبيق ذلك على كل إنجازات مستقبلنا. إننا جميعاً لدينا الوسائل التي يمكنها أن تجعل حياتنا أفضل في أي وقت. إن تحقيق أصعب أحلامك يجب أن يبدأ الآن مع الخطوات اليومية التي تضع قدميك على الطريق الصحيح. كتب شكسبير يوماً: "الفعل هو الفصاحة". فابدأ الآن بفعل فصيح يقودك إلى نتائج أكثر فصاحة.

لقد رأينا أهمية الدقة في صياغة أهدافنا. ونفس الوضع، ينطبق على كل تفاعلاتنا مع أنفسنا ومع الآخرين. فكلما كنت أكثر دقة، كلما أصبحت أكثر فاعلية وإنجاز.

تفكيرنا يؤثر على صحتنا النفسية والجسدية.

السعادة في هذه الحياة محصورة في فهم معنى الحياة

"تولستري"

إن العبوسة والكآبة واضطراب النفس دلائل على الصغر فجميع النفوس الكبيرة يكتنفها جو السكينة والطمأنينة

"أناتول فرانس"

يبدو أن معظم الناس يعانون من أمراض نفسية، حيث نجد بعض الناس يعاني من القلق والخوف من المستقبل أو من المجهول، والبعض الآخر يعاني من التوتر والإحباط، وأخرين يعانون من الخجل والحسد والتشاؤم والوحدة مع أنهم يتمتعون بمزايا مادية وعائلية كبيرة.

إن بعض الناس لا يشعرون بالراحة إلا إذا كانوا مهتاجين. وآفة العصر أنه لا لهو ولا تسلية ما لم تكن هناك إثارة في طعام أو شراب أو رياضة. سباقات مجنونة بالسيارات، تعصب أعمى للرياضات العنيفة من سباق وملاكمة وغيرها. وهذه كلها وبال على الحياة الجسدية والعقلية والنفسية. فمن جهة البدن تسبب هذه الإشارات المتواصلة اضطرابات في القلب وفي الدورة الدموية، بالإضافة إلى التغذية السيئة والغير متوازنة نحصل على إجهاد عصبي وإرهاق للأوعية الدموية وتصلب في الشرايين. والقلق وموجات السرور العنيف تسبب اضطراباً شديداً للأعصاب ينتهي إلى إرهاق مزمن وهذا يؤدي إلى الخجل والانطواء وضعف الإرادة وانصراف عن الحياة الطبيعية.

التقدم والنمو السريع والتغيير:

يبدو العالم اليوم يجري بسرعة لم تحصل من قبل. كل شيء يتحرك بسرعة؛ آلات إلكترونية سريعة، وسيارات سريعة، وطائرات سريعة، وعمليات جراحية سريعة، وأكلات سريعة غير صحية، إذ أن بعض هذه الأكلات الغنية بالدهنيات والخالية من أية قيمة غذائية تذكر قد تؤدي إلى أمراض عديدة قد تصل إلى السرطان وغيره من الأمراض المزمنة؛ تسبب لبعض الناس عدم الاتزان، وشعور بالضياع والإحباط، والقلق والخوف.

وإذا نظرت حولك فإنك تجد كل شيء يتحرك بسرعة، وهذا لا يعني أن السرعة غير مفيدة، لكنها سبب من أسباب القلق والخوف والتوتر والضغط النفسي.

الخوف والقلق

الخوف والقلق والخجل هي نتيجة الإثارة العنيفة والحياة الانفعالية المتدفقة. وسبب لإستنزاف الطاقة الحيوية وشلل للإرادة والعمل النافع.

والخوف يضعف الصحة بتكوين سموم عضوية في الجسم. وقد أصبح الخوف و القلق المزمن شائعاً بين الناس.

فنحن نعرف كثيرين يخافون الفقر أو الحرب، أو يخافون كلام الناس أو يخافون المرض أو الموت. إن الخوف المستمر يسمم المعيشة وينشر حول الإنسان جواً من القلق المستمر الذي يضر بصحة الإنسان وبالعمل والمستقبل ويمنع أسباب البهجة والسرور والسكينة. والخجل تابع للخوف. وعلته الخوف من الهزء والزراية وعدم الثقة بالنفس.

والإنسان إذا كان يرجو الصحة والعافية والسعادة في الحياة، وينشد النجاح فيها، عليه أن يقهر عدواً له، يسكن نفسه فيسلبها أمنها وطمأنينتها، ويقوض

سلامتها، ويقف سداً منيعاً دونها وأسباب الصحة والسعادة والنجاح. هذا العدو وهو القلق.

يقول "ديفيد سيبري" في كتابه "كيف تقلق بنجاح": "إننا ننتهي إلى طور النضج، ولنا من قلة الاستعداد لمواجهة التجارب، ما للديدان من الخبرة، برقصة الباليه"، ونتيجة لذلك فإن ثلث عدد الأسرة في المستشفيات عموماً يشغلها أشخاص متاعبهم الأصلية إما عصبية أو عاطفية، أناس يثقلهم التعب والإرهاق العصبي والعقلي، أناس باءوا بعيشهم الثقيل عن الماضي المتراكم، والمستقبل المخيف.

ويقول الأديب الإنكليزي "توماس كارليل": "ليس علينا أن نتطلع إلى هدف يلوح لنا باهتاً على البعد وإنما علينا أن ننجز ما بين أيدينا من عمل واضح بيّن".

أما الدكتور "سير وليم أوسلر" فيقول: "أغلقوا الأبواب على الماضي وأوصدوها دون المستقبل، وعودوا أنفسكم العيش في حدود اليوم". والدكتور أوسلر لم يكن يعني أنه لا ينبغي لنا أن نستعد للغد أو نفكر فيه، فقد تابع كلامه فقال: "إن أفضل الطرق للاستعداد للغد، هي أن نركّز كل ذكائنا وحماستنا في إنهاء عمل اليوم على أحسن ما يكون.. هذا هو الطريق الوحيد الذي نستعد به للغد".

وقد نصح الدكتور "وليم أوسلر" طلبة جامعة ييل في إحدى محاضراته أن يبدأوا يومهم بالدعاء الذي كان يتلوه السيد المسيح "خبزنا أعطنا اليوم".

والحق أنه يتحتّم عليك أن "تفكر في الغد، وتعد العدة له، ولكن لا يجب أن "تهتم" وهذا مرادف للقلق.

يقول أحد التراتيل الدينية:

"خذ بيدي أيها النور الكريم، وثبت قدمي...

"إنني لا أطمع في الأفق البعيد.. خطوة واحدة تكفيني".

نصح أحد الأطباء مريضاً له بعد أن فحصه وأنهى إليه إن مشكلته ليست جسمانية، وإنما هي عقلية قال "أريدك أن تنظر إلى حياتك كأنها ساعة زجاجية كتلك التي استخدمت قديماً لتحديد الوقت. أنت تعلم أن هناك آلافا من حبات الرمل توضع في نصف هذه الساعة الأعلى فتمر ببطئ، وفي نظام دقيق من خلال الرقبة الضيقة إلى نصفها الأسفل، فلا أنت ولا أنا نستطيع أن ندفع بأكثر من حبة واحدة إلى عنق الساعة دون أن نصيبها بخلل. وأنا والناس جميعاً كهذه الساعة الزجاجية. فعندما نصحو نجد مئات الأعمال في انتظارنا، فإذا لم نصف هذه الأعمال كلاً بدوره وعلى حدة، في بطء وانتظام، تعرض كياننا الجسماني والعقلي والنفسي لخطر التحطيم. فإذا تراكمت الأعمال والمشكلات أمامك تذكّر وردد في نفسك: "حبة من الرمل في الوقت الواحد. عمل واحد في الوقت الواحد".

إننا جميعاً نقف هذه اللحظة أمام طريقين. الماضي الفسيح الذي ولى بغير رجعة. والمستقبل المجهول يطارد الزمن.. ولسنا بمستطيعين العيش ولو بمقدار جزء من الثانية في أحد هذين الطريقتين.. فإذا حاولنا ذلك لم تجدنا المحاولة إلا تحطيم أجسامنا وعقولنا وأنفسنا. ولهذا دعنا نرض بالعيش في الحاضر الذي لا يمكن أن نعيش إلا فيه.. دعنا نعش اليوم إلى أن يحين وقت النوم، لنعيش كل يوم على حدة، وننسى الزمن، ولا نقلق على الغد. "فليس اليوم الجديد إلا حياة جديدة لقوم يعقلون"

كتب الشاعر الروماني "هوراس" قبل ميلاد المسيح بثلاثين عاماً هذه الكلمات.

"ما أسعد الرجل. وما أسعده وحده

"ذلك الذي يسمي اليوم يومه.

"والذي يقول، وقد أحس الثقة في نفسه:

"أيها الغد، كن ما شئت

"فقد عشت اليوم لليوم، لا غده ولا أمسه".

العجيب أننا جميعاً ميالون إلى نبذ الحياة. إننا يلذ لنا دوماً أن نحلم بروضة مزهرة عبر الأفق، بدلاً من أن ننعم بالأزاهير المتفتحة خارج نوافذنا في يومنا هذا!.

كتب "ستيفن لوك" يقول :"ما أعجب الحياة يقول الطفل: عندما أشب فأصبح غلاماً.. ويقول الغلام: عندما أترعرع فأصبح شاباً.. ويقول الشاب... عندما أتزوج فإذا تزوج قال. عندما أصبح شيخاً متفرغاً.. فإذا وافته الشيخوخة، تطلع إلى المرحلة التي قطعها من عمره، فإذا هي تلوح كأن ريحاً اكتسحتها اكتساحاً. إننا لا نتعلم إلا بعد فوات الأوان. إن قيمة الحياة في أن نحياها، في أن نحيا كل يوم منها وكل ساعة".

قال الفيلسوف الإغريقي "هرقليط": "كل شيء يتغير، إلا قانون التغير، إنكم لا تهبطون نهراً بعينه مرتين.. فالنهر يتغير كل ثانية، وكذلك الرجل الذي يهبطه، فالحياة في تغير لا ينقطع، والشيء الأكيد في هذه الحياة هو اللحظة التي نعيش فيها، فلماذا نشوّه جمال لحظتنا هذه ويومنا هذا، بحمل هموم المستقبل الذي يخضع لقانون التغير؟". وقال "إيفرت دايركسون": "الحياة ليست ثابتة. وأولئك الذين لا يستطيعون تغيير عقولهم هم سكان المقابر والمجانين والموتى".

الحقد والحسد

الحقد يتبعه الحسد والغيرة والغضب. فهذه الآفات تنتج سموماً تضر بالصحة وتقضي على جانب كبير من الطاقة الحيوية الضروريتين للتفكير والعمل.

الحسد لا يكسبك شيئاً ولا يقلل قيمة الآخرين في شيء. لكنه على العكس يهدم فيك القوة الضرورية لاكتساب ذلك المركز الذي هو موضوع حسدك. كما يضفي على مزاجك وطبعك حدة وكآبة وقلقاً، فتفسد حياتك وتغدو إنساناً مكروهاً ثقيل الظل يتجنبه الناس. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥]

ينبغي عليك أن تطرد أشباح الحسد. واعلم أن ما تحسد عليه جارك يمكنك أن تحصل عليه لو أعدت تربية إرادتك وثقافتك. حاول أن تدرب نفسك على التلذذ بسعادة الآخرين. فهذه خير وسيلة لاكتساب راحة البال والصحة والسعادة.

التشاؤم

المتشائم يرى دوماً الجانب السيء من الأشياء. فإن كان في نزهة على شاطئ البحر، لم يلفت نظره إلا جفاف التربة أو تغير لون أوراق الشجر. أما السماء وزرقتها وجمال البحر والشمس الساطعة، وانعكاس الأضواء السحرية على الصخور الملونة، والنسيم المنعش، فذلك كله لا يسترعي انتباهه.

وللتشاؤم توابع منها التمرد وسوء الظن وضيق الصدر وفساد المزاج. والمتشائم لا انسجام بينه وبين الناس أو الأشياء. فهو يريد العالم أن يتغير ليوافق مزاجه وشخصه. مع أنه هو الذي يجب أن يتغير بنظرته السالبة والشاذة إلى العالم.

العصبيون

العصبيون تهزّهم جميع المؤثرات هزاً عنيفاً. وهم مندفعون في إفراطهم وغضبهم. ويخيل إليك كأن أعصابهم متصلة بالعالم الخارجي عارية. فهم يحسون ويتألمون أكثر من الآخرين مئات المرات. فهذه الحساسية المرضية مصدر للانفعالات وللجزع والتعب. حياة هؤلاء شاقة على أنفسهم وعلى من يحيطون بهم. وأحكامهم خاطئة معيبة، وأفعالهم طائشة. وكثيراً ما يتورطون في حماقات. ومزاجهم يباعد بينهم وبين الصحة والسعادة. حساسيتهم غير المعقولة تجعل الحياة الاجتماعية والصلات معهم مستحيلة. وهؤلاء المفرطين في العصبية، هم أشخاص عاديون تشقيهم حساسيتهم وتجعلهم مصدر شقاء لمن حولهم ولأنفسهم.

والمصاب بمرض عصبي يعجز عن التأثر بالطمأنينة والسلام والوفاق، ويريد حوادث الخلاف والنزاع والعراك والمصالحة لتحقيق الضجر الذي يعانيه من حياته الرتيبة.

والمصاب بمرض عصبي يحمل في عينيه ما يجعله يرى التهديد في كل شخص أو موقف يواجهه. وهو لذلك لا يجد مجالاً يتحرك فيه. ولا يستطيع إلا أن ينكمش ضمن الحظيرة النفسية التي أقامها لنفسه، باعتبارها أقل مقتاً من العالم خارجها.

والعصبي يبدو مضطرباً ذابلاً ذاهلاً ينتفض بعنف لكل إحساس. فالضحك يثيره، والقطوب يزعجه، والبكاء يؤلمه، والإهانات تذهب بعقله.. إذا انغلق الباب قفز من مكانه، وأقل حادث يبعث الاضطراب العاطفي على شفتيه وعينيه وتنهمر الدموع إلى مقلتيه. وإذا تكلم فبسرعة.. لا تتبين معها الكلمات.

من أسباب إثارة الأعصاب الحساسية المفرطة نتيجة عادات سيئة جسدية وعقلية ونفسية، بعضها يتصل بسوء التغذية، وبعضها يتصل بالفوضى الأخلاقية والوجدانية الناجمة عن عدم وجود هدف محدد وخطة معينة لكل يوم.. ومخالطة الطائشين والمتشائمين والمهتاجين.

وهؤلاء المهتاجون والعصبيون والمتشائمون ونقله أخبار السوء، يجب أن نبعدهم من حياتنا ولا تكون لنا بهم صلة. من الأفضل أن نقطع كل علاقة بقوم يتهيجون بسرعة لكل شيء، فما من أمر إلا ويبكيهم أو يثيرهم أو يرقصهم. فلا تخالط إلا أشخاصاً هادئين عقلاء ذوي رزانة.

يتعين عليك أن تعيد تربية وجدانك ... فالعصبية ليست نتيجة عيب واحد وإنما هي نتيجة عيوب كثيرة وأسباب عديدة. فهناك مثلاً حرص المرء على تقدير الناس له، وتوجسه وتجسيمه للمخاطر والمخاوف، ووسواسه من الأمراض، والكوارث وعدم ثقته بما تخبوا له الأيام.

يتلخص علاج الاضطرابات العصبية بالتصرف الذهني الصحي، والراحة، وتجديد النشاط والتسلية، والتنزه، والهوايات المختلفة واللهو والانتعاش، والوجبات المعتدلة والغذاء المتوازن، وتحسين طبيعة البنية الجسدية.

من خاصية الأفكار وطبيعتها أن لها قوة جلب وحصول وكشف يتناسب ويتناسق معها إلى عالم الوجود والمادة. فهذا مبدأ طبيعي في الكون والحياة. لذلك علينا أن نستعمل أفكارنا التي تسري في كياننا بوعي وبصورة إيجابية بناءة.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]. فالحياة هي معادلة مركبة من المتغيرات، وعلينا أن نساهم في هذا التغيير ونشكله ونجعل نتائجه إيجابية، وذلك باتجاه عقولنا وتصوراتنا وتخيلاتنا بصورة إيجابية بناءة خيرة.

فحسب اتجاه الإنسان العقلي وما يتخذه من قرارات تتجدّد الصحة والمصائر وتقع المقادير ويغير الله حكم القدر بموجب قوانينه ونواميسه في الكون والحياة. ففي الكون نظاماً وقوانين مادية وروحية إذا ما اتبعها الفرد واندرج فيها نعم بالصحة والسعادة والخير والكمال وتجنب العجز والهرم والمرض.

القوة العقلية والروحية تعمل كقانون أو مبدأ موجود في الكون والحياة، ونحن فقط نستعمله والشرط الأساسي لتطبيقه هو الاعتقاد أو الإيمان بما تريد تحقيقه.

كيفية تحويل الجهد إلى ربح

كيف يعمل الإنسان ما يعمل يقرر ما إذا سيحصل من هذا العمل على أعلى النتائج والربح بقليل من الخسارة.

كيفية أداء العمل تكوّن فنيته.

قد تُعرف كيفية أداء العمل وطريقة عمله بأنها الأسلوب الضروري للإتقان لأي نوع من العمل، منها المعرفة بأي كيفية ينبغي إنجازه. ما يعنيه الأسلوب الغني هو الحصول على نتائج فائقة من خلال استعمال نفس الكمية من الجهد بطريقة أكثر مهارة.

إن كل عمل أو شغل يمكن خفضه واختصاره إلى نموذج بسيط نسبياً من النشاط الأساسي، تماماً كما نقول أن كل جسم إنساني مرتكز على هيكل عظمي يطابق بتفاصيله الأساسية كل جسم إنسان آخر. مثلاً، منظف الشارع يأخذ المكنسة إلى بقعة معينة ويبدأ الكنس. والرسّام يجهز لوحة الألوان، وينصب قماش أو خيش اللوحة، ويرتب فراشيه، ثم يبدأ بالرسم.

بهذا الإحساس، البيع كذلك له نموذج واضح مستور تحت كل عملية بيع. هيكل عملية البيع قد يمكن اختصاره إلى خمسة مبادئ جوهرية:

١. البائع يعرف إنتاجه أو بضاعته.
٢. البائع يعرف من يروّج له.
٣. البائع يقابل من يروّج له ويثير اهتمامه.
٤. البائع يقنع من يروّج له للشراء.
٥. البائع ينهي عملية البيع.

هذه الأسس الخمسة يمكن تسميتها العظم المكشوف من عملية البيع. وما يجعل اختلافاً بين بائع وآخر هو ما يضعه البائع من لحم على هذه العظام.

جميع أجسام البشر لها هيكل عظمي متشابه، لكن البعض يضع على هذا الهيكل عضلات والبعض الآخر يضع دهن.

جميع منظفي الشوارع ينجزون نفس العمليات، لكن أحدهم يؤديها بطريقة تجعله مشرف على العمال. جميع الرسامين يتبعون نفس الأساليب من النشاط في العمل، لكن القليل منهم يصبحون رسامين نابغين بهذا الفن.

إن الخمسة عظام —الأسس— الواضحة للبيع هي نفسها لكل شخص يمارس البيع، لكن مهنة كل شخص يمارس البيع هي نتيجة ما يبنيه على هذه المبادئ.

إننا نبدأ بالعظام العريانة المكشوفة مع ذلك، مهما كان البائع جيداً، لا يمكنه تجنب رتابة عمله. وكذلك كل عامل آخر. يقال أن ميخائيل أنجلو كان يئن أو يتأفف كل الوقت فيما كان يعمل على تماثيله، لكن، يئن أو يتأفف كما يريد، وعبقري كما كان، لقد عرف أن ليس هناك طريقة لديه ليحصل على تحفه نادرة من كتلة من الرخام إلا بالنحت على الرخام بكل ضربة في مكانها وبوقتها. الرتابة ضرورية لوضع قدم أمام الآخر، وتكرار هذا الأسلوب الذي يؤدي بنا من حيث نحن إلى أين نريد الوصول.

الرجل الذي يتنصّل من الرتابة قد يحلم بإتمام العمل وإنجازه، ولكنه قد يستيقظ من حلمه ليجد نفسه جالساً في نس المقعد بدون أي إنجاز.

إننا نستطيع أن نجعل الرتابة مثيرة ومدهشة، وذلك بأن نجعل حب الاستطلاع والطموح داخلنا حياً.

إن عمل الشيء العادي يمكن أن يصبح خبرة غير عادية تعطي نتائج غير عادية. هذا ما يعمله كل بائع ناجح. لقد تسلّق مراتب البائع العادي بإحدى طريقتين:

١ . عمل الشيء العادي بحماس غير عادي.

٢ . قدّم للعادي بعض الشيء الغير عادي الذي يحمل ختم شخصيته المتفردة.

لنرى كيف أن هاتين الطريقتين تساعدان على نمو وتطوير عملية البيع. الذي يحوّل العادي إلى غير عادي هو ما نضعه فيه. فالرجال يفشلون ليس لأنهم لا يعرفون، لكن

لأنهم لا يهتمون ولا يندهشون كفاية بما يعرفون. لا شيء يستحق إنجاز تم إنجازه بدون حماسة.

في اللحظة التي تجد أنك تقول لنفسك "عملي ممل ومضجر"، خذ نظرة إلى نفسك. إنك أنت الذي في حاجة إلى تغيير أفكارك السلبية إلى إيجابية متألقة. أنت، وليس عملك، الذي هو ممل. إن اللحظة التي تبدأ فيها بالممل أو الضجر من عملك هي أزمة شخصية. إذا لم تعطي نفسك صقلاً وتحفيزاً فلن يكون لديك تألقاً داخلياً أو خارجياً. إنك لن تصنع الذهب، لكن يمكنك صقله وتلميعه.

الخطوة الأولى للنجاح في البيع هي أن تجد شيئاً تبيعه يمكنك أن تكون متحمساً له، ومن ثم كن متحمساً لما تبيع.

هناك تاجر غني كان راغباً جداً لشراء ماسة من نوع معين ومحدد لضمها إلى مجموعته. بلغ هاري ونستون صاحب مخازن ونستون ذلك. واستدعى ونستون هذا التاجر إلى متجره ليخبره أن لديه ما يرغبه. قدم التاجر الهاوي بجمع الماس، وقابل البائع المتخصص في متجر ونستون. عرض البائع الحجر المميز من الماس ووصفه بطريقة خبير مميز. سمع الزبون للبائع، ومدح قطعة الماس، لكنه لم يشتريها، قائلاً: "إنها حجر بديع لكها ليست بالضبط ما أريده".

كان ونستون يراقب المقابلة من مسافة، أوقف ونستون هاوي جمع الماس قائلاً "هل تسمح إذا أعدت رؤيتك للماسة مرة ثانية؟" وافق الزبون على رؤية الماسة ثانية. أخذ ونستون الحجر بيده. لم يكرر ما قاله البائع. بل تكلم عن الماسة كأنه يتكلم بإعجابه هو نفسه بهذه الماسة المميزة على أنها شيء نادر الجمال... الخ.

غير الزبون رأيه واشترى الماسة. وفيما كان الزبون بانتظار إحضار الماسة له، التفت إلى ونستون وقال: "لقد بعتني الماسة، لكن أخبرني، لماذا اشتريت أنا الماسة برضاء منك بينما لم أجد صعوبة في قول لا أريد إلى بائعك؟".

أجاب ونستون: "البائع هو من أفضل رجالنا في العمل. ليس لدي شك أنه يعرف عن الماس أكثر مني. إني أدفع له راتباً جيداً لما يعرفه، لكن سأدفع له بسرور ضعف راتبه إذا استطعت أن أضع فيه شيئاً أنا أملكه وينقصه. إنه يعرف الماس لكن أنا أحب الماس".

إن ما يغير الرتابة إلى دهشة واهتمام وبهجة يأتي من الداخل:

الحماس ذهني باطني، إنه حقيقة. هذا عين أننا وجدنا أسلوباً لإدارة أنفسنا. الحماس يمكن تغذيته وتنميته، من أي شخص مستعد أن يتبع مبادئه كما يفعل رجل قوي اختصاصه ممارسة تمارينه الرياضية.

اختر من المنتج أو الخدمة التي ستبيعها شيئاً يمكنك أن تتحمس لأجله.

داوم ما يمكنك التعلم عن الشيء الذي تبيعه. لا شيء يبقي الحماسة كحب استطلاع حي يبقى نشطاً بالمعرفة. إن أسلوب التعلم هو أسلوب الحياة. ما دمت تتعلم، ما تتعلمه سوف يحيا لأجلك وفي داخلك. كل صباح استيقظ بأمل وتوقع، منتظراً الحقيقة الجديدة، بعد النظر والإدراك الجديد، الفكرة الجديدة التي سيجلبها لك اليوم الجديد. وكلما وقعت على حقيقة جديدة من عملك تعجبك، سوف تعيد نشاطك وقوتك.

هذا لا يعني أن تقول كل ما تعرف كلما فتحت فمك، لكن يعني أن أي شيء جديد تعرفه يزيد أوتوماتيكياً وزن ما تقوله. ستتكلم من العمق. ستحمل سلطة من رصيدك في المعرفة. إنه أحد خفايا المحادثة التي نعرفها حالاً من طريقة تكلم الشخص. أكان تهجي كلماته عن معرفة سطحية أو كان يجلبها من فهم عميق. إن كل كلمة تتفوّه بها تحمل إقناع إضافي لكل حقيقة جديدة تعرفها.

كلما عرفت أكثر عن منتجك ستكون أكثر فخراً بصلتك به.

كن فخوراً بمنتجك أو بما تعمله:

في راديوستي في الولايات المتحدة صالون حلاقة لشارلز زملر. إنه من أكثر صالونات الحلاقة غرابة في العالم. لقد جمع شارلز من جميع أنحاء العالم أنواع مختلفة مُبتكر من أدوات الحلاقة ذات علاقة بتاريخ مهنة فن الحلاقة. صالون شارلز مليء بأنواع جميلة من الرسوم الزيتية والأكواز والقوارير، وأمواس الحلاقة وصور هزلية وأدوات حلاقة مختلفة. ويظهر هذا الصالون كأنه أهم المتاحف الخاصة من نوعه في أي مكان. وما يقوله لمن يراه أو يدخله: "هنا يعمل حلاق فخور بصنعته ومليء بالحماسة لهذه المهنة".

يقول علماء النفس "الإنسان عندما يشعر أنه لا يرغب بالعمل يكون في مستوى منخفض من الإنجاز. الحقيقة هي: الإنسان لا يشعر أنه يريد العمل في بعض الأيام لأنه لا يسوق نفسه وينشطها للعمل.

الإنسان كآلة السيارة في هذا الخصوص. والطريقة الوحيدة لتحميه الآلة هي أن تبدأ الماتور بالحركة. ما تعمله يقرر كيف تشعر. كيف تشعر لا يقرر ما تفعل. العمل يوقظ الاهتمام والحماس. يديك خلال العمل سوف توقظ قلبك لدعمها. الجواب الأوحد للقصور الذاتي هو العمل.

اعمل وتكلم بحماس:

ضع كل ما لديك لأي شيء تعمله. أي شيء يستحق العمل، يستحق عمله بإتقان. إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه. الطريقة الأكيدة لإنجاز كل الأشياء التي ترغب عملها هي أن تضع كل جهدك في عمل شيء واحد الآن. اللحظة الوحيدة التي يمكنك ملؤها بالإنجاز الآن هي اللحظة الحالية. تثاءب والعالم يتثاءب عليك. ابتسم والعالم يبتسم لك.

البائع الناجح يعاشر الجماعة المتحمسة. لأن تكون مع المتحمسين هو كأنك تعيش في ضوء الشمس.

الحماس هو التيار الخفي الذي يسري في البائع إلى المشتري ويشعر القبول والرضا.

الطريقة الأولى للعلو والامتياز هي أن تعمل الشيء العادي بحماس غير عادي.

من تبع الآخرين يبقى دائماً في الخلف، لتكن لديك شجاعتك الأصلية.

لا يوجد فرق كبير بينك وبين أي شخص آخر، لكن الفرق البسيط هو أنك مميز ومتفرد عن كل شخص آخر. وما هو مميز ومختلف يمكن أن يصبح ابتداءً للتغير.

أنت كشخص متفرد لم يوجد مثلك في كل ملايين البشر الذين سبقوك على هذه الأرض، ولن يأت مثلك من البلايين الذين سوف يأتون بعدك.

إن كل وجه في العالم يتكون من جبهة، عينين اثنتين، أنف، وجنتين، فم، أذنين اثنين، وذقن. الولد الصغير قد يرسم وجهاً يميزه كل واحد أنه وجه إنسان لأن جميع

الوجوه لها شكل عام متشابه. مع ذلك الحقيقة المدهشة هي أنه ليس هناك وجهين متشابهين تماماً. وجهك مهما كان هو وجهك، وعندما يراه الناس يدعونك باسمك. إنه ليس اختلافاً كبيراً، لكن اختلاف كافٍ لأن يكون مميزاً وفريداً عن كل الوجوه التي وجدت في العالم وسوف توجد.

أنت نفسك فريد ومميز بنفس الطريقة التي بها وجهك لا يشبه تماماً أي وجه.

أنت إنسان متفرد. كن نفسك، لتكن لديك الشجاعة الآن تعمل الشيء الغير عادي، وعليه طابع شخصيتك.

إنها المساحة القليلة من اختلافنا الشخصي التي تجعل كل منا شخصاً متفرداً. وحيث أننا أشخاص متفردين، فكل منا يمكنه أن يضع لمسة مميزة إلى عمله أو صنعته أو مهنته.

بإمكانك أن تكون بائعاً متفوقاً ومتميزاً بعمل الشيء العادي بحماس غير عادي. يمكنك أن تجعل نفسك مميزاً بعمل الشيء الغير عادي الذي يعبر عن شخصيتك. وهذا يتطلب نشاطين اثنين هما: الفكر والعمل.

جاء في كتاب "العادات السبع للناس الأكثر فعالية" الذي يعتبر من أسس التغيير الشخصي وتنمية الفاعلية لمؤلفه د. ستيفن كوفي، مدير مركز كوفي لتنمية القوة البشرية بولاية يوتا في الولايات المتحدة الأمريكية.

يحيا الإنسان منا على ظهر الأرض وله إمكانات وهبت له، بإمكانه صقلها وتعزيزها ليصل إلى طموحاته. والناس معادن وأصناف، ولكنهم في سلّم الحالات النفسية والاجتماعية لا بد أن يمروا في درجات ثلاث: درجة الاعتماد على الغير، ودرجة الاستقلال عن الغير، ودرجة التعاضد (التكاتف) مع الغير.

فالإنسان يبدأ طفولته من الدرجة الأولى معتمداً على غيره في التغذية والرعاية والإرشاد. ودون هذا الاعتماد لا يستطيع الاستمرار في الحياة لساعات أو أيام. ثم يبدأ الاستقلال التدريجي إلى أن يبلغ درجة يرعى فيها نفسه ويدير شؤون حياته. ولو قدر له الاستمرار في النمو فسوف يرتقي إلى درجة ثالثة من النضج الذي ينتهي به إلى أحد مصيرين: إما النضج الجسدي والعقلي والعاطفي، الذي يوفر له التعاون مع الغير،

باستقلال وفاعلية، وإمّا النضج الناقص حيث ينتهي إلى النضج الجسدي ويبقى طفلاً أو مراهقاً في عقله ومشاعره، أو يصل إلى النضج العقلي والعاطفي ويبقى معتمداً على الآخرين في جسده.

هذا التطور والنضج يرافقه ويصارعه تدرج في العادات. فإما عادات فاعلة يغدو بها الإنسان مشكلاً لخرائط مستقبله ومعالم حياته، وإما عادات مكبلة تصبح أغلالا نفسية وإساراً اجتماعياً، وغشاوة عقلية. فالأولى تبعده عن مواجهة التحديات، والثانية تنقله عن القيام بالمسؤوليات، والثالثة تعمية عن شهود ما ينفعه أو يضره، بمستويات تتناسب مع مضاعفاتها وتأثيرها..

وللانتقال من درجة الاعتماد على الغير إلى الاستقلال عن الغير، لا بد لسالكها من ثلاث عادات.

وإذا أردنا الانتقال من درجة الاستقلال عن الغير إلى درجة التعاضد مع الآخرين فلا بد لنا من ثلاث عادات تردف ما سبقتها، حتى إذا استقر الإنسان على تلك الدرجة فلا بد له من عادة سابعة يعضد بها الست السابقات.

وقبل الحديث عن العادات السبع للناس الأكثر فاعلية، هناك عادتان سالبتان تؤثران في بقاء الإنسان على درجة الاعتماد على الغير وهما: "العجز عن رؤية الذات" و"ردود الفعل التلقائية".

فأصحاب العادة الأولى لا يرون أنفسهم إلا من خلال رؤية الآخرين لهم، وهذا ما يسمى على حد تعبير البعض "المرآة الاجتماعية". فحين تكون المرآة الاجتماعية هي المصدر الوحيد لرؤية أنفسنا فسوف تكون تارة صورة ذواتنا لدينا مثل انعكاسات مرايا الكرنيفال التي تظهر فيها الصورة تارة مصغرة وتارة مكبرة وتارة مفلطحة وتارة مكسرة وتارة تظهر فيها العينان جاحظتان وتارة صغيرتان مثل الثقوب... وصاحب هذه العادة ضعيف، فهو إما أن يكون إمعة يحسن إن أحسن الناس ويسيء إن أساء الناس، وإما أن يكون مرائي يبتغي بأعماله وجوه الناس وثنائهم عليه. فهو مهزوز الشخصية، ضعيف الإرادة، هزيل الثقة.

هناك فرق كبير بين إدراك الذات وتعظيم الذات. الأولى مطلوبة والثانية ممقوتة. وأصحاب العادة الثانية "ردود الفعل التلقائية" يفقدون القدرة الذاتية والاستجابة الفاعلة، إنما أفعالهم ردود أفعال ممسوخة ومنسوخة لتقلبات الناس، إما محاكاة أو ملاحاة "أي خصومة وعناد" وأصحاب ردود الأفعال ليس لهم إرادة موجهة، ولا نفسية راسخة، وهذا مؤذن بالإيذاء من وجهتين:

الأولى لذواتهم أنفسهم، فهم مترددون متذبذبون لا يستقرون على أمر راسخ، بل نفوس هوجاء وعقول عوجاء، والثانية لغيرهم ممن لا يفهم لهم طريقة ولا منهاجاً، فيحتار معهم، حتى لا يصفق يديه تبرؤاً منهم واعتلالاً بتصرفاتهم وأفعالهم.

إن الاستقلال عن الآخرين يعني أن صاحب هذه الدرجة يتحمل مسؤولياته ويواجه تحدياته، ويسلك طرائق وفق تصوراته ومنطلقاته، ويحوز بنية نفسية وعقلية مستقلة، تطور فيها الإحساسات والقناعات بمعزل عن الآخرين ما يملونه عليه. ولاجتراح هذه الدرجة لا بد للإنسان من ثلاث عادات فاعلة: الأولى الشعور بالمسؤولية والمبادرة..

وصاحب هذه العادة كان تخلص من إسار العادتين السابقتين، فهو مدرك لذاته، واعٍ بماهيتها وحقيقتها، وهو كذلك مبادر بالفعل، منتج للحدث، صاحب إرادة فاعلة وضمير حي. وقد حقق هؤلاء نضجاً عالياً في مساحات العاطفة والعقل، فقد تخلصوا من أسر الأهواء والانفعالات إلى فضاءات رؤية بدائل الأفعال ومسالك المواقف والأعمال المناسبة وحتى يصل الإنسان إلى هذه العادة لا بد له من منبه ومحفز يثيره، وليس أدل على ذلك ما نراه في حياتنا اليومية من السعي الجاد لأصحاب الإرادات، لأنهم علموا عظيم ما يريدون، فلا يهجعون إلى فرشهم إلا وقد بلغ منهم التعب مبلغه.

والعادة الثانية هي تحديد الأهداف، وهذه تحتاج إلى أمرين: بلورة رؤية واضحة عن الكون وإمكانات وطبيعة وجودنا وما نريد أن نصبو إليه. ثم تحديد هدف واضح وسليم يتنزل على أرض الواقع، خلال صياغة عملية عبر وسائل وأنشطة وبرامج تتدفق متلاحقة ليصل الإنسان إلى مراده.

ويبدو أن كل شيء يولد مرتين الأولى ولادة عقلية والثانية ولادة مادية، كالذي يريد أن يبني بيتاً فإنه يبنيه في عقله، ويحوله إلى تصور مطبوع على الورق، ثم يحول

المخطط إلى بناء مشيد . وقد عبر كوفي عن هذه العادة بقوله :"ابدأ والمثال في ذهنك" . والعادة الثالثة من العادات التي تتصل بالإنسان إلى الاستقلال عن الغير مقابلة الأولى فالأولى بتنظيم الوقت وترتيب الأولويات، وإن الأمة، أفراداً أو جماعات، تعاني أزمة أولويات، فترى الناس ينشغلون بسخيف الأمور وسفاسفها ، ويتركون معالي الأمور ومجامعها . وقد قال الفقيه ابن الجوزي رحمه الله :"من الناس من يقوم الليل وينام عن الفريضة، ومنهم من يتحاشى رذاذ النجاسة وهو مغرق في الغيبة" .

وهذا من علامات فساد الوقت وغياب فاعليته في أفعالنا وتقلباتنا ، ثم كيف يتصور صاحب هدف وإرادة ومبادرة ووقته منكوس وظرفه معكوس، فلا شك أن هدفه بعيد لن يصل إليه، وإرادته ما تلبث أن تتحطم على صخرة الإهمال والنسيان والتكاسل.

وعندما يبلغ الشخص درجة الاستقلال عن الغير فإن أعلى درجات نمو الشخصية ونضجها هي درجة تبادل الاعتماد مع الغير أو التعاضد معهم لأن درجة الاستقلال عن الغير تصل بعد نضج نفسي وشخصي في التحلل من إسار التبعية واستنزاف الانفعالات والأفعال. أما درجة التعاضد مع الآخرين (تبادل الاعتماد) فهي عنوان الفاعلية المطلقة وصفات قادة الخلق والناجحين من البشر.

التعاضد مع الآخرين

إن عادات التعاضد مع الآخرين تبدأ ، بأن يَربح الإنسان ويُربح الآخرين. فالناس أربعة كما أطلق عليهم د . ستيفن كوفي : من يُربح ويَربح ، وهذا الذي نريد ، ومن يربح ويخسر الآخرين ، ومن يخسر ويُربح غيره، ومن يخسر ويخسر الجميع.

ولطريقة التفكير (اربح وربح الآخرين) ميزات وأبعاد ، منها أن علامات الشخصية الناضجة الاستقامة والشجاعة، ثم ميزة عقلية الوفرة التي تعطي ، وكذا العلاقات الإنسانية القائمة على الثقة المتبادلة، وعقد الاتفاقات وتحقيق الإنجازات وتجانس الوسائل والغايات.

فهم الآخرين

عادة فهم الآخرين ثم دعهم يفهمونك، وتطبيقها العملي يكمن في مهارات الاتصال والتواصل. فالتواصل والحوار هما أهم مهارة في حياتنا، لأننا نقضي معظم حياتنا في فهم الناس والاستماع إليهم. وعلينا أن ندرك جيداً أن ١٠٪ من تواصلنا يتمثل في الكلام الذي ننطق به، وأن ٣٠٪ يتمثل في نبرات أصواتنا ومدى صدق لهجتنا، وأن ٦٠٪ يتمثل بلغة أجسامنا. ومن القواعد الأخرى التي تذكر في التواصل الإنساني (إنصات متعاطف وترك ردود الفعل المدمرة) فليس المطلوب مجرد الإنصات وإنما إنصات متعاطف تتفاعل فيه قطاعات النفس ومساحات الاستقبال الصوتي والمرئي عير الجهاز العصبي، وترك ردود الفعل المدمرة التي تنتج عن العصبية ونفسية الانتقام للنفس والثأر للذات.

التكاتف

العادة الثالثة في درجة تبادل الاعتماد مع الغير، ما يعبر عنه كوفي بالتكاتف، والمقصود من هذه العادة أن يصل الإنسان إلى أس القيادة وجوهر العادات السابقة التنسيق والتفاعل، وأن يأخذ كل شخص دوره في منحى العمل الإنساني على وجه الأرض، وأن تتوزع الطاقات البشرية الإمكانات الشخصية متضافرة متعاونة متكاملة في درجات متعاقبة ... وأساس هذا التعاون هو الوعي بالذوات الإنسانية والوعي بقيمة الاختلافات.

الصيانة الدورية لمحتويات العادات

بهذه العادات الست السابق ذكرها يرتقي الإنسان قمة الإنجاز الشخصي والنجاح الحقيقي. وبمراجعة تطبيقاتها وممارساتها من خلال فحص آثارها في الواقع، الذي نعيش فيه بغية تزكيتها وتجديد طاقاتها، وهذا ما يسميه د. كوفي بـ"اشحذ المنشار". ومساحات الشخصية أربع: "الجسد" وغذاؤه الصحة والرياضة، من خلال الغذاء المتوازن والامتناع عما هو ضار، وممارسة التمارين الرياضية. ثم "العقل" وغذاؤه العلم والتفكير. وهو بحاجة إلى رياضة ذهنية متكررة. و"الروح" وغذاؤها العبادة"... والعبادة تشمل كل

مناحي الحياة من الانفعالات والأفعال وصواب القصد فيها. والتوبة تمثل صيانة دورية لهذه المساحة، ومساحة الشخصية الرابعة هي (العاطفة) وغذاؤها الحب بإشاعة معاني الود والتراحم والتواصل.

ويراعى في تجديد الطاقة في المساحات الأربع وشحذ المناشير فيها: التوازن والتكاتف في عملية التجديد والصقل وكلما كنت مبادراً (العادة الأولى) وزيادة قدرتك على القيادة الذاتية بصورة فعالة (العادة الثانية) والإدارة (العادة الثالثة) وزيادة الأنشطة الهامة، وغير العاجلة والمجددة، التي بمقدورك أن تقوم بها (العادة السابعة) وكلما سعيت إلى أن تفهم أولا (العادة الخامسة) زادت قدرتك على الوصول للحلول التكاتفية التي يكسب فيها الطرفان بشكل أكثر فاعلية (العادتان الرابعة والسادسة) وكلما ارتقيت بالعادات المؤدية إلى الاستقلال (العادات الأولى والثانية والثالثة) كنت أكثر تأثيراً في المواقف والتعاون بينك وبين الآخرين (العادات الرابعة والخامسة والسادسة أما التجديد (العادة السابعة) فيمثل عملية تجديد كل هذه العادات. وكلما جددت البعد الجسدي فإنك تعزز بذلك روتينك أو نظرتك الشخصية، وكلما جددت البعد الروحي فإنك تعزز القيادة الذاتية، وكلما عملت على تجديد البعد الفكري فإنك تعزز الإدارة الذاتية.

وأخيراً لنذكر أن التغيير الشخصي لا يأتي من الفضاء، وإنما ينطلق من كينونة أنفسنا، ومن حقيقة الداخل في قلوبنا وأرواحنا. وكما يقال "أيقظ العملاق الكامن داخلك". وقد قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

السعادة في داخلنا

شعورك بحاجة الآخرين إليك وفائدتك لهم من أبسط الطرق المؤدية إلى السعادة

يقول د. جون كورد: حينما كان ابني في الخامسة من عمره، جاءني يوماً يسألني: "لقد كنت أعرف دائماً ما الذي يجعلني تعيساً. ولكن كيف لي أن أعلم متى أكون سعيداً؟".

ونحن الراشدون نواجه نفس هذه الحيرة التي يواجهها الطفل، إذ إننا نستطيع أن نتخيل ما سيكون عليه إحساسنا بالقهر والإحباط. والقلق والضيق والارتباك. ولكننا لا نستطيع أن نتخيل ما يعنيه أن نكون في أفضل حالاتنا: "أن نعمل بأقصى ما لدينا من قوة، أن نحصل على أقصى ما تستطيع الحياة منحه". فكلنا تعلم مسبقاً عما نبحث عنه، لكان من اليسير بلوغ السعادة.

كان "أبراهام ماسلو" البروفسور في علم النفس، قد عالج هذه المشكلة في مطلع حياته العلمية، قبل نحو ثلاثين عاماً .وكان هذا العالم قد عزم على دراسة أشد الناس سعادة، من بين الرجال والنساء الذين عرفهم، بدلا من اللجوء إلى النظريات، ليرى في النهاية ما توصلت إليه خبراتهم.

"محققو الذات"

وصف تجربته هذه على النحو التالي: اخترت هؤلاء الناس من بين زملائي وطلابي، وأصدقائي ومعارفي، ومن الشخصيات التي كنت أجلها في الحياة العامة. فتحدثت إليهم وراقبتهم أثناء عملهم وساعات فراغهم، في جدهم وهزلهم، كما

درست بيئتهم الاجتماعية. كانوا في معظم أوضاعهم يشبهون بقية الناس، ومع ذلك بدوا وكأنهم يتمتعون ببعد إضافي لا يتمتع به الآخرون، هو قدرتهم على استغلال أقصى طاقاتهم والتكيف مع إراداتهم وقدراتهم.. وكان البروفسور ماسلو قد أطلق على هؤلاء اصطلاحه "محققو الذات".

طبق الحساء واللوحة الفنية:

ويمضي البروفسور ماسلو قائلا: "إن هؤلاء لا يشبهون العباقرة. ذلك أنهم لا يتمتعون بمواهب تستعصي على الشرح، ولا علاقة لها بشخصياتهم. إن الإبداع أشبه ما يكون بالطفل الذي أخضع لنظام صارم" وكانت ثمة امرأة من بين الذين قام بدراستهم، بدا واضحاً أنها زوجة راضية عن حياتها، ولا تمارس أية هواية من الهويات التي تواضع الناس على وصفها بالإبداع. ومع ذلك فقد كانت وجبات الطعام التي تعدها أقرب إلى الاحتفالات منها إلى أمر آخر، وكان ذوقها في الحرير والفضة والكريستال لا يحتمل النقد. فكانت في هذه المجالات، امرأة ذات ذوق أصيل، وفكر عبقري ونزوع إبداعي.

وقال البرفسور ماسلو: "لقد تعلمت منها أن الحساء الرفيع الذوق قد يكون فيه من الإبداع ما يفوق اللوحة الفنية من الدرجة الثانية! وتعلمت من أحد رجال الأعمال أن تأسيس شركة وإدارتها أمراً يبلغ مصاف الإبداع. كما علمني أحد الرياضيين الشباب أن إجادة تسديد الهدف هو إنتاج جمالي لا يقل إبداعاً عن تأليف كتاب مميّز أو قطعة موسيقية رائعة، ويمكن تحقيقه إذا توفرت للإنسان الروح نفسها".

ولكن كيف يمكنا اكتشاف أمثال هؤلاء الناس؟ وأية أمور نشاركهم فيها دون أن نستخدمها؟

لقد وجد البرفسور ماسلو أن معظم الناس يشاركونهم بعض اتجاهاتهم، بدرجات متفاوتة:

١. النزوع إلى العمل:

يقول البروفسور: "لم أجد إنساناً سعيداً لا يلتزم بعمل يتجاوز نطاق ذاته، لأن لمثل هؤلاء الناس رسالة في الحياة، وبالتالي لا يستطيعون التمركز حول ذواتهم والانطواء عليها. فالسعادة عندهم نتاج عارض للعمل والواجب". **أن تعمل عملاً ترى واجبك يدفعك إليه هو أكثر الأمور بساطة لتشعر بحاجة الآخرين إليك وفائدتك لهم.** ومن هنا كانت الأمهات لا يقعن فريسة المرض كمعظم الناس. وفي هذه المناسبة إن زوجة البرفسور ماسلو، وهي هاوية نحت، سألت أحد مشاهير المثالين رأيه في تماثيلها التي كانت رديئة في ذلك الحين، فأجابها النحات: "استمري في نحتك كل صباح بعد الفطور، مقتدية بالسمكري الذي لا يهدأ حتى ينهي عمله. فاعملي كأنما حياتك متوقفة على عملك. وسترين أن نحتك قد تطور وتقدم".

٢. قبول الذات:

إن هؤلاء الناس يتقبلون أنفسهم وطبائعهم، دون شعور بالنقص أو القلق. على الرغم من أنهم يعانون في أوقات دورة الأقدار ما يعانيه الآخرين، **فإنهم يتمتعون بالقدرة على احتمال ما لا يمكن تغييره، ويستمرون في لعبة الحياة. وهكذا فإنهم أقل منا تفكيراً في الماضي.**

وهذا الأسلوب في قبول الذات يتيح لهؤلاء الناس الإقبال على الشيخوخة برصانة. فالنساء لا يشعرن بأنهن باقيات على شبابهن أبداً. كما لا يبالغ الرجال بالادعاء في النجاح أو احتلال أهمية تفوق أهميتهم الحقيقية، يضاف إلى ذلك أنهم لا يحاولون إخفاء مواطن ضعفهم.

وهؤلاء الناس إذ يدركون نزواتهم ورغباتهم، ويتفهمون أفكارهم، لا يحتاجون إلى التأكد من العلامة التجارية قبل أن يعلقوا على جودة الصنف، ولا يعمدون إلى طلب رأي النقاد قبل الإدلاء بآرائهم حول مسرحية أو فلم سينمائي. بل يعتمدون على أفكارهم وميولهم في ذلك.

٣. احتمال الشكوك:

هؤلاء الناس يعرفون سبيل العيش مع المجهول دون شعور بالتهديد أو الفزع. بل يتقبلون هذه الحالة، إن لم نقل أنها تجتذبهم. لا يترددون (عندما يصبحون في جهل من الحقيقة) في الاعتراف بجهلهم. فأمثال هؤلاء الناس في الواقع ينشدون المجهول، بدلا من الإصرار على الواقع والحقائق التي يعترف بها الناس كافة.

لقد كان كولومبوس مثلاً صارماً لهذا النمط من الناس. ذلك أنه كان يشك في إيمان معاصريه بأن الأرض مسطحة. وكان يريد الوصول إلى جزر الهند الغربية عن طريق جديد لم يسلكها أحد من قبله، فشرع في الإبحار إلى جهته، وأمامه انحدار بحارته وسفنه في الهاوية، عند حافة العالم! ولكن هذا الشأن لم يكن له أي أثر في نفسه، بينما كان بحارته في ضيق من هذه المخاوف. ولعل سبب قبوله هذا التحدي، أنه كان يؤمن، شأن كل الذين يعملون على تحقيق ذواتهم، بأن ليس ثمة مغامرة بدون شكوك.

إن هذا الاستعداد لمواجهة المجهول، يتيح لهذا النمط من الناس التعامل بعفوية ويسر مع أنماط متباينة متعارضة، مهما اختلفت أعمارهم وثقافتهم وطبقاتهم وألوانهم ومشاربهم. وتنسجم بهذه المناسبة قصة العالم الرياضي الشهير "هاردي" حينما تلقى رسالة من الهند كتبها موظف فقير لم يكن قد حصل على قسط يذكر من الثقافة.

اسمه "راما نوجان" طلب فيها التعليق على بعض النظريات الرياضية التي بدت غريبة في نظر العالم هاردي. وبالرغم من أن معظم الناس يعتبرون، مثل هذه الرسالة مقفلة غير مفضوضة –وهذا في الواقع ما يفعله العديد من المشاهير العلماء والأدباء– تجاهل هاردي رداءة الورق واللغة التي كتبت بها الرسالة. وأعطى الرسالة ما تستحقه من اهتمام.

وبعد ساعة من الدراسة تكشفت أمام هاردي عبقرية رياضية خام جديدة، ومن ثم أقنع الجامعة بضرورة استدعاء رامانوجان لينضم إلى مدرسيها، وعمل على انتخابه

عضواً في الجمعية الملكية، وتعاون معه في نشر خمسة أعمال باهرة من الدراسات الرياضية الحديثة.

٤. الواقعية والحس السليم:

وهؤلاء الناس يتمتعون بحس واقعي سليم ومقدرة على اكتشاف التافه من الأمور وفرزها، وتقدير ما هو زائف وخادع. إنهم لا ينظرون إلى الحياة عبر نظارات ملونة أو حالكة السواد، فيرون الأمور على حقيقتها، ولا يقحمون أمانيهم أو مخاوفهم في رؤيتهم. وكما عبر أحد الذين استجوبهم البروفسور ماسلو.. فإن المرء لا يستطيع الشكوى من رطوبة الماء أو صلابة الصخر، أو من فوز منافس عليه.

ولما كان هؤلاء يرون الأشياء والناس من خلال نظرة واقعية، فإنهم قلما يقعون فريسة خيبة الأمل بالآخرين. وهذا ما عبرت عنه إحدى صديقات البروفسور ماسلو حينما قالت له: "كنت أعلم أن إرادة الله وحدها قادرة على التدخل في أعماله، حينما تزوجني... لذلك لم أشعر يوماً بالامتعاض لتأخره عن العشاء مساءاً، أو لمغادرته الحفلات مبكراً، أو لقضائه أيام العطلات الأسبوعية في مخبره".

إن هؤلاء لا يرهبون المرض والظلم من حولهم. ذلك أنهم لا يعتقدون بأنه يمكن تقويم العالم في غمضة عين، من خلال الإصلاحات الاجتماعية والسياسية. وبالتالي فإنهم لا ينظرونه في آرائهم، لا يساراً ولا يميناً. وبالمقابل، عرف كل منهم لحظات فقد فيها صبره وتمرد في شبابه، ثم استقام في حياة هادئة لطيفة مرحة، وعمل جاداً لتصحيح الأوضاع الاجتماعية من الداخل.

٥. تذوق أطايب الحياة:

يتمتع هؤلاء الناس بقدرة خارقة على تذوق أطايب الحياة الأساسية، المرة تلو المرة، وبتفتح وبراءة مهما بدت شاحبة في نظر الآخرين. وهكذا تبدو الأمور العادية في الحياة اليومية، كقراءة الصحيفة في الصباح، والاستعداد للعمل، والتجوال في

الحديقة، وزيارة الأصدقاء، وترتيب المآدب، ومشاهدة شروق الشمس، منبعاً للذة مستمرة. ولعل رؤيتهم للناس ومقابلتهم أشد نظراتهم إلى الأمور ابتكاراً، إذ إن كل إنسان وحادثة في نظرهم هما تجربة فريدة.

كان قد استرعى انتباه البروفسور ماسلو، في إحدى الحفلات، طبيب أخصائي في الأمراض النسائية بدا له في مزاج سعيد واضح. وبعد أن تم لقاؤهما قال له هذا الأخير: "لقد أجريت اليوم عملية الولادة رقم ألف (١٠٠٠) وقد بدت لي كمعجزة أشبه بأول عملية أجريتها".

وفي إحدى المرات زار البروفسور عالماً اقتصادياً معروفاً. وبينما كانا يتبادلان الحديث أشار العالم الاقتصادي إلى رجل يعمل في حفر حفرة في الحديقة، قائلاً: هذا فنان أصيل... انظر كيف يحافظ على احتفاظ التراب بشكل الجاروف، بينما هو يطير في الهواء إلى حيث يريد الرجل! ومضى العالم الاقتصادي، كما يمضي التلميذ إلى المعلم، لينضم إلى العامل ويتعلم المهارة منه حتى أتقن الجرف.

ما من صفة من صفات هؤلاء الناس تتجاوز قدرات الإنسان العادي، بل وتجاربهم الفذّة أيضاً، ذلك أن ثمة أوقات من السعادة الخالصة يخلف فيها المرء كل شكوكه ومخاوفه وتوتراته وراءه، ليفسح المجال أمام الشعور بالاتحاد مع الكون. ولكن المرء لا يستطيع البحث عن هذه اللحظات، ذلك أنه لا بدّ للمرء من أن يفاجأ بالفرح، وإلا لما كان لها هذا الأثر. ولكن بإمكان المرء أن يهيئ نفسه لإدراك هذا العنصر الغامض الكامن في كل تجربة ليستطيع قبوله.

يذكر أحدهم تجربة عرفها ذات ليلية في سفينة تمخر عباب المحيط: "فلم تعد هذه الباخرة تظهر في حلكة الظلام، وشعرت عندئذ كأنني ذبت في الكون. وكتبت أم في مقتبل العمر تقول: كنت في المطبخ أعمل على تحضير طعام الفطور لزوجي وأطفالنا الثلاثة... وكانت الشمس ترسل أول أشعته إلى داخل المطبخ والأصوات المنبعثة من الطعام والأطفال... فنظرت إليهم، وقد استولى علي شعور قوي بالغبطة لجمالهم، حتى تدفقت الدموع من عيني، وأحسست بالسعادة تمتلك كل جوارحي وتهز كل كياني.

إن هذه اللحظات تنشلنا من مجرد العيش وترفعنا إلى مستوى معاني الحياة. حقاً لقد أجاد ألبرت أينشتاين في التعبير عن هؤلاء الذين يحققونه ذواتهم: "إن أروع شيء يمكننا أن نعانيه هو ما كان يكتنفه الغموض والأسرار. إنه العاطفة الأساسية التي تقف عند مهد الفن والعلم الأصليين".

نركض خلف السعادة وهي في داخلنا

إن الفكر يطل على العالم المادي من خلال الحواس الخمس، لكن هذه الإطلالة لا تشبع عطش الفكر غير المحدود، لأن الحواس تدرك العالم المادي بشكل نسبي، أن العين لا تستطيع أن ترى المستويات المرهفة والعميقة من العالم المادي، والأذن لا تسمع جميع الأصوات وكذلك اللمس والشم والذوق.

وإن بداخلنا عطش لا محدود للسعادة، ولا نستطيع إشباع هذا العطش الكبير بطريق حسي محدود ضمن الزمان والمكان بل من سعادة لا محدودة نجدها في ذاتنا.

هناك السعادة الحسية كالمناظر الجميلة والموسيقى والطعام الشهي. وهناك أيضاً سعادة الذات اللامحدودة أو السعادة التي نبحث عنها، وهي فقط القادرة على ملئ هذا الفراغ الهائل بداخلنا. فكما أن الضوء يكون في المصباح قوياً ويصبح ضعيفاً كلما ابتعدنا عنه. كذلك إن السعادة في الذات تكون في أعلى مستوى لها وتضعف كلما ابتعدنا عنها.

إن السعادة الحسية هي جزء ضئيل وبعيد عن النور المركّز في مصباح الذات. كلما اقتربنا من المصباح ازدادت قوة النور، وكلما اقتربنا من الذات ازدادت قوة السعادة. أي إن السعادة الحسية هي ظل لسعادة الذات على إرضاء الفكر والشعور بالامتلاء والرضى والقوة. إن عدم الرضى الناتج عن السعادة الحسية يجعل الفكر يقفز من تجربة أو اختبار إلى آخر على أمل أن يجد ما يرضيه في التجربة أو الاختبار

التالي، ولهذا نجد الفكر دائماً في حالة من القفز من غصن إلى غصن في شجرة الحياة، بحثا عن شيء قد يشبع عطشه.

فالفكر في اضطراب وقلق دائمين ناتجين عن عدم الرضى والإشباع ذلك لعدم اختباره السعادة التي ترضيه. فعندما نختبر سعادة حسية يكون اتجاه الفكر نحو الخارج أي نحو العالم النسبي، بينما يكون اتجاه الفكر عند اختباره سعادة الذات نحو الداخل، بمعنى اقتراب من مصدر السعادة في الذات.

وبعد أن يتجه الفكر نحو الداخل ويختبر سعادة الذات السامية الحقيقية يخرج نحو العالم الحسي مشبعاً بتلك السعادة مما يجعل الاختبار الحسي أكثر متعة وفرحاً. فسعادة الذات تجعل الفكر في حالة من الرضى والسكينة والغنى الداخلي، مما ينتج عنه نجاح أكبر في عمل الفكر الخارجي، وهذا النجاح يؤدي إلى السعادة في حقل الحياة الحسية النسبية.

قصة الغزال والبحث عن السعادة

يستيقظ الغزال من غفوته، ويشم رائحة المسك المنعشة حوله، ومن شدة الانتعاش يبدأ في البحث عن مصدر تلك الرائحة المنعشة، ويركض في اتجاه معين ولا يجد مصدر المسك، ثم يركض في اتجاه آخر ولا يجده، ثم يركض في الجهة المعاكسة ولا يجده أيضاً، وأخيراً من شدة التعب والإرهاق يستريح تحت شجرة. ويا للدهشة إن مصدر المسك ورائحته هو صرّة الغزال نفسه.

وهذا تماماً ما يحصل لنا، إننا نبحث عن السعادة ونركض خلفها في الخارج، نبحث عن السعادة في الاسم والشهرة، وفي المال والممتلكات والجاه والسلطة، وفي كامل الحقل المادي من خلال الحواس، ولكن السعادة تكمن في داخلنا. في ذاتنا الحقيقية السامية. نعتقد بأن الحصول على مكافأة في العمل سيجلب لنا السعادة، وقد نحصل على المكافأة ولكننا لا نشعر بالرضى أيضاً. نعتقد بأننا إذا سافرنا واستقررنا في سويسرا أو كندا مثلاً فإن هذا سوف يجلب لنا السعادة، ولكننا نسافر ويذهب

معنا صديقنا الدائم "الفكر المضطرب" الذي سيبتدع من جديد مشاكل جديدة من نوع آخر. لذلك علينا أولاً خلق السلام الفكري ومن ثم سنجد الاستقرار والرضى أينما كنا، لنختبر الغبطة بداخلنا ولنذهب عندها أينما نذهب.

إن منبع السعادة والغبطة اللامحدودة كامن في ذات كل فرد

السعادة هي في المستوى التجاوزي داخل ذاتنا، وهذا ما يجري ممارسته واختباره من خلال ممارسة التأمل التجاوزي الذي يعمل على تهدئة الحركة الفكرية المضطربة والفوضى عميقاً في أعماق ذاتنا في المناطق الساكنة من قلبنا واختبار السعادة والمحبة بشكل مباشر و تلقائي، إذ تكون قوة السعادة أكثر كلما كان الغوص أعمق.

السعادة من الذات وإلى الذات، لكن الذات احتجبت عن ذاتها بالرغبة أو الفرض الذي اعتقدت بأنه مصدر السعادة. لذلك علينا البحث عن السعادة في مكانها الصحيح.

جسدك "الكمي" هو جسد الغبطة

حينما ننظر إلى مادة الكون، بما فيها جسم الإنسان، ونحللها لنرى مما تتألف، نرى أن الجسد مكون من خلايا وهي بدورها مكونة من جزئيات، والجزئيات مكونة من ذرات، والذرات مكونة من مواد أولية مثل الإلكترونات والبروتونات التي تتألف من جسيمات أكثر رهافة. وعندما ندخل بعمق أكثر في المادة نجد أنها مؤلفة من اهتزازات او تموجات من الطاقة تسمى في الفيزياء، "رزمات الطاقة الكمية"، وهذا الحقل من الكيماء يسمى "ميكانيكا الكم، أو الحقيقة الكمة للوجود". "الكم أو الكوانتا" هو أصغر جزيء يبني العالم المادي. مثلاً أن مقياس الجزيء الكمي هو جزء أصغر من ١٥ ملايين من الذرة.

هذه الجزئيات الكمية تؤلف المادة بما فيها جسم الإنسان. على المستوى العميق تصبح المادة عبارة عن تموجات صوتية للحقل الكمي. وكما أن النسغ هو الحقيقة

العميقة للنبتة، كذلك فإن الجسد الكمي هو الحقيقة العميقة للجسد. إذن إن الجسد الإنساني يتألف من الأعضاء والأنسجة والخلايا، وفي المستوى المرهف العميق يكمن الجسد أو المستوى "الكمي" حيث تنتقل الجزئيات في فراغ هائل بسرعة الضوء.

المستوى الكمي للجسد هو نقطة الالتقاء بين المادة والوعي، أو بين الفكر والجسد، هو تلك الأصوات الأولية التي تربط الوعي بالمادة. أي أن الجسد الكمي يكمن في نقطة تحول الوعي إلى مادة. جسد الغبطة هو تلك المكونات الأساسية للنبضات الصوتية المرهفة التي تبني هذا الجسد المادي، إنها النبضات الأولية للذكاء، إنها نبضة الغبطة. وفي علم "الفيدا" فإن السعادة والغبطة تكمنان في النبض الأولي للوعي الذي يصبح تموجات صوتية تتكثف لتصبح مادة الجسد أو مادة الكون. أي أن الغبطة تتولد في نقطة الالتقاء بين الوعي والمادة أي في المستوى "الكمي" للجسد، هذا يعني أن الجسد "الكمي" ليس سوى جسد الغبطة، أي أن الغبطة هي النبض الأولي لتحول الوعي إلى مادة.

المراجع

- Successful Living by Robert Heap.
- Your subconscious Power By charles Simmons.
- The Secret of secrets By U.S. Anderson.
- Awaken The Giant Within By Anthony Robins.
- Psycho Cybernetics By Maxwell Malts, M.D.
- Creative Living For Today By Maxwell Malts, M.D.
- Creative Living For Today By Maxwell Malts, M.D.
- The Magic Of Psychic Power By David Schwartz, Ph.D.
- Bring Out The Magic In your Mind By Al Koran's.
- Enthusiasm Makes The Difference By roman Vincent Peale.
- The Power of Psychic (Petrography) By Vernon Howard.
- Think and Grow Rich By Napoleon Hill.
- The Healing Secret of The Ages By Cathrine Pouder.
- Wisdom of the Mystic Masters By Joseph Weed.
- Your Psychic Powers By Herward Carrington, PH.D.
- The Man who Tapped The Secrets of the Universe By Glenn Clark
- Stay Young and Enjoy it By June Kynaston.
- The Amazing Power of Thought By science of Mind Magazine.

تنسيق: صفاء نمر البصار/أم أصيل
Tel: 00962 78 5288504
SAFANIMER@YAHOO.COM

أسرار العقل
في حركته الخفية

هذا الكتاب

هذا الكتاب يبين كيف أنك عندما تبدأ في استخدام وتحريك القوة الهائلة لعقلك الباطن ستتمكن من تشكيل نمط تفكيرك وحياتك. وستجد شخصيتك وصحتك النفسية والجسمية حسبما تزرع من أفكار في عقلك الباطن.

كما يبين لك لماذا يوجد إنسان سعيد وثري وآخر حزين وفقير، ولماذا هنالك إنسان قلق وخائف وكئيب وآخر يتمتع بالثقة وبالسعادة، ولماذا يحقق إنسان ما نجاحا باهرا بينما يعيش إنسان اخر فشلا ذريعا، ولماذا يوجد إنسان مبدع في عمله ومهنته بينما يوجد إنسان آخر يكد طوال حياته دون أن يحقق شيئا، ولماذا يشفى إنسان من مرض مزمن ولا يشفى منه إنسان آخر؟

هذا الكتاب يرشدك كيف تستعمل القوة الهائلة التي يمتلكها عقلك الباطن الخفي وكيف تفعل المعجزات من خلال حركته الخفية، فتشفى من المرض وتنعم بالحيوية، وتتعلم الاستفادة من قوتك الداخلية الرائعة.

ويعلمك ويبين لك أن الاستجابة لما تؤمن وتعتقد به وتتمناه وترغب بتحقيقه، تتحقق عندما يستجيب عقلك الباطني للصور الذهنية أو الفكر في عقلك الواعي الظاهر، فقانون الحياة هو قانون الاعتقاد.

ohammad Ayyoub 00962 79 878 9591





